جامعة بيرزيت
BIRZEIT UNIVERSITY

كلية الدراسات العليا

برنامج ماجستير الدراسات الإسرائيلية

بحث رسالة الماجستير بعنوان:

الإنتاج المعرفي والصهيونية في سياق استعمار استيطاني:

فكرة إنشاء الجامعة العبرية/اليهودية في القدس ودور حاييم وايزمان كحالة دراسية

Knowledge Production and Zionism in Settler Colonial Era: The Idea of Establishing the Hebrew/Jewish University in Jerusalem and the Role of Chaim Weizmann as a Case Study

مُقدمة من الطالب:

شادي الخواجا

بإشراف:

د. نبيه بشير

د. علاء العزة

كانون الأول 2018

الإنتاج المعرفي والصهيونية في سياق استعمار استيطاني:

فكرة إنشاء الجامعة العبرية/اليهودية في القدس ودور حاييم وايزمان كحالة دراسية

Knowledge Production and Zionism in Settler Colonial Era:
The Idea of Establishing the Hebrew/Jewish University in Jerusalem and the Role of Chaim Weizmann as a Case Study

شادي الخواجا

1155007

تاريخ المناقشة: 3 كانون الأول 2018

أعضاء لجنة الإشراف والمناقشة:

د. نبيه بشير – رئيس

د. علاء العزة – رئيس

د. رنا بركات – عضوة

د. عمر تسدال – عضو

قُدِمَت هذه الرسالة استكمالًا لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الإسرائيلية من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين

كانون الأول 2018

الإنتاج المعرفي والصهيونية في سياق استعمار استيطاني:

فكرة إنشاء الجامعة العبرية/اليهودية في القدس ودور حاييم وايزمان كحالة دراسية

Knowledge Production and Zionism in Settler Colonial Era: The Idea of Establishing the Hebrew/Jewish University in Jerusalem and the Role of Chaim Weizmann as a Case Study

شادي الخواجا

تاريخ المناقشة: 3 كانون الأول 2018

أعضاء لجنة الإشراف والمناقشة:

د. نبيه بشير (رئيسًا): .....

د. علاء العزة (رئيسًا): .....

د. رنا بركات (عضوًا): .....

د. عمر تسدال (عضوًا): .....

إهداء

إلى أمي، البداية والنهاية، وخاتمة القصيدة وحبكة الرواية

إلى أبي، كتاب الحياة الذي أقرأه كل يوم

استمدتُ قوتي منهما عند إنجاز هذا العمل، ولولا صبرهما ومساندتهما لما كان من الممكن إنجاز بحث الرسالة والوصول إلى مرحلة التخرّج

إلى أخواتي وأخوتي وأبنائهم وبناتهم

إلى الذين انطفأت أجسادهم، لكن روحهم ما تزال ترفرف في السماء وعلى الأرض

إلى الذين ينتظرون الليل أن ينجلي وأن تشرق الشمس من جديد

شكر وتقدير

أود أن أقدم خالص الشكر والتقدير إلى كل من ساهم في أنجاز هذه الرسالة، وأعتذر مسبقًا إن غفلت عن ذكر أحد ممن ساهم وساعدني، لكي تتم إنجاز الرسالة وجميع متطلبات برنامج الماجستير.

بداية، أقدم خالص الشكر والتقدير والامتنان إلى المشرفين العزيزين على بحث الرسالة، الدكتور نبيه بشير؛ والدكتور علاء العزة، وأخص بالذكر الدكتور نبيه، اللذان كانا، منذ البداية، مرافقين معي لجميع مراحل الرسالة، بدءًا من اختيار الموضوع، والمصادر والمراجع، مرورًا بالكتابة والتعديلات والملاحظات القيمة والتي كانت لها المساهمة الحقيقية لإنجاز هذه الرسالة. كما أضيف شكر خاص للدكتور نبيه على المساعدة والمساهمة في عملية ترجمة المصادر باللغة العبرية.

الشكر والتقدير إلى أسرة برنامج الماجستير، الذين كان لهم الأثر في توسع مداركي التعليمية والتثقيفية.

أشكر أصدقائي وزملائي الأعزاء: أحمد، أدهم، أروى، أسيل، أسيل، أمجد، جنيفر، رزان، رغد، سالي، سيف، عبد المنعم، عروبة، عمرو، فارس، فراس، قصي، لبنى، د. لينا، محمد، محمود، مصطفى، مي، نايف، نجلاء، نضال، نور، هنادي، هيا، وليد، على مساهمتهم ومساعدتهم المتواضعة، إن كان بالمساعدة في عملية الترجمة أو الطباعة أو تقديم الدعم المعنوي وغير المعنوي، هذه المساهمات التي كانت لها الأثر الحقيقي في إنجاز هذه الرسالة.

وفي النهاية، أستذكر ما قاله الأدباء والفلاسفة، في حق العلم والمعرفة والحقيقة:

"ويل لطالب العلم إن رضي عن نفسه"

طه حسين

"نحن مجانيين إذا لم نستطع أن نفكر، ومتعصبون إذا لم نرد أن نفكر، وعبيد إذا لم نجرؤ أن نفكر"

أفلاطون

"البحث عن الحقيقة أشرف المهن، والمعرفة هي عبادة للخالق"

ابن رشد

قائمة المحتويات

إهداء ..... د
شكر وتقدير ..... ه
قائمة المحتويات ..... و
ملخص ..... ح
Abstract ..... ك
المقدمة 1

الفصل الأول: الخلفية التاريخية والمنهجية 15
1-1. الخلفية التاريخية 15
1-1-1. الجامعة: المفهوم، النشأة، الغايات 28
1-2. المنهجية وأدوات البحث 32
1-3. مراجعة الأدبيات 32

الفصل الثاني: الإطار النظري 44
2-1. العلم في الفكر الحداثي والاستشراقي 46
2-2. إنتاج المعرفة كأداة استعمارية للسيطرة: الاستعمار وعلاقته بالعلوم، المكان والأرض 53
2-3. المؤسّسات المعرفية/الجامعات والاستعمار: المعرفة العلمية لتحقيق المشروع السياسي 60
2-3-1. المشروع الاستعماري (والصهيوني) بوصفه مشروعًا ثقافيًا 66
2-4. مساهمة إنتاج المعرفة والجامعات في بناء مجتمع جديد وتحديث المجتمع القائم 68
2-4-1. بناء مجتمع جديد 68
2-4-2. تحديث المجتمع القائم 71
2-4-3. إعادة إنتاج الجسد اليهودي واليهودي الجديد 76
2-5. إنتاج المعرفة كأداة لإعادة استكشاف الماضي القومي التليد 78

الفصل الثالث: الصهيونية والعلم 81

3-1. العلم في الفكر الصهيوني 81

3-2. مفهوم العلم وأهميته لدى حاييم وايزمان: تشابك وتمازج العلم والسياسة 97

الفصل الرابع: الجامعة العبرية/اليهودية في القدس: التأسيس، الأقسام، الخلافات والسياقات 104

4-1. تأسيس الجامعة العبرية 105

4-1-1. مرحلة ما قبل التأسيس 105

4-1-2. مرحلة التأسيس 112

4-1-3. معاهد وكليات الجامعة العبرية الأولى 121

4-1-3-1. كلية العلوم الإنسانية ومعهد الدراسات اليهودية 121

4-1-3-2. معهد الدراسات الشرقية وعلوم الشرق 125

4-2. الجامعة العبرية في فكر حاييم وايزمان 129

4-3. جدالات وخلافات داخل الحركة الصهيونية حول الجامعة 143

4-3-1. خلافات: الغاية، التمثيل وطبيعة الجامعة – البحث في مقابل التدريس 144

4-3-2. الخلافات الإدارية، واستقلالية الجامعة والعلاقة مع الإجماع الصهيوني 159

4-3-3. جامعة يهودية أم عبرية 170

4-4. فكرة إنشاء الجامعة في السياق "القومي اليهودي" الصهيوني 175

4-5. فكرة إنشاء الجامعة في سياق البعث الثقافي والديني اليهودي 189

4-6. فكرة إنشاء الجامعة في السياق الاستعماري الاستيطاني 202

4-6-1. عرب في الجامعة العبرية: ما بين الغربة ورسالة التحضّر 215

الخلاصة والخاتمة 222

قائمة المراجع والمصادر 227

ملخص

تبحث الدراسة الحالية في أسس الإنتاج المعرفي في السياق الاستعماري الاستيطاني الصهيوني، وتسعى إلى تفسير المقاربة الاستعمارية الاستيطانية وعلاقتها بالإنتاج المعرفي ودور العلوم المختلفة في الحالة الصهيونية، وذلك من خلال فحص المصادر الصهيونية الأولية والمراجع الثانوية المتوفرة التي تبحث في العلاقة الجدلية (تأثر وتأثير) بين العلوم والإنتاج المعرفي وبين الحركة الصهيونية. فقد توقفت الدراسة الحالية عند السياقات التاريخية وبحثت في كتابات وخطابات لأهم القيادات الصهيونية الأوائل، المنتمين إلى تيارات صهيونية مختلفة وأطر نظرية معرفية متباينة، إضافة إلى مراجع لعدد من الباحثين والكتاب المختصّين بالقضايا الصهيونية والاستعمار والجامعات. إلا أن بعض المعلومات استندت إلى مصادر أولية محدّدة وقليلة نسبيًا وذلك بسبب محدوديتها. اعتمدت بصورة رئيسة على المصادر الأولية وتحليل نصوصها واستنباط الأفكار والنتائج منها ووضعها، قدر المستطاع، ضمن سياقاتها التاريخية والنظرية والفكرية والثقافية من خلال منظور نقدي، والاستفادة من بعض أدبيات نظرية كأدبيات ما بعد الاستعمارية والاستعمار الاستيطاني.

تعدّدت أدوار وأهداف المؤسّسات المعرفية والبحثية في الأنظمة الاستعمارية المختلفة، وصبَّت جميعًا في مصلحة الاستعمار من خلال توظيف وإسهام هذه المعرفة في العملية الاستعمارية الأوسع. ومن خلال الأطروحات النظرية التي تم الاعتماد عليها ودراستها، اتّضحت أهمية المؤسّسات المعرفية والتعليمية والعلوم المختلفة في المشروع الاستعماري الاستيطاني للدول الاستعمارية في بسط هيمنتها وتكريس السلطة الاستعمارية وتعزيز قوّة تحكّمها واستدامتها بأوجه مختلفة. أسوة بذلك، فقد كان المشروع الصهيوني الاستعماري الاستيطاني ينظر بأهمية بالغة لمساهمة المؤسّسات المعرفية في الاستعمار، وكان ذلك جليًا في الأهداف التي وقفت خلف إنشاء الجامعة العبرية في القدس والنقاشات التي دارت بين قيادات الحركة الصهيونية وأذرعها المختلفة.

نشأت الحركة الصهيونية في السياق القومي الأوروبي، معتمدة بصورة كبيرة على خطاب الحداثة والتحديث والعلم والاستشراق، إذ كان هذا الخطاب طاغيًا وحاضرًا بقوة في خطاب وبرنامج ومشاريع الحركة الصهيونية. لذلك فقد احتل العلم مكانة عظيمة في الفكر الصهيوني ولدى القادة والمفكرين الصهيونيّين، وشدّد أكثرهم على أهمية العلم والعلوم والأبحاث العلمية، بفروعها المختلفة، بغية تحقيق أهداف الصهيونية بإقامة "الوطن القومي" ولاحقًا "دولة إسرائيل"، وتحقيق مكانة مرموقة "للشعب اليهودي" بين الأمم. نستشف من غالبية المصادر الأولية، أن هذا الاستخدام للعلوم والإنتاج المعرفي وخطاب التحديث والحداثة كان أداتيًا بامتياز لتحقيق الحلم الصهيونية بإقامة الكيان، وبناء مجتمع يهودي جديد، وإنتاج وإعادة إنتاج اليهودي الجديد، وصقله وبناء وعيه بالمفاهيم والأفكار الجديدة للصهيونية بما يحقّق أهدافها التي تشمل تكريس وجود إسرائيل بوصفها "درعًا حاميًا للغرب في وجه الشرق"، كما أكدّت قيادات الحركة الصهيونية مرارًا وتكرارًا منذ نشأتها ولا تزال.

يمثل حاييم وايزمان، الحالة النموذجية، لقادة الحركة الصهيونية ومنظريها، من خلال ربطه وتمازج العلم مع السياسية في فكره، ومعتقداته ووعيه وعمله. فقد لعب وايزمان دورًا محوريًا في ضرورة استبطان الصهيونية لإنتاج المعرفة واستخدامها لتحقيق مشاريعها. وعليه، فقد لعب دورًا مركزيًا جدًا في بلورة وتطوير وتطبيق فكرة إنشاء جامعة يهودية عبرية في القدس، وفرض تصوّراته عليها، لأنها ببساطة تفي بجميع توجّهات وتيارات الحركة الصهيونية (العملية والسياسية والثقافية)، والتي لطالما دافع وايزمان عن ضرورة جمعها سوية ضمن مذهب واحد أطلق عليه "الصهيونية الجامعة" (Synthesis Zionism). ومن الملاحظ بصورة مثيرة ولافتة، أن وايزمان يشير إلى أهداف عديدة ومختلفة تقف خلف فكرة إنشاء الجامعة. ومن اللافت والمثير كذلك، أن هذه الأهداف المتعدّدة فرضت نفسها على نظرة الحركة الصهيونية بمختلف تياراتها للعلم والإنتاج المعرفي، ولا تزال قائمة في صلب بطاقة التعريف بمعاهد الأبحاث والتعليم العالي في "إسرائيل" بمناحي معينة إلى يومنا، كما تؤكّد العديد من الأبحاث والدراسات.

ومن خلال جميع خطابات وكتابات وايزمان، نستطيع أن نوجز ونقول بخصوص فكرة وايزمان لإنشاء الجامعة العبرية إنه حمل هدفين رئيسين يشوبهما بعض التوتّر. الأول، مساهمة الجامعة بشكل رئيس في البناء العملي على الأرض وتحويل اليهودي الجديد إلى عامل جدي وكفؤ لاستعمار الأرض وبناء "الوطن القومي"؛ والثاني، السعي إلى تحويل الجامعة العبرية صرحًا علميًا أكاديميًا وتطويرها لمنافسة الجامعات الأوروبية. ظهرت الجامعة العبرية/اليهودية في عدة سياقات هامة: السياق "القومي اليهودي" الصهيوني؛ سياق البعث الثقافي اليهودي، وسياق استبطان البعد الديني وتوظيفه في المشروع الصهيوني؛ وكذلك، في السياق الاستعماري الاستيطاني.

مرّت عملية إنشاء وتأسيس الجامعة العبرية/اليهودية في القدس بعدة مراحل جدلية وفكرية، تخلّلها خلافات جدية بين أقطاب الحركة الصهيونية وجمهورها وبين مؤسّسي وقيادات ورموز الجامعة. وقد رافقتها توترات وخلافات عديدة كان أشدّها موضوع استقلالية الجامعة عن المشروع الصهيوني أو ارتباطها به، حسمت في النهاية لصالح ارتباطها الوثيق بالمشروع الصهيوني، كما توضّح الدراسة الحالية.

حاولت قدر المستطاع الالتزام بالموضوعية، وبما أن الموضوعية تعتبر عاملاً نسبيًا بالضرورة، فلا يمكن بتاتًا تحييد العامل الذاتي في دراسات تتعلق بالصهيونية والمشروع الصهيوني، خاصة من قبل طالب فلسطيني واقع تحت تأثير هذا الاستعمار الصهيوني الاستيطاني ويعاني من وطأته.

Abstract

This study explores the foundations of knowledge production in the Zionist settler-colonial context, and seeks to explain the settler-colonial approach and how it's linked to knowledge production and education. It does so by examining primary Zionist sources, despite their rarity, as well as available secondary sources that explore the dialectical relationships between knowledge production and the Zionist movement. This study thus based on a historical approach and the method of text analysis by critically examining the writings and speeches of the most leading Zionist figures, which belong to different camps and come from different theoretical perspectives. The paper also refers to studies by academic experts in Zionism, settler-colonialism and higher education, and is based on post-colonial and settler-colonial theories and frameworks.

While academic and research institutions have had numerous roles and goals in different colonial regimes, they all worked in the interest of settler-colonialism by using knowledge in the broader colonial process. The different theoretical lenses explored by this study highlight the importance of educational and scientific institutions in the colonial project, in terms of extending the domination of the colonial state and consolidating its control and colonial authority. In the same vein, the Zionist settler colonial project has given a lot of importance to the role of scientific and academic institutions in settler-colonialism. This was especially evident in the goals behind the establishment of the Hebrew University in

Jerusalem and the overall discussions that took place among the leaders of the Zionist movement and its different arms.

The Zionist movement was founded in the context of European nationalism and nation-state, relying heavily on the discourse of modernity, modernization, science and orientalism. Indeed, this discourse was prevalent in the discourse and projects of the Zionist movement. Most Zionist leaders and thinkers emphasized the importance of education and scientific research in different fields, in order to achieve the goals of Zionism by establishing the "national homeland" and later the "State of Israel," while ensuring a prominent status for the "Jewish people" among all nations. Most primary sources thus show how science, knowledge production, and the discourse on modernity and modernization, were used to turn into reality the Zionist dream of building a new Jewish society and producing and reproducing the new Jew who firmly believes in the ideas of Zionism.

Chaim Weizmann represents the epitome of Zionist leaders and visionaries, who firmly associate between education and politics in their thoughts, awareness work and activism. Weizmann had in fact played a pivotal role in linking Zionism to knowledge production, which was later utilized to achieve Zionist goals. Weizmann thus played an important role in the development and implementation of the idea to build a Hebrew University in Jerusalem, since it simply served the interests and goals of all camps in the Zionist movement that Weizmann had for long sought to combine under one overarching doctrine, named "Synthesis Zionism." It is worth noting that Weizmann mentioned different objectives behind

the establishment of the Hebrew University, and these objectives were all imposed on the Zionist approach to education and knowledge production, regardless of the Zionist camp in question. And this approach is still dominant nowadays, as shown by many studies.

An examination of Weizmann's speeches and writings demonstrates that he had two main goals from establishing the Hebrew University. The first goal was related to the contribution of the university to building the land and transforming the new Jew into a serious productive worker who would colonize the land and build the "national homeland." The second goal was to make the Hebrew University a major scientific and academic institution that would compete with European universities. The Hebrew University thus emerged in several important contexts: Zionist Jewish nationalism; the Jewish cultural renaissance; the assimilation of religion and its use as a tool in the Zionist project; and settler-colonialism. It should be noted, however, that the establishment of the Hebrew University went through several stages that were characterized by major differences and disagreements between the different Zionist camps and the main founders and leaders of the university. Most disagreements were related to the issue of whether the university should be independent or not from the Zionist project. As this study shows, the final decision was taken in favor of associating the university with the Zionist project.

I have tried to remain neutral as much as possible, but neutrality remains relative, especially when the researcher is a Palestinian student living under imposed Zionist settler-colonialism in his daily-life.

المقدمة

لطالما استخدمت الحركات القومية الإنتاج المعرفي، بوصفها أداة معنوية وإنتاج واستحضار الماضي وإعادة إنتاجه، لتعزيز مشاريعها السياسية والتحديثية والاجتماعية والثقافية والدينية والعسكرية وغيرها، وكذلك لتعزيز مشاريعها الاستعمارية والإمبريالية. كان للتوسع الاستعماري الأوروبي، واستخدامه للمعرفة وإنتاجها واستنساخها، وخاصة العلوم الاجتماعية وكتابة التاريخ والتكنولوجيا، في سبيل إخضاع الشعوب المستعمَرة، أهمية كبيرة في معرض التخطيط والتطبيق ضمن المشروع الصهيوني. قامت بنى الاستعمار إلى إعادة إنتاج الذات، الاستعمارية والمستعمَرة، لإحكام السيطرة والهيمنة من خلال الأدوات المتعددة التي تنتجها المعرفة الاستعمارية.[1] ولكن، خلافًا لغيرها من الأيديولوجيات والحركات القومية التي ظهرت في معرض القرن التاسع عشر، يبدو أن الصهيونية لم تتخذ العلم ركيزة أو مسوّغًا لها. كما ولم تدع ألبة أنها علم أو أنها تستند إلى طروحات علمية أو أنها تطرح حلاً علميًا، وإنما تطرح حلاً عمليًا ملموسًا لما كان يسمى "المسألة اليهودية"، أو "المشكلة اليهودية".[2] أسوة بجميع الحركات القومية الحديثة، تكمن أهمية الإنتاج المعرفي في الصهيونية، من بين جملة الأمور المختلفة، في تشكيل، أو إعادة تشكيل، الوعي اليهودي من الجديد ضمن التصوّر الصهيوني كمحاولة لتطبيع الإنسان اليهودي، والتوفيق بين العقيدة اليهودية والشعب اليهودي وفرادته وبين الحداثة والعالم الحديث، من جهة، وبين المثل اليهودية التقليدية والسعي لبناء واقع جديد

---

[1]. فرانز فانون، **معذّبو الأرض**، ترجمة سامي الدروبي (بيروت: دار الطليعة، 1963). قام طلال أسد بدراسة دور أوائل علماء الأنثروبولوجيا في تعزيز النظام الاستعماري والاستيطاني الأوروبي في أفريقيا. يُنظر:

Talal Asad, *Anthropology and the Colonial Encounter* (London: Ithaca Press, 1973).

أما بشأن الاستعمار البريطاني في الهند، يُنظر:

Bernard S. Cohen, *Colonialism and Its Forms of Knowledge: The British in India* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1996); Gauri Viswanathan, *Masks of Conquest: Literary Study & British Rule in India* (Oxford: Oxford University Press, 1998).

[2]. يُنظر:

Amos Funkenstein, "Zionism, Science, and History," in his: *Perceptions of Jewish History* (Berkeley, CA: University of California Press, 1993), p. 341.

طوباوي على أرض الواقع. وعليه، تنبع أهمية دراسة مكانة العلوم والإنتاج المعرفي واستخدامها صهيونيًا في السعي لفهم ديناميكية هذا المشروع الصهيوني وتصوّراته الطوباوية وأدواته وغاياته العملية والروحانية.

من الجدير بالذكر التأكيد منذ البداية على أن الصهيونية قد ظهرت في عصر تختلجه تناقضات جوهرية عديدة، وهو عصر هيمنت عليه فكرة "تأليه العلم" (*Wissenschaftsgläubigkeit*) من جانب، ولكن هيمنت عليه فكرة خيبة الأمل الكبرى من سلطان العقل وفكرة التنوير كذلك، وهي ذات الفكرة التي يصطلح عليها عادة "عصر نهاية القرن" (*Fin de Siècle*)، والمقصود به التعبير عن الانحطاط (*decadence*) الذي وصلت إليه الثقافة الأوروبية بين 1890 وفجر الحرب العالمية الأولى (1914)، نتيجة لخيبة الأمل من أفكار عصر التنوير ووعود الحداثة والتحديث التي حوّلت الفرد إلى مجرّد أداة وحجزه في شبكة من الأنظمة البيروقراطية المعقدة. وهو ذات العصر الذي حازت فيه كذلك العقلانية على مكانة عظيمة، إلى جانب شيوع نزعات رومانسية نادت بالعودة إلى الطبيعة وهجر أنماط حياة المدينة وسلطان العقل.

استنادًا إلى ذلك، فقد اعتمدت الحركة الصهيونية منذ ظهورها منظورًا يقوم على نظرة ازدواجية متناقضة نحو العلوم، النظرية والتطبيقية. وفق النظرة الأولى، المركزية، فقد اعتبرت الصهيونية العلوم والنشاط الفكري والثقافي بعامة بصورة سلبية، بوصفهما موروثًا من يهودية المنفى التي ظهرت الصهيونية لتقويضه، وسعت في مقابل ذلك إلى إعادة اليهود إلى الطبيعة الأم، و"تقديس العمل" الجسدي.[3] وبهذا المعنى، فإن الصهيونية أقرب ما تكون إلى الحركة الرومانسية منه إلى الحركات العقلانية. فبالرغم من ولادة الصهيونية في عصر "تأليه العلم"، إلاّ أنها لم تسع، ضمن صياغاتها "السياسية" أو "العملية" المختلفة التي ظهرت بداية، إلى استحداث معاهد علمية أو تشجيع النشاط الفكري أو العلمي، بل فضّلت التركيز على الجوانب العملية والعمل الجسدي في الأرض. أما النظرة الثانية، فقد اعتبرت العلوم والنشاطات الفكرية والثقافية عنصرًا محوريًا لا مفر منه في برامجها لخلق إنسان يهودي جديد، يتمتّع بـ"روح جديدة"، ويعيش ضمن مجتمع

---

[3]. يُنظر:

Oz Almog, "Dunce Cap," in his: *The Creation of the New Jew: The Sabra*, trans. by Haim Watzman (Berkeley, CA: The University of California Press, 2000), pp. 138-159.

يهودي جديد في بيئة وأرض جديدين (خارج أوروبا) في دولة يهودية حديثة.[4] لم تتغلب إحدى النظرتين على الأخرى وبقيتا على مدار وقت طويل متشابكتين ضمن الحركة الصهيونية.

ظهرت أحيانًا شخصيات صهيونية نجحت في تعزيز فكرة ضرورة استبطان الصهيونية لإنتاج المعرفة واستخدامها لتحقيق مشروعها. وبالرغم من ذلك، فقد حلم أوائل الصهاينة، ومن يطلق عليهم تعبير "مبشّرو الصهيونية" في معرض القرن التاسع عشر، بإنشاء نسخة حديثة لـ"أطلنطس الجديدة" (مملكة بنساليم)، وهو عنوان العمل الإبداعي الطوباوي الذي وضعه المفكّر الإنجليزي فرانسيس بيكون (ت 1626). في أعقاب بيكون، وضع هؤلاء أعمالهم الطوباوية، رفعت غالبيتها من شأن العلوم والتكنولوجيا، وذلك لأنها تساهم مساهمة بالغة، برأي كاتبيها، في تخليص الإنسان من عبوديته وواقعه البائس، وذلك من خلال توفيرهما الأدوات المثلى له للحفاظ على صحته، وتشكيل هويته وبيئته، وتراكم ثروته، وبالتالي توليته زمام السلطة على نفسه وعلى واقعه.[5] ولكن تأثير هذه الأعمال الطوباوية الصهيونية كان محدودًا بداية، لأن جميع هذه الأعمال الطوباوية قد وضعت خارج فلسطين (في أوروبا) ولم تأخذ بالحسبان خصائص البلاد واحتياجاتها، ولكن سرعان ما تعزّز تأثيرها لاحقًا منذ مطلع حقبة الانتداب البريطاني.[6] وكما يبدو، فإن هذه النظرة الثنائية المتناقضة – أعني طوباوية "العودة إلى الطبيعة العذراء" من جهة، وطوباوية "تسخير العلوم والتكنولوجيا" لرفع شأن الإنسان وبناء المجتمع الحديث من جهة أخرى – تعتبر عنصرًا جوهريًا في النوع الأدبي الطوباوي الأوروبي منذ نشأته في القرن السابع عشر. كذلك، كما سنرى لاحقًا، فإن هذه النظرة ذاتها قد لازمت الصهيونية ولا تزال.

بتأثير من "علم الأعراق" الأوروبي، فقد ظهرت مدرسة يهودية وصهيونية سعت إلى الاستفادة من هذا الحقل "العلمي" للرد على المعادين لليهود من خلال استخدام السلاح ذاته وتعزيز مقولة إن اليهود هم "العرق

---

[4]. يُنظر: Funkenstein، مرجع سبق ذكره، ص 340–342.

[5]. راحيل إلبويم–درور، **غد أمس، المجلد الأول: الطوباوية الصهيونية – جزآن** (القدس: معهد إسحاق بن تسفي، 1993)، الجزء الأول، ص 160، 162–166. [بالعبرية]

[6]. المرجع السابق.

الأنقى" على الإطلاق.[7] فقد كتب الطبيب اليهودي النمساوي، إيغناز زولشان (Ignaz Zollschan)، في عام 1914، ما يلي:

> من السائد انكشاف الجميع على المعاداة للسامية الحديثة القائمة على أسس عرقية، إضافة إلى الانكشاف على الأدبيات الأخيرة التي تدرك واقع الهجمات المشينة (على اليهود)، ويفهم الجميع أن ترك هذه النظريات من دون إجابة سوف يلحق ضررًا سياسيًا بالغًا. لهذا، فإنه من المرغوب فيه جدًا، أن نستخدم نفس الأسلحة، مثل خصومنا، أي أسلحة الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع والعلوم الطبيعية بغية الكشف عن القيمة الاجتماعية لليهود.[8]

مثّل حقل "الأنثروبولوجيا العرقية" (racial anthropology) بعيني زولشان وغيره من الصهيونيّين الآخرين، في مطلع القرن العشرين، ردة فعل على معاداة اليهود القائمة على الخطاب العرقي.[9] كذلك، فقد سعت الصهيونية إلى الاستفادة من هذا الخطاب "العلمي" لبناء "الوعي اليهودي الجديد" في فلسطين وتشكيل الثقافة الصهيونية وبالتالي إنشاء مجتمع المستوطنين على هذه الأسس العرقية.[10]

أصبح اليهود في عصر القومية والعلمانية منشغلين ومهتمين بإيجاد تعريف علماني للـ"يهودية"، وتحديد ما يميزهم عن جيرانهم غير اليهود، وذلك بسبب اندماجهم في المجتمعات الأوروبية والأمريكية خلال القرنين

---

[7]. يُنظر بصورة خاصة:

John Efron, *Defenders of the Race: Jewish Doctors and Race Science in Fin-de-Siècle Europe* (New Haven, CT: Yale University Press, 1993).

[8]. مقتبس لدى المرجع السابق، ص 153. وكذلك مقتبس جزئيًا لدى:

Nurit Kirsh, "Population Genetics in Israel in the 1950s: The Unconscious of Ideology," *Isis*, vol. 94, no. 4 (2003): p. 651.

[9]. المرجع السابق، ص 652.

[10]. يُنظر:

Etan Bloom, "Arthur Ruppin and the Production of the Modern Hebrew Culture," PhD. Dissertation, (Tel Aviv University, 2008); Raphael Falk, *Zionism and the Biology of Jews* (Springer International Publishing AG, 2017); Dafna Hirsch, "Hygiene, Dirt and the Shaping of a New Man among the Early Zionist Halutzim," *European Journal of Cultural Studies*, vol. 18 (2015): pp. 300-318; idem "'We Are Here to Bring the West, Not Only to Ourselves': Zionist Occidentalism and the Discourse of Hygiene in Mandate Palestine," *International Journal of Middle East Studies*, vol. 41 (2009): pp. 577-594; idem "Zionist Eugenics, Mixed Marriage, and the Creation of a 'New Jewish Type'," *Journal of the Royal Anthropological Institute (N.S.)*, vol. 15 (2009): pp. 592-609.

التاسع عشر والعشرين بصورة عامة، وعند بداية هجرتهم إلى فلسطين. إن الطرق التي استخدمها اليهود أنفسهم في حقول الأنثروبولوجيا وعلم الأحياء والبيولوجيا من أجل تعريف "شعبهم"، كانت موضوع العديد من الدراسات الحديثة. وقد أظهرت هذه الدراسات، منذ نهاية القرن التاسع عشر، مشاركة العلماء والمثقفين والأدباء اليهود، في الخطاب حول العرق و"المسألة اليهودية" من أجل مقاومة اللاسامية والرد عليها، ودعم وتعزيز إحدى الفكرتين السائدتين بين مجمل يهود العالم: الاندماج أو الحكم الذاتي الثقافي، من جهة، أو إنشاء كيان سياسي يهودي على بقعة أرض خاصة بهم (وقد عبّرت الصهيونية بالمجمل عن هذه الفكرة)، من جهة ثانية. كان الاعتقاد بمفهوم العرق، شائعًا، بين جميع الباحثين اليهود، أسوة ببقية الشعوب في حينه، وخاصة في أوروبا، إلاّ أنهم اختلفوا اختلافًا كبيرًا في التفسير والمعنى الذي منحوه للفروقات البيولوجية.[11]

سعت الصهيونية إلى أن تحمل لواء "التجديد" و"الولادة من جديد" عبر استخدام العلوم المختلفة، واستنادًا إلى مبدأين متكاملين ومتناقضين في نفس الوقت، ألا وهما: تطبيع الشعب اليهودي (اليهود كبقية الشعوب)؛ والحفاظ على تفرّد "شعب إسرائيل" (الشعب الخاص). فقد رأى القائد الصهيوني ماكس نوردو (بودابست، 1849–1923)، الذي اشتهر بفضل كتابه "الانحطاط" (1892)، أن المهمة الأساسية للصهيونية، تكمن في خلق "يهودية العضلات" (*Muskeljudenthum*)، ويعني بها خلق شخصية يهودية جديدة تتمتّع بجسد قوي وصحة بدنية ونفسية سليمة، شخصية تعيش في قلب الحياة والتاريخ كنقيض لصورة اليهودي الأوروبي الهزيل والعليل المقيم على هامش الحياة والتاريخ. ومن وجهة نظره، فإن بناء الجامعة العبرية في "أرض إسرائيل"، تمثل مستقبلاً أكثر استقرارًا وثراءً، لأن الإيمان بالعلوم والاعتماد عليها يضمن القيم والمثل العليا، المتمثلة في التطبيع والتفرّد، إذ دون العلم والتكنولوجيا لا يمكن تطبيع الشخصية اليهودية، كما وأن من شأن التخطيط العلمي، فقط، أن يؤمن في "أرض إسرائيل" "استعمارًا عظيمًا".[12]

---

[11]. إضافة إلى المراجع أعلاه، يُنظر كذلك: Kirsh، مرجع سبق ذكره، ص 631–632.

[12]. يُنظر: Funkenstein، مرجع سبق ذكره، ص 342.

تاريخيًا، كان استخدام العلم بين الطوائف اليهودية عمومًا وسيلة للاندماج الاجتماعي وفي سوق العمل من دون التخلّي عن الهوية الدينية. أما في أعقاب تعاظم العداء لهم واتخاذ الحكومات الأوروبية، خاصة في روسيا القيصرية، خطوات قاسية واعتمادها على سياسة معادية لليهود، ظهر البديل الصهيوني ليخلّصهم من هذا الواقع القاسي، وهو بديل دفع باتجاه استخدام العلم للاستيطان ولخدمة سياسة الصهيونية في تشكيل وعي اليهود لرفض الاندماج والسعي نحو الهجرة وتأسيس "الوطن القومي اليهودي"، و"الدولة اليهودية". وأصبح العلم والإنتاج المعرفي، ركيزة أساسية، من بين جملة الركائز الأخرى، في المشروع الصهيوني الاستيطاني.

شغل حاييم وايزمان (بلدة موطال في روسيا البيضاء، 1874–1952) منصب رئيس المنظمة الصهيونية العالمية (1920– 1946)، والرئيس الأول لدولة إسرائيل (1949–1952)، والمعروف بلعبه الدور الأهم في استصدار وعد بلفور (تشرين الثاني/نوفمبر 1917). جمع وايزمان في وعيه الثقافي والسياسي بين اليهودية بوصفها عقيدة، إذ حاز على تعليم ابتدائي في مدرسة دينية وكان على اطلاع واسع بالآداب اليهودية التقليدية، وبين انتماءه اليهودي عقيدة وثقافة، وبين العلوم الحديثة، إذ أكمل دراسته الجامعية وحاز على شهادة الدكتوراة في الكيمياء، واشتهر باطلاعه الواسع على الآداب الحديثة وتأثره بالقومية الحديثة، وانضمامه إلى الحركة الصهيونية منذ شبابه.

صهيونيًا، يعتبر وايزمان من روّاد الجمع بين "الصهيونية العملية"، التي دعا إليها "مبشّرو الصهيونية"، والمتمثّلة في الاستيطان في فلسطين أولاً، وبين "الصهيونية السياسية"، التي وضعها هيرتسل (بودابست، 1860–1904)، والتي نادت بضرورة استصدار الاعتراف والمساندة من القوى العظمى، وبين "الصهيونية الثقافية"، التي أسّس لها آشر غينتسبورغ (المشهور بلقبه "أحاد هعام"، كييف، 1856–1927، تل أبيب)، والتي نادت بضرورة إنشاء مركز ثقافي يهودي فقط في فلسطين. ولطالما دافع وايزمان عن مذهبه الجامع هذا وأطلق عليه تعبير "الصهيونية الجامعة" (Synthetic Zionism)، بمعنى العمل بالتزامن على هذه الثلاث أوجه في نفس الوقت. لعب وايزمان دورًا محوريًا في ضرورة استبطان الصهيونية لإنتاج المعرفة

واستخدامها لتحقيق مشاريعها. وعليه، فقد لعب دورًا مركزيًا جدًا في بلورة وتطوير وتطبيق فكرة إنشاء جامعة يهودية عبرية في القدس، وفرض تصوّراته عليها ببساطة لأنها تفي بجميع هذه الأوجه الثلاث. ومن الملاحظ بصورة مثيرة ولافتة، أن وايزمان يشير، ضمن خطاباته وكتاباته، إلى أهداف عديدة ومختلفة تقف خلف فكرة إنشاء الجامعة. ومن اللافت والمثير كذلك، أن هذه الأهداف المتعدّدة فرضت نفسها على نظرة الحركة الصهيونية بمختلف تياراتها للعلم والإنتاج المعرفي، ولا تزال قائمة في صلب بطاقة التعريف بمعاهد الأبحاث والتعليم العالي في "إسرائيل"، بمناحي معينة إلى يومنا، كما تؤكّد العديد من الأبحاث والدراسات.

دعا وايزمان ضمن أعمال المؤتمر الصهيوني الخامس في العام 1902، إلى إنشاء جامعة عبرية،[13] وفي المؤتمر الصهيوني الحادي عشر، المنعقد في فينا، خلال 2–9 أيلول/سبتمبر 1913، أقر "بحماس كبير" اقتراحًا يطالب الإدارة الصهيونية باتخاذ الخطوات الضرورية لإقامة جامعة عبرية في القدس.[14] وكان البروفيسور هرمان شابيرا، صاحب مشروع "الصندوق القومي اليهودي" (الكيرن كاييمت – JNF) الذي تأسس هو الآخر في المؤتمر الصهيوني الخامس، قام برفع مقترح لإقامة جامعة يهودية في فلسطين إلى المؤتمر الصهيوني الأول، وقد تبنّى وايزمان الاقتراح لاحقًا، وعمل جاهدًا على تنفيذه.[15] وفي العام 1918، أصبح وايزمان رئيسًا للبعثة الصهيونية المتوجّهة نحو فلسطين، لتهيئ تنفيذ فكرة "الوطن القومي اليهودي"،

---

[13]. بدأ المؤتمر أعماله في 26 كانون الأول/ ديسمبر 1901 وأختتمها في مطلع سنة 1902. حول حاييم وايزمان وبعض نصوصه المترجمة للعربية، يُنظر: أنيس صايغ (إعداد)، **الفكرة الصهيونية: النصوص الأساسية**، ترجمة لطفي العابد وموسى عنز (بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1970)، ص 443–459. وهو ترجمة للكتاب التالي:
Arthur Herzberg (ed.), *The Zionist Idea: A Historical Analysis and Reader* (Garden City, NY: Doubleday and Herzl Press, 1959).

[14]. يتسحاق ميئور، **هاتنوعاه هاتسيونيت بروسيا (الحركة الصهيونية في روسيا)** (القدس: المكتبة الصهيونية، 1974)، ص 387–391، [بالعبرية]. مقتبس لدى صبري جريس، **تاريخ الصهيونية (1862–1948) (جزآن)**، ط2 (رام الله: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 2015، 2017)، (الطبعة الأولى: بيروت ونيقوسيا: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1977، 1986)، ورد الاقتباس في الجزء الأول، ص 212.

[15]. يُنظر:
Chaim Weizmann, *Trial and Error* (London: East and West library, 1950), pp. 152-155, 174-176, 180-182.

مقتبس لدى المرجع السابق.

وفي نفس السنة، وضع حجر الأساس للجامعة العبرية في القدس، وكان رئيسًا لمجلس الأمناء فيها عندما افتتحها اللورد بلفور في العام 1925.[16]

كذلك، فقد اعتبرت الجامعة في المجتمعات اليهودية في أوروبا بالمجمل مصدرًا لمنح المكانة الاجتماعية الرفيعة، في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. لذلك، فقد عكست هذه المواقف الإيجابية تجاه الجامعة، التقدير الكبير للعلم في المجتمع اليهودي، من ناحية، والتعطّش الكبير للتعليم الذي كان سمة مميزة لهذا الجيل الأول من القيادة الصهيونية، للخروج من "الكُتّاب" (المدرسة الابتدائية التقليدية اليهودية، حيدر، بالعبرية) من أجل تحصيل الثقافة العلمانية، من ناحية أخرى.[17]

كانت الجامعة العبرية في بداية طريقها، وفق مخطّطات وايزمان، تتشكّل من مجموعة من المعاهد البحثية، غير أنها اضطرت إلى تغيير طابعها تدريجيًا، بسبب الضغوط التي مارستها شخصيات عديدة، كان من بينهم فلاديمير زئيف جابوتنسكي (أوديسا في روسيا، 1880–1940)، بحيث أضحى التأكيد الأكبر على التدريس والبحث سوية.[18] كما ورافق إنشاء الجامعة العبرية/اليهودية في القدس، مستويان من التوترات، تمثّل الأول في دور الجامعة ومكانتها ضمن المشروع الاستعماري الاستيطاني الصهيوني، وتمثّل الثاني في طبيعة الجامعة: جامعة تقليدية لتدريس الطلاب، أم مجموعة من مراكز الأبحاث التي تركز على البحث وإنتاج المعرفة. على المستوى الأول، كان هناك خلاف بين جناحين، الأول تمثله الجامعة بكوادرها وطواقمها، والثاني الحركة الصهيونية بجميع تياراتها. أما على المستوى الثاني، فكان الخلاف داخل تيارات الحركة الصهيونية نفسها، أراد التيار العمالي الصهيوني من جانب واحد أن تتكوّن الجامعة من مراكز للأبحاث والتركيز على الطابع التطبيقي للاستفادة منها في المشروع الصهيوني، بينما على الجانب الثاني، أرادت الحركة التصحيحية (Revisionist Zionism) أن تتكون من مجموعة من الكليات والمحاضرين

---

[16]. أنيس صايغ (إعداد)، **الفكرة الصهيونية**، مرجع سبق ذكره، ص 443.

[17]. يُنظر:

Anita Shapira, "The Zionist Labor Movement and the Hebrew University," *Judaism*, vol. 45, no. 2 (1996): p. 184.

[18]. جريس، الجزء الثاني، مرجع سبق ذكره، ص 184.

والطلاب لضمان عملية التدريس وتخريج أفواج من المتعلّمين، وهو أقرب إلى نموذج الجامعة الشعبية، للاستفادة منهم في المشروع الصهيوني.

كذلك، نشهد توترات فرعية داخل كل مستوى من هذين المستويّين من حيث أهداف الجامعة وأهميتها لدى المشروع "القومي" الصهيوني. وقد تمثّلت هذه التوترات في العلاقة بين العنصر الجسدي والعنصر الفكري (أي: الفعل الجسدي في مقابل الفعل الروحاني)؛ والالتزام بالأهداف القومية على حساب الطموح الشخصي للباحثين والمحاضرين في السعي نحو مكانة أكاديمية؛ وحدود الحرية الأكاديمية ضمن إطار "حركة قومية أيديولوجية". وسيتم التوقّف عند هذه التوترات والخلافات وتأثيرها على فكرة إنشاء الجامعة في سياق البحث الحالي. فلم تكن الحركة الصهيونية، بتياراتها وأطيافها المختلفة، وبقياداتها وزعمائها، موحدة في نظرتها وتفكيرها تجاه فكرة إنشاء جامعة عبرية/يهودية في القدس وطبيعتها ومكانتها وغاياتها وأدوارها.

أجمع الباحثون على أن الوظيفة الأساسية لفكرة الجامعة الأوروبية تمثّلت في إنتاج المعرفة، وكان هذا الدور هو المهيمن عليها منذ القرن التاسع عشر، إذ:

> ظهر الشكل الحديث والمعروف الآن للجامعات في القرن التاسع عشر، وقد تميز بتراتبية وظيفية وأكاديمية واضحة، فضمّت الجامعات بين جنباتها كليات معرفة وبحث متخصّصة ومتعدّدة المجالات. وتحوّلت الجامعات الحديثة إلى جامعات تأهيل وبحث، وتم الدمج فيها بين التدريس والبحث العلمي بشكل منهجي، وعزّزت فكرة الدولة القومية وصعودها العلاقة بين الجامعة والدولة، بينما أدى صعود الاقتصاد الرأسمالي والمجتمع الصناعي إلى تعزيز العلاقة بين المجتمع والجامعة، كمؤسّسة تأهيل مهني وبحث علمي تساهم في التنمية والتأثير على السياسات الجماهيرية.[19]

---

[19]. مهند مصطفى، **المؤسّسة الأكاديمية الإسرائيلية: المعرفة، السياسة والاقتصاد** (رام الله: مدار، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2014)، ص 13، استنادًا إلى:

Sophie Forgan, "The Architecture of Science and the Idea of a University," *Studies in History and Philosophy of Science*, vol. 20, no. 4 (1989): pp. 405-434.

بعبارات أخرى، فإن تقاطع الفكرة القومية مع أهمية العلم والإنتاج المعرفي، فتح الباب أمام الجامعات لتعلب أدوارًا محورية هامة في المجتمعات الناشئة حديثًا، وفي الحالة الصهيونية، كان لها عدة أدوار مهمة في المشروع الصهيوني، على صعيد تعزيز فكرة "القومية اليهودية" والثقافة القومية كما سنرى في معرض فصول البحث الحالي.

في المقابل، تشير أنيتا شابيرا (Anita Shapira) إلى أن الجامعة العبرية قد لعبت دورًا هامشيًا في الحركة الصهيونية بشكل عام، والتيار العمالي بشكل خاص. فبينما لعبت مؤسّسة الجامعة، وفق شابيرا، دورًا مركزيًا في الحركات القومية الأوروبية، حيث ساهمت بصورة بالغة في إعادة إحياء وإنشاء الثقافات القومية، على صعيد اللغة والملاحم والأساطير القومية والفولكلور، لم تجر الأمور على هذا النحو في حالة الصهيونية. إذ ترى شابيرا إن "النهضة اليهودية بعامة"، و"الثورة الثقافية" بخاصة، قد جرت خارج الحرم الجامعي وبعيدًا عن الحلبة الأكاديمية. والمثال الأكثر وضوحًا على ذلك، يتمثّل في إحياء اللغة العبرية، إذ لم يجر ذلك بفضل هيئات أو شخصيات أكاديمية أو بفضل مشاركتها ومساهمتها.[20] فصحيح أن المعقل الرئيس للغة العبرية تحوّل لاحقًا إلى مقر الجامعة العبرية، التي لعبت دورًا رئيسيًا في توسيع نطاق اللغة إلى مجالات جديدة ومستحدثة، وطوّرت فهمًا خاصًا لـ"روح" اللغة العبرية،[21] ولكن الجامعة جاءت لتعزيز توجّهات وأيديولوجيات كانت قائمة في الصهيونية أصلاً وسعت إلى تطبيقها على أرض الواقع. بعبارات أخرى، فإن دور الجامعة العبرية تمثّل بالأساس في التعزيز لا في الإبداع أو استحداث قضايا تصب في صلب الفكرة الصهيونية.

بخلاف ذلك، يرى مهند مصطفى أن مؤسّسات التعليم العالي وإنتاجها المعرفي الأكاديمي في المستوطنات اليهودية في فلسطين، وفي "إسرائيل" لاحقًا، قد ساهمت في قضايا التخطيط والبناء والاستيطان، وتزويدها ما تطلب من معرفة ضرورية وأدوات علمية على المستويّين، العسكري والمدني، وخاصة بعد الحرب العالمية

---

[20]. يُنظر: Shapira، مرجع سبق ذكره، ص 185.

[21]. إيال خوبرز، "الجامعة العبرية: اللغة والعنف في الصهيونية المبكرة"، **قضايا إسرائيلية**، عدد 53 (2014): ص 34-36.

الثانية وعشية حرب فلسطين. ويضيف أن المؤسّسة الأكاديمية تمكّنت من أن تموضع نفسها، كإحدى المؤسّسات الهامة، سواء على صعيد إنتاجها المعرفي والبحثي أو على صعيد دورها المميز في بناء "الدولة"، وخصوصًا في حالة المجتمع الإسرائيلي، بوصفه مجتمع "مهاجرين" وأقليات ومستوطنين، وما يحمله ذلك من تحديات كبيرة على "الدولة الناشئة". ويضيف أن المؤسّسة الأكاديمية الإسرائيلية قد تطوّرت في ظل احتياجات المشروع الصهيوني و"الدولة"، لتتحوّل لاحقًا إلى إحدى الأدوات المركزية في الحركة الصهيونية وإسرائيل. ويؤكّد مصطفى على أنه "كان التمازج بين السياسة والمؤسّسة الأكاديمية كبيرًا في تطور الأخيرة بداية من الإنتاج المعرفي في كل حقوله الطبيعية والتكنولوجية والاجتماعية والإنسانية وانتهاءً بالتطوّرات الصغيرة التي قد تبدو غير مُسيَّسة".[22]

انطلاقًا من هذا، سيتم ضمن الرسالة الحالية بحث العلاقة ما بين العلم والإنتاج المعرفي وما بين الصهيونية، في السياق الاستعماري الاستيطاني، ومكانة العلم لدى المفكرين الصهيونيّين، وذلك من خلال فكرة إنشاء الجامعة العبرية في القدس، والدور الذي لعبه حاييم وايزمان في هذا الصدد وتصوّراته حول فكرة إنشاء جامعة يهودية في فلسطين الانتدابية كحالة دراسية تعكس توجّهات مركزية في نظرة الصهيونية إلى العلم وتجنيده لتحقيق مشروعها.

تندرج فكرة إنشاء الجامعة العبرية في عدة سياقات هامة من خلال مساهمتها في تطبيع الوجود الصهيوني في فلسطين؛ وتعزيز فكرة الجامعة بوصفها منارة لاستحداث "قيم يهودية جديدة" تسعى إلى مؤازرة الحركة "القومية اليهودية" في فلسطين لبناء الإنسان والواقع اليهوديّين الجديدين؛ وتعزيز تصوّر المشروع الصهيوني بوصفه استكمالاً واستمرارًا للمملكة اليهودية القديمة ("مملكة إسرائيل القديمة")، والقفز عن سنوات "المنفى" الطويلة – 2000 سنة؛ وإنتاج المعرفة كأداة لإعادة استكشاف أو استحداث/اختلاق أو "انبعاث الماضي القومي اليهودي التليد" في فلسطين؛ وتجديد الفكر الديني اليهودي؛ وإنتاج المعرفة اليهودية كأداة لإعادة اليهود إلى "التاريخ" بوصفهم فاعلين لتشكيل واقعهم لا خاضعين خاملين لعجلة التاريخ ولسلطة الشعوب

[22]. مصطفى، مرجع سبق ذكره، ص 21.

الأخرى؛ وتحقيق مقولة يهودية تقليدية تصف اليهود "نورًا للأغيار"؛ والتنافس مع سلطة الانتداب البريطانية في فلسطين لطمس المعارف العربية المحلية واستبدالها بمعارف غربية وفرضها على السكان، كأداة استعمارية للسيطرة على المجتمع الفلسطيني المحلّي واختراقه من خلال دراسته؛[23] وعلى الصعيد الصهيوني، فرض معارف يهودية أوروبية، تطوّرت في شرق وغرب أوروبا، على فلسطين وسكانها واستبدال المعارف اليهودية الشرقية التي تطورت في البيئة العربية والإسلامية منذ القرن الثامن وحتى القرن العشرين،[24] وبهذا المعنى تتجلّى مساهمة الجامعة من بين جملة الأمور في إعادة تشكيل "اليهودية" من جديد انطلاقًا من هذه المعارف الغربية واليهودية التي تطوّرت في شرق وغرب أوروبا وطمس المعارف اليهودية والهوية اليهودية التي تطوّرت في "الشرق"، إلى جانب طمس المعارف العربية والفلسطينية المحلّية. كما وتكمن أهمية الإنتاج المعرفي والعلم لدى الصهيونية، إلى جانب ذلك كله، في سعيها للسيطرة على تشكيل الوعي اليهودي ضمن مجتمع المستوطنين والعالم اليهودي، وتصوير الفكرة الصهيونية كأنها فكرة يهودية أصيلة كانت كامنة دومًا في الوعي اليهودي على مدار تاريخه، وذلك بهدف تطبيع الوجود اليهودي في فلسطين واستدامة المشروع الصهيوني الاستعماري الاستيطاني.

عند دراسة حالات مرتبطة بالجانب الاستعماري الاستيطاني، من المهم دراسة السياقات التاريخية والاجتماعية والثقافية للعناصر أو المحاور التي تشكّلها، أي دراسة هذه العناصر أو المركبات ضمن سياقاتها الاستعمارية الاستيطانية. ويسعى البحث الحالي التوقّف عند هذه المحاور، بالقدر الذي يسمح به المجال، لتفسير وتحليل مقاربة تلك المركبات مع الحالة الصهيونية.

---

[23]. يُنظر:

Pinhas Ofer, "A Scheme for the Establishment of a British University in Jerusalem in the Late 1920s," *Middle Eastern Studies*, vol. 22, no. 2 (1986): pp. 274-285.

[24]. يُنظر بصورة خاصة:

Ella Shohat, "The Question of Judeo-Arabic," *Arab Studies Journal*, vol. xxiii, no. 1 (2015): pp. 14-76; idem, "The Invention of Judeo-Arabic: Nation, Partition and the Linguistic Imaginary," *Interventions: International Journal of Postcolonial Studies*, vol. 19, no. 2 (2017): pp. 153-200; Yuval Evri, *Translating the Arab-Jewish Tradition: From* al-*Andalus to Palestine/Land of Israel*, Essays of the Forum Transregionale Studien no. 1 (Berlin: Forum Transregionale Studien, 2016).

تنقسم القضايا قيد الفحص ضمن الرسالة إلى أربعة أقسام مركزية: يتوقّف القسم الأول عند الخلفية التاريخية والمنهجية، من خلال عرض السياقات التاريخية والاجتماعية والسياسية والثقافية والفلسفية، التي أفضت إلى ظهور وتشكيل الحركة الصهيونية، وعلاقتها مع العلوم المختلفة، وبدايات تبلور فكرة إنشاء مؤسّسة يهودية للتعليم العالي؛ وإنشاء الجامعات في السياق الأوروبي والدلالات التي منحت لها والأدوار التي عزيت لها؛ والمنهجية وأدوات الدراسة؛ إضافة إلى مراجعة الأدبيات والدراسات التي تناولت موضوع البحث.

يتناول القسم الثاني الإطار النظري المعتمد، ويتضمّن عدة محاور نظرية واصطلاحية وأدوات تحليلية تكشف عن أهمية الإنتاج المعرفي والعلم كأدوات للاستعمار وبناء القومية وتشكيل المجتمعات الحديثة وتحقيق المشروع السياسي، من خلال موقع العلم في الفكر الحداثي والاستشراقي؛ وإنتاج المعرفة كأداة استعمارية للسيطرة والهيمنة على الأرض والمكان والزمان؛ والعلاقة القائمة بين مؤسّسات إنتاج المعرفة وفكرة الاستعمار وسياساته، وتوظيف المعرفة العلمية لتحقيق المشاريع السياسية والاستعمارية؛ والمشروع الاستعماري بوصفه مشروعًا ثقافيًا بصورة رئيسة إلى جانب أبعاد رئيسة أخرى؛ ومساهمة إنتاج المعرفة والجامعات في بناء مجتمع جديد وتحديث المجتمع القائم؛ ودور العلوم في إعادة إنتاج الجسد اليهودي ووعيه واليهودي الجديد ومنظوره للحياة؛ وإنتاج المعرفة كأداة لتشكيل "الماضي القومي" وتأويلاتها الصهيونية.

أما القسم الثالث، فيتناول العلاقة التي تربط الصهيونية بالعلم والإنتاج المعرفي، من خلال تحليل نظرة بعض مواقف المنظرين والقادة الصهيونيّين للعلم، وتوضيح موقع العلم في الفكر الصهيوني؛ إضافة إلى توضيح مفهوم العلم وأهميته لدى حاييم وايزمان، وتمازج العلم والسياسة لديه في معرض المشروع الصهيوني.

يتوقّف القسم الرابع عند فكرة إنشاء الجامعة العبرية في القدس تحديدًا، من خلال عرض مراحل تأسيس الجامعة العبرية، منذ اتخاذ القرارات الأولى لإنشائها مرورًا بالاختلافات والنقاشات حولها؛ والتوقّف عند نظرة

وأهداف حاييم وايزمان للجامعة العبرية المزمع إقامتها في القدس؛ وتبيان الفكرة ضمن السياق "القومي اليهودي" الصهيوني؛ والسياق الاستعماري الاستيطاني، بأبعاده الثلاثة؛ وسياق البعث الثقافي وأبعاده الدينية اليهودية؛ ومن ثم خلاصة عامة توجز النقاط الأساسية والنتائج التي توصّل إليها البحث.

الفصل الأول

الخلفية التاريخية والمنهجية

1-1. الخلفية التاريخية

ولدت الحركة الصهيونية بين أوساط مسيحية ويهودية نتيجة للظروف السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي سادت أوروبا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ضمن مخاض طرح الحلول المختلفة للمسألة اليهودية وللظواهر التي رافقتها، بدءًا من الانصهار في المجتمعات الأوروبية وحتى ارتكاب مجازر وحشية بحق السكان اليهود وخاصة في روسيا (مثل سلسلة مجازر "عواصف النقب" 1881-1882). كما تبنت الصهيونية عدة أفكار أيديولوجية ونظرية لتساعدها على تحقيق أهدافها، إذ تم إسقاط المنظور الهيغلي (بمعنى أن الوعي يسبق الواقع ويشكّله، بعكس المنظور الماركسي) على الظواهر التي نشأت وارتبطت باليهودية واليهود من مثل وقيم وأيديولوجيا على الواقع والتاريخ اليهودي.

فقد حدث في أوروبا، في أواخر القرن الثامن عشر، قبل نشوء الصهيونية بنحو مائة عام، حدثان مهمان، كان لكل منهما تأثير، بعيد المدى، على أوضاع اليهودية هناك، بكافة جوانبها، استمر خلال القرن التاسع عشر، حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، عام 1918، على الأقل، بحيث لا يقل أهمية الواحد عن الآخر في تأثيره على التاريخ اليهودي المعاصر. تمثّل الحدث الأول في الثورة الفرنسية (1789)، والأفكار والإجراءات التي تبنّتها لتحرير اليهود، لمنحهم حقوقًا سياسية واجتماعية كاملة أسوة ببقية المواطنين الفرنسيّين؛ أما الثاني، فتمثّل في تقسيم بولونيا للمرة الثالثة بين الدول المجاورة (1795)، بحيث خضعت معه أكثرية اليهود تحت حكم روسيا القيصرية، حتى استقلالها من جديد في سنة 1918 والمناداة بإقامة "بولندا الكبرى" (أي بحدود ما قبل سنة 1795).[25] إلى جانب ذلك، فقد برزت "المسألة اليهودية" كذلك في

[25]. جريس، الجزء الأول، مرجع سبق ذكره، ص 25.

أواخر القرن الثامن عشر في ذروة عصر التنوير الأوروبي والثورة الصناعية وما أعقبها من تغييرات اجتماعية وثقافية واقتصادية.[26]

نشأت وتبلورت الأفكار الصهيونية الرئيسة في أواسط القرن التاسع عشر، في وسط وشرق أوروبا، وبتأثير كبير من ظهور حركات قومية في بلدان شرق أوروبية وفي البلقان خصوصًا، في الوقت الذي كانت قد انتشرت فيه الأفكار التحرّرية وقيم المساواة والحرية وخيبة الأمل منها كذلك، كما عبرت عنها الثورة الفرنسية وردود الفعل عليها من ناحية؛ والوقوف على صعوبة تحقيق هذه الأفكار على أرض الواقع الأوروبي، من ناحية أخرى.[27] وقد صيغت الصهيونية ضمن مصطلحات ومنطقيات القومية بصيغتها الشرق أوروبية الإثنية، وعلّق غرشون شافير (Gershon Shafir) على ذلك بقوله: "إن الصهيونية عبارة عن مجموعة متنوعة من الأفكار المستقاة من القومية الشرق أوروبية ... حركة عرقية تبحث عن دولة"، غير أن الدولة اليهودية لم تنشأ في أوروبا نفسها، بل في المدى الحيوي الاستعماري،[28] إذ إن "البيئة السياسية التي نشأت فيها الأفكار الصهيونية، كما فهمها مؤسّسوها، كانت تشكّل حركة قومية بالأساس".[29]

لم يقم العالم الأوروبي الجديد على الفكر الليبرالي وقيم الحرية فحسب، بل على الفكر القومي والعرقي كذلك، وبالتالي، كان المجتمع الأوروبي يعيد إنتاج مفاهيمه ومجتمعه الجديد من خلال المفاهيم القومية والعرقية الأوروبية، إضافة إلى الأفكار الليبرالية. وفي هذا الإطار، تأثرت الصهيونية بالفكر القومي الشرق الأوروبي، شرق نهر الراين، والذي كان مختلفًا عن الفكر القومي الذي نشأ غرب النهر. إذ نجد أن نموذج الوسط والشرق أوروبي (ألمانيا، إيطاليا، روسيا، البلقان) للمشروع القومي هو أساسًا مشروع يقوم بصورة مركزية

---

[26]. جوزيف مسعد، **ديمومة المسألة الفلسطينية: حول الصهيونية والحركة الوطنية الفلسطينية** (بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، 2009)، ص 13.

[27]. رائف زريق، "إسرائيل: خلفية أيديولوجية وتاريخية"، في: **دليل إسرائيل العام 2011**، تحرير كميل منصور (بيروت: مؤسّسة الدراسات الفلسطينية، 2011)، ص 3–58.

[28]. مقتبس عند:

Nadia Abu El-Haj, *Facts on the Ground: Archaeological Practice and Territorial Self-Fashioning in Israeli Society* (Chicago: The University of Chicago Press, 2001), p. 4.

[29]. زريق، "إسرائيل"، مرجع سبق ذكره، ص 3.

على أسس "عرقية – لغوية – وشائجية"، تسبق فيه القومية وجود الدولة، فهي التي تقيم الدولة، وهي قائمة – أو هكذا يُخيل إليها – قبل الدولة وبعدها، وهو تحديدًا ما نجده في الخطاب الصهيوني منذ نشأته، إذ ما هي الدولة، ضمن هذا المنظور، لا سيما الصهيونية، سوى "أداة في خدمة المشروع القومي الأشمل والأوسع بكثير، ونجدها دومًا حاضرة لتقوم بواجبها القومية، وتُخضع نفسها لتحقيق أهدافه وغايات الحركة القومية".[30]

لذا ساهمت انتشار المبادئ الأساسية للثورة الفرنسية، الحرية والمساواة والإخاء، بالإضافة إلى الليبرالية، في تبلور مفاهيم الحرية والانعتاق للحركة الصهيونية، من ناحية، ولكن نجدها، على الجانب الآخر، قد عزّزت مفاهيم القومية العرقية بالمفهوم الشرق أوروبي والسعي نحو تأسيس دولة أو وطن قومي من أجل ممارسة هذه المفاهيم على أرض الواقع.

ظهرت بين اليهود في النصف الثاني للقرن الثامن عشر في وسط وشرق أوروبا حركة الهسكلاه (كلمة عبرية تعني "تثقيف" أو "استنارة" Enlightenment)، ممثلة بشخص موشي مندلسون (ديساو في ألمانيا، 1729–1786)، وهي حركة تحرّر علمانية بجوهرها الأساس. طالبت هذه الحركة بتحرير العالم اليهودي من عزلته الروحانية، وهدم جدران الغيتوات وتقويض سلطة رجال الدين الذين يهتمّون بديمومة الواقع القائم. كما نادى مندلسون إلى منح اليهود الحريات المدنية والاقتصادية، وطالب اليهود أنفسهم، موجهًا كلامه إلى رجال الدين أساسًا، الابتعاد عن ذلك التراث الديني الذي يدعو إلى معاداة حرية الفكر والتعصب الديني، وهما خاصيتان تميّزت بها التجمعات اليهودية في القارة الأوروبية في القرون الوسطى ومطلع العصر الحديث. أسس تلاميذ مندلسون، في سنة 1778، مدرسة يهودية "حرة" في برلين، درس الطلاب فيها، التوراة واللغة العبرية، بالإضافة إلى أسس العلوم العصرية باللغة الألمانية. وبهذا، أدخل تلامذة مندلسون تحديثًا بالغ الأهمية على طرق تثقيف اليهود، التي كانت حتى ذلك الوقت، محصورة بالتعاليم الدينية أساسًا. تخرّج من هذه المدرسة، خلال السنوات العشر الأولى لقيامها، عدد من الطلاب اليهود (500 طالب تقريبًا)

---

[30]. المرجع السابق، ص 4–5؛ للتوسّع، يُنظر: نبيه بشير، **عودة إلى التاريخ المقدّس: الحريدية والصهيونية** (دمشق: قدمس للنشر والتوزيع، 2005)، الفصل الأول.

دخلوا حياة المجتمع الألماني بمفاهيم جديدة، فكانوا طلائع اليهود الذين بدأوا في الاندماج في المجتمعات الأوروبية، التي يعيشون فيها، ويتقدمون في مختلف مجالات الحياة. وأدى ذلك، من ناحية أخرى، إلى قيام مدارس أخرى مشابهة، في عدة مدن ألمانية، ولاحقًا، وبين الطوائف اليهودية في غرب أوروبا.[31]

أدت مساعي تحرير اليهود ومنحهم الحقوق المدنية، في دول أوروبا الغربية، نتيجة للثورة الفرنسية وانتشار أفكارها، إلى تأثيرات واضحة على أوضاع اليهود الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، ومن ثم على مواقفهم السياسية هناك، ثم مواقف الشعوب الأخرى منهم. فقد استجابوا للحقوق التي منحت لهم، في هذه الدول، واندمجوا وانصهروا، كأفراد، في المجتمعات التي عاشوا بينها، بعد أن تفككت الروابط الدينية–الطائفية، تدريجيًا، التي كانت تشد بعضهم إلى بعض، وحلت محلها القيم الجديدة التي سادت في عصرهم، فبرز الكثيرون منهم في ميادين عديدة، علمية وثقافية وسياسية. وفي الوقت نفسه، بدأ اليهود ينتقلون من القرى إلى المدن، وتغيرت أعمالهم وفقًا لذلك، إذ اتجه الكثيرون منهم إلى العمل في التجارة، وبرز العديد منهم، خاصة، في مجالي الصحافة والأدب. ومع هذا التحول، ضعف ذلك التيار من الهسكلاه، الداعي إلى إحياء التراث العبري – الذي انتقل إلى روسيا وأوروبا الشرقية – بعد أن اتجه اليهود إلى دراسة لغات وآداب الشعوب التي يعيشون بينها، دعمًا لاتجاه التقارب منها.[32] ولكن النزعات العنصرية ومعاداة اليهود في البلاد الأوروبية، وكذلك نشوء حركات قومية جديدة في البلقان وشرق أوروبا، قد دفعت بالعديد من اليهود إلى الابتعاد عن طرح الاندماج والبحث عن مخرج آخر يمنحهم المساواة والحرية ضمن سيادة يهودية على صيغة الحكم الذاتي الثقافي أو دولة أسوة ببقية الشعوب الناهضة. وقد تتوّجت هذه المساعي بظهور أفكار صهيونية وأخرى تنادي بالحكم الذاتي الثقافي لليهود في جميع أماكن تواجدهم خصوصًا في شرق أوروبا حيث كانت تعيش غالبية اليهود في حينه.

---

[31]. جريس، الجزء الأول، مرجع سبق ذكره، ص22–23.

[32]. المرجع السابق، ص 25–28.

كما ظهرت، في أوروبا، خلال القرن التاسع عشر، في سياق تيار القومية الرومانسية، "الرواية التذكارية المسيطرة" (master commemorative narrative) حول "النفي والعودة" التوراتيان، المتجذّرة في الثقافة السياسية الأمريكية بصورة خاصة،[33] فالصهيونية في الأساس، هي محاولة جديدة لتفسير الأسطورة الدينية اليهودية، وليست عملية استبدال جذرية للأسطورة، إذ إن ما فعلته الصهيونية هو إسقاطها مفاهيم القومية الشرق أوروبية عليها. وعلى الرغم من "حدة القطع والصراع بين اليهودية كدين وبين المشروع القومي الصهيوني، فإن الفصل لم يتم بين الأمة والدين، أو بين الدين والدولة".[34]

لكن، لم تكن الصهيونية الحركة القومية الوحيدة التي تضيف بعدًا مقدسًا ودينيًا إلى مشروعها السياسي، بل هذه هي حال كثير من الحركات القومية في شرق أوروبا، مثل القوميات السلافية والجرمانية واليونانية وحتى القومية الإيرلندية. هذا لا يعني أن الصهيونية هي حركة قومية عادية وطبيعية، لا تختلف عن غيرها من الحركات القومية الحديثة، إذ جرى في هذه الحركات إسقاط صبغة دينية مطلقة على الرموز القومية من أجل شحن وتعبئة الجمهور وراءها، لكن في الحالة الصهيونية لم يكن الدين على هامش المشروع القومي، وإنما "استقت (الصهيونية) رموزها القومية وأفكارها ذاتها من التراث الديني، ثم أفرغتها من محتواها الروحي والأخلاقي ونقلتها من مجالها الديني، حيث تجد شرعيتها الوحيدة، إلى المجال السياسي". وبذلك تتميز الصهيونية لا بتبنّي مصطلحات دينية، مثل "شعب الله المختار"، أو "أرض الميعاد"، وتحويلها إلى أفكار قومية فحسب، بل أيضًا بـ"تبنّي سمة بنيوية أساسية في التيار الحلولي اليهودي، وهو الاتجاه نحو المزج العضوي بين المقدس والقومي والمطلق والنسبي".[35]

---

[33]. ديفيد غن، "العام القادم في أورشليم: التوراة، والهوية، والخرافة على الإنترنت"، في: **القدس: أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ**، تحرير توماس تومبسون وسلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة فراس السواح (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2003)، ص 337.

[34]. زريق، "إسرائيل"، مرجع سبق ذكره، ص 10.

[35]. المرجع السابق، ص 10–11.

وعليه، فقد كانت الحركة الصهيونية تمثل حالة نقيض وصراع وانسجام، في نفس الوقت، مع الفكر الحداثي والفكر التنويري والتحرّري والفكر القومي الأوروبي، الذي كان يمثل حالة نقيض متوتّر مع الماضي والمقدّس، وعملت الصهيونية على "المزج العضوي" ما بين هذه العناصر في سبيل مشروعها الاستعماري الاستيطاني. لم تسع الحركة الصهيونية، عن طريق تأسيس دولة، إلى نقل اليهود إلى عصرٍ جديدٍ من التاريخ أو زرعهم في أرضٍ جديدة، وإنما سعت، أيضًا، لأن تخلق ليهود أوروبا "مجالاً كاملاً من الأنشطة الاقتصادية/المادية" التي حُرموا منها في أوروبا، خاصة في المجال الزراعي:

> وهكذا لم تهدف الحركة الصهيونية، إلى استنبات اليهود الأوروبيّين في منطقة جغرافية جديدة، فقط، وإنما سعت إلى تحويل الطبيعة الفعلية للمجتمع اليهودي الأوروبي وهويته، كما كانت قائمة حتى ذلك الوقت، في الشتات. ولقد كان جسد اليهودي الأوروبي هو الموضوع المركزي لهذا التحول.[36]

إذ لم تكن الحركة الصهيونية، كـ"حركة قومية"، حركة عادية تسعى فقط إلى إنشاء دولة يهودية لليهود، بل كانت تسعى لخلق دولة وإنتاج مواطنيها، بالمفاهيم الجديدة التي اكتسبتها من أوروبا نتيجة لانتشار الفكر القومي والحداثي، لتصبح الدولة – كجغرافيا وأرض– هي الأساس، و"القومية اليهودية" هي البوصلة لإنشاء هذه الدولة، وليصبح اليهود عن طريق تأسيس هذه الدولة، ذوات فاعلة في التاريخ، كما جرى تصور ذلك في أوروبا. فإن:

> "التاريخ" الذي تود الحركة الصهيونية أن تعيد اليهود إليه هو مفهوم التاريخ كما جرت علمنته في أوروبا. لقد حل المفهوم العلماني للتاريخ، والذي تشكّلت فيه القوميات، بوصفها ذوات فاعلة وناشطة، محل المفهوم السابق للتاريخ والمسمى بالتاريخ المقدس، أي الفهم المسيحي الذي أبقى اليهود خارجه. إن المفهوم الأوروبي الجديد للتاريخ، يقوم على ترسيخ فكرة العقلانية والتنوير والتقدم الحضاري والاجتماعي التي تشكل الدولة القومية فيه لاعبًا أساسيًا محل فكرة الخلاص

---

[36]. مسعد، مرجع سبق ذكره، ص 66.

الإلهي. وعندما تدعي الصهيونية أنها تنوي إعادة اليهود إلى التاريخ، فإنها تنوي، في الواقع، إعادتهم إليه بالطريقة التي تفهمها أوروبا، أي أنها تريد أن "تنجح"، بحسب المفاهيم الأوروبية، في مشروع الدولة القومية، كما جرت بلورته في القرن التاسع عشر بكل ما يعني الأمر من مفاهيم أخرى تتعلق بالتقدم، والحضارة، والعقلانية، والتنوير، إلخ.[37]

والصهيونية هي مشروع لإعادة اليهود إلى مسرح التاريخ، من ناحية أن لها "طبيعة ثورية" وتمثل "انقلابًا" على اليهودية والدين، إذ يشدّد الكثير من الصهيونيّين على ذلك، ممن يعتبرون أنفسهم علمانيّين وصهيونيّين، في آن واحد:

وبما أن اللاعبين على هذا المسرح، كما تم فهمه، في القرن التاسع عشر، هم الذات القومية، فهذا يتطلب صوغ مشروع يهودي قومي جغرافي، يعيد لليهود دورهم، كلاعب وكذات فاعلة، تأخذ مصيرها في يدها، وتخرج اليهود من الحالة السلبية التي عاشوها في أوروبا إلى حالة عمل سياسي وفعلي. فالخلاص لا يأتي من الابتهال لله، وإنما من العمل السياسي الجماعي القومي. وبالتالي، ليس من المفاجئ أن ترى إصرار كثيرين من العلمانيّين الصهيونيّين على أن "الصهيونية ليست استمرارًا في الرغبة الدينية اليهودية الخلاصية، وإنما هي أيديولوجيا حداثية وثورية ترمز إلى إحداث قطع واضح عن الإيمان الديني الخلاصي السلبي".[38]

والحقيقة أن بعض الحاخام السابقين لنشوء الحركة الصهيونية، المكنّون "مبشرو الصهيونية" كيهودا القلعي (1862) وتسفي هيرش كاليشر (1843)، وكذلك يهود علمانيّين كموسى هس (1862)، قد وضعوا تأويلاً جديدًا لمفهوم الخلاص مفاده أن الخلاص الإلهي لا يأتي من السماء كمعجزة، كما فهم غالبية الحاخامات

---

[37]. زريق، "إسرائيل"، مرجع سبق ذكره، ص 12.

[38]. المرجع السابق، ص 8.

حتى تلك منتصف القرن التاسع عشر، وإنما هو خلاص إلهي يأتي بعد أن يبذل الإنسان جهوده البالغة لتحقيقه.[39]

ومن هؤلاء الصهيونيون اللاحقون الذين يشدّدون على هذه "الطبيعة الثورية"، دافيد بن غوريون (بلونسك في بولندا، 1886–1973)، ففي توصيفه للحركة الصهيونية، في مقالته "متطلبات الثورة اليهودية" (1944)، وصفها على أنها "ثورية"، ووضعها بجانب الثورات الأخرى، بل وضعها على قمة هذه الثورات بمواجهتها "القدر"، أنها:

> ليست الثورة اليهودية الأولى ولا الوحيدة في تاريخ العالم، ولكنها الأصعب. لقد قامت، في العالم، عدة ثورات عظيمة، وستقوم ثورات أخرى، ولكن، تختلف الثورة اليهودية مبدئيًا عن سائر الثورات، لذلك فإن عملها سيكون أصعب. لقد كانت الثورات في الماضي كما في الحاضر عبارة عن انتفاضات ضد نظام، أو كيان سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي، أما ثورتنا فهي موجهة ليس ضد النظام، فحسب، ولكن، ضد القدر أيضًا، ضد قدر فريد لشعب فريد.[40]

لقد تبيَّن مما ورد أعلاه، كيف كانت الظروف المحيطة والسياقات المختلفة، التاريخية والثقافية، بنشأة الحركة الصهيونية، والعوامل التي أسهمت في تبنيها الأفكار القومية التي كانت سائدة في أوروبا في القرن التاسع عشر. أفسحت هذه الأفكار القومية المجال لتبنّي أفكار وأطر أيديولوجية أخرى مرتبطة بالاستعمار والمرتكزات العنصرية والعلمية التي اعتمدت عليها قوى الاستعمار الأوروبي الغربي في مرحلة توسعها الاستعماري الاستيطاني. إن:

> الحركة الصهيونية، كحركة إرادية، تعتمد على الذات من ناحية، وعلى مساعدة الدولة الاستعمارية من ناحية أخرى، خططت أولاً لإنشاء حركتها القومية، وثانيًا لإقامة دولتها، وذلك كله في ظل

---

[39] يُنظر: يهودا القلعي، "الخلاص الثالث"، في: أنيس الصايغ (إعداد)، **الفكرة الصهيونية**، مرجع سبق ذكره، ص 10–12؛ تسفي هيرش كاليشر، "السعي لصهيون"، في: المرجع السابق، ص 14–17؛ موسى هس، "رومه والقدس"، في: المرجع السابق، ص 21–42، وخاصة ص 42.

[40]. دافيد بن غوريون، "متطلبات الثورة اليهودية (1944)"، في: المرجع السابق، ص 474.

عدم وجود أي عامل موحد على أرض الواقع، تقريبًا. وفي ظل غياب المشترك في الواقع، تنشأ الحاجة إلى حضور المشترك في الوعي، وإلى مقومات أخرى مادية، تعوض غياب الجسم المركزي المنظم. وبعد أن يتسلّح الوعي بمقولات وأفكار معينة، يصبح بحد ذاته جزءًا من الواقع. وعليه، وفي أوضاع تشتّت مطلق وغياب الواقع المحدّد، فقد احتاجت الحركة الصهيونية إلى خلق خطاب في استطاعته أن يوحّد اليهود، وأن يجعل من اللغة، والحلم، والأسطورة، والدافع، والتاريخ، والمستقبل، عالمًا يتسع لليهود جميعًا، ويشحنهم شطر الأرض الموعودة، الأمر الذي تمثل في لغة، وفي خطاب غزير المعاني والدلالات، خطاب مطلق مشحون عاطفيًا ودينيًا.[41]

بالإضافة إلى ذلك، فقد عملت الحركة الصهيونية على استحضار الماضي، وتطويعه، وجعله، كأساس، لذلك الخطاب. وإلى جانب هذا الخطاب "القومي والثوري" الصهيوني الذي تم استخدامه وتوظيفه، ارتكزت الصهيونية، أيضًا، كأساس آخر، على الخطاب العلمي.

فقد تم توظيف الخطاب الطبي والعلمي وغير العلمي في خدمة أهداف الصهيونية، التي سعت إلى خلق/إنتاج "نوع يهودي جديد"، صحيح وكامل، ومتجانس مع أفراد المجتمع، ومختلف من جميع النواحي الثقافية والبيولوجية والاجتماعية عن يهود الشتات.[42] لقد كانت مسبّبات الانحطاط عند اليهود في أوروبا مختلفة في شرق أوروبا عن غربها، ففي حالة يهود شرق أوروبا، كان الانحطاط نتيجة للفقر والاضطهاد و"المستوى المنخفض للحضارة"؛ أما في حالة يهود غرب أوروبا، فهو نتيجة لطُرق الحياة الحديثة وذوبان/اندماج واستيعاب اليهود (assimilation/integration) في المجتمعات الأوروبية. لذا، ظهرت الصهيونية بوصفها حلاً لكل هذه المشاكل، إذ سوف تؤدي إلى تغير أنماط عمل اليهود، وستعمل على

---

[41]. زريق، "إسرائيل"، مرجع سبق ذكره، ص 19.

[42]. يُنظر: Hirsch، Zionist Eugenics، مرجع سبق ذكره.

وقف سيرورة انصهار وذوبان اليهود في بلدان غرب أوروبا، وستقوم بتوفير فرصة العمل اليدوي ليهود شرق أوروبا، وحل المشاكل السياسية والاقتصادية اليهودية. وبالتالي، تحسين "العرق اليهودي".[43]

كما جاءت الصهيونية، كذلك، لتجد حلاً للمسألة اليهودية، المتعلقة بملاحقة اليهود وصعود اللاسامية، باستخدام الأدوات المفاهيمية ذاتها التي كانت سائدة في أوروبا، وتبنت عالم المفاهيم القومي والسياسي، المسيطر في شرق أوروبا، الذي يقوم، أساسًا، على وحدة اللغة والأرض والشعب. إذ تقوم الدولة القومية على أرض محددة وحدودها واضحة، وإذا أرادت الصهيونية أن تعرف نفسها، بصفتها، صاحبة مشروع قومي، عليها "أن تعيد تعريف اليهود واليهودية بالمفاهيم الأوروبية القومية العلمانية السائدة، أي أن تموضع نفسها جغرافيًا".[44]

هناك العديد من العوامل الذاتية والموضوعية، التي أدت إلى نجاح الحركة الصهيونية والمجتمع اليهودي في فلسطين. تجلّت هذه العوامل، على صعيد العوامل الموضوعية، في مساعدة الدول الاستعمارية والظروف التاريخية في تلك المرحلة، وطبيعة المجتمع الفلسطيني؛ أما الذاتية، فتتمثّل في البنية التنظيمية لليشوف (المجتمع الاستيطاني اليهودي في فلسطين) والأيديولوجيا والأطر النظرية والفكرية التي تبنتها الحركة الصهيونية. ومن هذه البنى، العامل التعليمي والتثقيفي، والفكر الصهيوني المرتكز على أهمية العلوم في تكريس وبسط السيطرة والهيمنة الاستعمارية، وبناء الوطن الاستعماري، وأدلجة وإنتاج "اليهودي الجديد"، بالإضافة إلى المؤسّسات العلمية والثقافية والاستعمارية والاقتصادية التي أنشأتها الحركة الصهيونية، وغيرها من المؤسّسات التي ساهمت، بشكل جذري، في المشروع الصهيوني الاستعماري الاستيطاني.

على صعيد فهم قدرة اليشوف على الحفاظ على نفسه، بوصفه "مشروعًا قوميًا" نما وتطوّر برعاية الاستعمار البريطاني، يركز بعض الباحثين على تأثير الأيديولوجيا الصهيونية ومبنى اليشوف نفسه وقدراته التنظيمية، كعوامل أولية وأساسية. ومن هذه الخصائص البنيوية لليشوف المؤسّسات التعليمية اليهودية، التي ظلت

---

[43]. المرجع السابق، ص 595–596.

[44]. زريق، "إسرائيل"، مرجع سبق ذكره، ص 5.

منعزلة مع أهداف مختلفة عن باقي الأهداف التعليمية في المدارس الأخرى. ويصف تقرير وضعته لجنة تحقيق بريطانية، بشأن التعليم اليهودي في فلسطين عام 1946، السياسة التعليمية والتربوية في اليشوف بأنها "تطمح إلى التأثير تقريبًا في كل جوانب حياة الطفل، وهي غائية أكثر مما هو عليه الأمر في بريطانيا. زد على ذلك، أن لها طابعًا عاطفيًا، وتعتبر إحدى الأدوات الرئيسة لبناء الوطن القومي اليهودي في فلسطين".[45] وكذلك، فقد "خلق غياب الوحدة على الأرض والتراكم المادي، ضرورة ملحة، لتأسيس منظمات وهيئات تنسيقية، تقوم بمهامها، بشكل مركزي، وتنسق باستمرار بين المجموعات اليهودية في العالم وبين الاستيطان اليهودي في فلسطين".[46] ومن هذه الهيئات، الجامعات والمعاهد التعليمية والبحثية، التي أصبحت لها دورًا أساسيًا في "المشروع القومي اليهودي"، والمشروع الاستعماري، والتي من مهامها، وفقًا للحركة الصهيونية، الربط بين المجتمع اليهودي وبين اليهود في العالم، وتكريس الوجود اليهودي، والمساهمة في الاستعمار والاستيطان، واستقطاب وجلب عدد من المثقفين اليهود في أوروبا، بالإضافة إلى مهمات وغايات أخرى عديدة.

وفقًا لأنيتا شابيرا، لم تكن الجامعات، أساسًا، تلعب دورًا في الثورة الثقافية في نهاية القرن التاسع عشر، فلم توجد جامعة يهودية في حينه، وقدّمت الجامعات الأوروبية لعدد قليل من الخريجين اليهود فرص الانخراط في المجتمعات الأوروبية، والتي أدت في حالات كثيرة إلى الابتعاد عن النزعات القومية اليهودية.[47] بينما يشير شموئيل إتينغر، إلى أنه بعد الأزمة في روسيا القيصرية، من حملات البطش والإبادة بين عامي 1881–1882، نُشرت مراسيم قوّضت حقوق اليهود في السكن وضمان وسائل معيشتهم، وحظرت عليهم الدخول إلى مؤسّسات التعليم وذلك عن طريق تحديد عدد اليهود في المدارس الثانوية والجامعات. إلا أن كل ذلك أفضى إلى ظهور بوادر النهضة اليهودية ودفع بالطلاب إلى "أحضان شعبهم"، وأصبحت "القومية"

---

[45]. المرجع السابق، ص 22–23.

[46]. المرجع السابق، ص 19.

[47]. يُنظر: Shapira، مرجع سبق ذكره، ص 185.

مذهب العديد من الليبراليّين وحتى من "الثوريّين" اليهود.[48] أما ماكس نوردو، في خطابه في المؤتمر الصهيوني الأول (1897)، فيلخص أوضاع "الشعب اليهودي"، في أواخر القرن التاسع عشر، على النحو التالي:

> تتكوّن أكثرية اليهود من شحاذين منبوذين، أما اليهودي الذي هو أقدر وأكثر تقدمًا، ليس فقط الأفريقي والآسيوي بل الأوروبي أيضًا، فهو مظلوم ومجرد من أهم موارد العيش؛ لأنه محروم من استعمال قواه بحرية. مثل هذا الفقر، يطمس شخصيته ويحطم جسمه، فتراه متعطش للتعليم العالي، لكنه يُطرد من أماكن العلم التي يمكنه الوصول إليها.[49]

لذلك، كان من أهداف حاييم وايزمان، وعدد من المفكرين والسياسيّين الصهيونيّين، من إنشاء الجامعة العبرية/اليهودية في القدس، أن تكون ملاذًا للمثقفين اليهود، الذين لم تستقبلهم الجامعات الأوروبية، وأن تكون مكان تعليم الشباب اليهودي في فلسطين وخارجها.

فقد طُرحت فكرة إقامة مؤسّسة تعليم عليا يهودية، في أواخر القرن التاسع عشر، تُوجت، في العام 1925، بإقامة الجامعة العبرية/اليهودية في القدس، والتي كانت، بداية، مؤسّسة بحثية للدراسات اليهودية، بالإضافة إلى معهدين للكيمياء وعلم الأحياء الدقيقة (الميكروبيولوجيا)، التي حافظت، في السنوات الأخيرة، على مكانتها، كواحدة، من أفضل مائة جامعة في العالم وفق مقاييس عالمية متعدّدة.[50] وبالتالي، بحلول عشرينيات القرن العشرين، كان السكان اليهود في فلسطين، يفخرون بالفعل بجامعة أبحاث عليا في القدس، إلى جانب جامعة تقنية طموحة بنفس القدر في مدينة حيفا، وعدد من المحطات الزراعية والطبية المتوزّعة في جميع أنحاء فلسطين. وبحلول أوائل ثلاثينات القرن العشرين، تم إضافة معهد أبحاث، هو معهد

---

[48]. شموئيل إتينغر، "الشعب اليهودي وأرض إسرائيل"، في: أنيس الصايغ (إعداد)، **من الفكر الصهيوني المعاصر** (بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1968)، ص 47.

[49]. ماكس نوردو، "خطاب في المؤتمر الصهيوني الأول (1897)"، في: أنيس الصايغ (إعداد)، **الفكرة الصهيونية**، مرجع سبق ذكره، ص 136.

[50]. مصطفى، مرجع سبق ذكره، ص19–20.

زئيف/معهد دانيل زيو (معهد وايزمان لاحقًا)، الذي ركّز على العلوم الطبيعية. وقد تلقت هذه المؤسّسات دعمًا ماليًا من الخارج، معظمها من اليهود الأمريكيّين، وتمكّنت من توظيف موظفين ومحاضرين وباحثين، من الدرجة الأولى، من أبناء "الهجرة اليهودية" القادمة من أوروبا. وكانت النتيجة، ثقافة علمية نابضة بالحياة، ازدهرت في ظروف غير محتملة، ولعبت دورًا هامًا في حياة المجتمع اليهودي الوليد في فلسطين.[51]

وبعد تأسيس "دولة إسرائيل" في عام 1948، تحوّل العلم والتكنولوجيا، بسرعة، إلى مركزية في أيديولوجيتها واقتصادها وأمنها وثقافتها. فقد ركزت "إسرائيل"، في وقت مبكّر، على تطوير بنية تحتية علمية وتكنولوجية للتعليم والبحث، باعتبارها مفتاحًا لمستقبل اقتصادي سليم. وقد أصبح السعي لتحقيق التفوق التكنولوجي، الأساس المركزي، في عقيدتها العسكرية وسياساتها وخطابها، وتحولت النخب الرائدة في مجتمع الشباب إلى العلم، كمعيار، لهويتهم الثقافية، وهي "دولة" حديثة وصلت بسرعة إلى طليعة العلوم والتكنولوجيا الغربية.[52]

هكذا، كان الإطار التاريخي لنشوء الصهيونية ولتبلور أفكارها التي تركزت على القومية والاستعمار والعنصرية وأهمية العلوم وإنتاجها، في مسعى لتحقيق أهدافها المتمثلة بإقامة "الوطن"/الكيان "القومي اليهودي" في فلسطين، وإنتاج يهودي جديد، مغاير لصورته في الشتات. وتمثلت أهمية العلوم والعلم، لدى الحركة الصهيونية، في أفكار ورؤى مفكريها ومنظريها وقادتها الأوائل، إذ تم توظيف الخطاب العلمي في تحقيق المساعي الصهيونية، وقد تجلّت المساعي العلمية، لدى الحركة الصهيونية، بعد تبنيها الإطار العلمي، في إقامة الجامعة العبرية/اليهودية في القدس.

---

[51]. يُنظر:

Leo Corry and Tal Golan, "Introduction," *Science in Context*, vol. 23, no. 4 (2010): p. 393.

[52]. المرجع السابق، ص 393-394.

1-1-1. الجامعة: المفهوم، النشأة، الغايات

بغية فهم أهمية الجامعة في المجتمعات الناشئة حديثًا، علينا بداية مراجعة السياق والعوامل والظروف التي نشأت فيها فكرة الجامعة في الحداثة الأوروبية، ومن خلال إدراكنا لمختلف دلالاتها، وأهدافها، الظاهرة والمبطنة، نستدل على دورها الحقيقي في المجتمعات الاستعمارية التي أنشأت الجامعات في هذه المجتمعات الناشئة والمستعمَرة.

تعود أصل كلمة جامعة باللغة الإنجليزية "University"، إلى مصطلح لاتيني "Universitas"، والذي كان يعني بداية "تجمعًا للأساتذة والطلاب". وقد تطور المصطلح، في القرون الوسطى، ليدل على المؤسّسة التي تقدم تراخيص للعمل في التدريس، وبدأت تأخذ الجامعات، في العصر الحديث، طابعًا بحثيًا، ومن ثم تحولت، أساسًا، إلى مؤسّسات بحث وتدريس.[53] وقد ولدت الجامعة، في السياق الأوروبي، باعتبارها، هيئة، ذات الشخصية المستقلة عن مؤسّسيها ومديريها، تتمتع بامتيازات وحقوق وحماية. ومُنحت الجامعة، هذه الصفة، من الملك أو الحاكم. وذلك، بسبب أن الجامعة ضمّت أساتذة وطلابًا، جاءوا من مدن وبلدات مختلفة، ولم يُعتبروا مواطنين في المدينة التي أسّست فيها الجامعة؛ ولهذا، كان لا بد من توفير حماية وامتيازات للمؤسّسة الجامعية، بإصدار ميثاق سيادي، يقر صفة الهيئة، ويمنحها الحماية والامتيازات الضرورية لوجودها والقيام بوظائفها.[54]

تعتبر الجامعة شكلاً من أشكال التنظيم الاجتماعي، ظهر في الغرب المسيحي، في النصف الثاني من القرن الثاني عشر. وظهرت الجامعات، مع بدء نهضة علمية كبرى، قامت بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر،[55] مع وصول العلوم اليونانية والعربية إلى شمال أوروبا، في القرن الثاني عشر، التي احتوت على مؤلفات أرسطو، خاصة، منهج التفكير المنطقي، والتي أنقذتها من الضياع النصوص الإسلامية. وأصبحت

---

[53]. مصطفى، مرجع سبق ذكره، ص 12.

[54]. بشير موسى نافع، "مقدمة الطبعة العربية"، في: جورج مقدسي، **نشأة الكليات: معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب**، ترجمة محمود سيد محمد (القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، 2015)، ص 22-24.

[55]. مقدسي، المرجع السابق، ص 348-349.

المعرفة، مع نمو منهج "الشك" أو النقد الذي تضمّنته المعارف الواردة من العالم العربي، معرفة مؤسّسية من خلال إنشاء الجامعات الأوروبية التي قامت بتعليم الطلاب كيفية التفكير وصولاً إلى الحقيقة.[56]

كانت الجامعات الناشئة، في القرن الثاني عشر، تختلف عن المدارس الأسقفية والديرية في أمرين مهمين: الأول تنظيمي، والأخر علمي. فمن الجانب التنظيمي، كان مدرسو الجامعة متحدين في هيئة ذات شخصية اعتبارية لها امتيازاتها، وتتمتع بالحماية والاستقلال الذاتي، وهذا الجانب، هو الذي أعطى الجامعة، الحيوية والقدرة على الاستمرار، عبر القرون، وحتى يومنا هذا. أما الجانب العلمي، فقد كانت الجامعة، بصفتها، مركزًا ثقافيًا، تختلف عن المدارس الأسقفية والديرية من حيث أنها أدخلت الطب والقانون واللاهوت ضمن حقول الدراسة العلمية. وكانت هذه الدراسات الجديدة، عنصرًا أساسيًا، في نشأة الجامعات.[57]

وكانت الجامعة العبرية/اليهودية في القدس، في بداية نشأتها، محطة للصراعات والنقاشات حول طبيعة الكليات والدراسات التي يجب البدء فيها، إذ بدأت بالدراسات اليهودية (بديلاً عن اللاهوت)، ومعهد الكيمياء، بالإضافة إلى كلية الزراعة لاحقًا، وكلية أو معهد علم الأحياء الدقيقة المعني بالأمراض والطفيليات، بينما افتتحت كلية للطب في سنة 1949.

تميزت معاهد التعليم العالي، في القارة الأمريكية في عهدها الاستعماري، بنمط الجامعة/الكلية، فنجد أن جامعات مثل: هارفارد، وكولومبيا، وبنسلفانيا، ودارتموث، أنشئت كلها، ككليات، اعتبارًا من النصف الأول من القرن الـ17 حتى النصف الثاني من القرن الـ18، أي قبل الثورة الأمريكية. وكانت كليات، بمعنى أنها نشأت نشأة غير رسمية على أنها مؤسّسات وقفية خيرية، ولكنها، أيضًا، تمتّعت بشخصية اعتبارية، وكانت تتمتع بالحق المميز للجامعات، وهو منح الدرجات العلمية.[58]

---

[56]. جيمس بيرك، "عندما تغير العالم"، في: محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي (إعداد وترجمة)، **الحداثة، دفاتر فلسفية: نصوص مختارة – 6** (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2004)، ص 7.

[57]. مقدسي، مرجع سبق ذكره، ص 402–403.

[58]. المرجع السابق، ص 355–356.

تحتل الجامعة، مركزًا رئيسيًا، في حياة أية أمة من الأمم، وتقوم بدور بارز في حفظ الثقافة ونقلها وتنميتها. فهي، بحكم وظيفتها الخطيرة هذه، تتحمل مسؤولية ضخمة تجاه مجتمعها، وتجاه الإنسانية والحضارة بوجه عام، ويقع عبء هذه المسؤولية على كل جامعة تحمل هذا الاسم على اختلاف الأمكنة والأزمنة وتباين النظم والأحوال. إنها مسؤولية مزدوجة، تتجه من ناحية، إلى المجتمع الخاص الذي تقوم فيه الجامعة، ومن ناحية ثانية، إلى المجتمع الإنساني بكامله وإلى الحضارة بمجموعها. وتحاول الجامعة أن تنهض بها عن طريق تثقيف الشباب وتنمية مواهبه العقلية والنفسية وتعليمه العلوم النظرية والمهن التطبيقية على أرفع مستوى، وعن طريق تنمية المعرفة الإنسانية بالبحث والاستكشاف. وتتخذ المهمة الأساسية التي تقع على أية جامعة من الجامعات، في أي زمان أو مكان، ألوانًا مختلفة، وتثير مشكلات متنوعة تبعًا لاختلاف الأزمنة والأحوال، ولتبدل الأوضاع وتنوع الثقافات والحضارات.[59]

ويشير ريتشارد سميث إلى أنه، منذ تأسيس المؤسّسة الجامعية الحديثة، تغيرت أهداف وأدوار ومفهوم الجامعات، إذ ليس هناك مفهوم واضح أو أدوار محددة أو أهداف ثابتة للجامعة. فمعنى وهدف ودور الجامعة، في لحظة تاريخية معينة، قد يتغير في لحظة أخرى.[60] ويعتقد هابرماس:

أن للجامعة دورًا أخلاقيًا، وليس دورًا معرفيًا أو بحثيًا فقط، ويزعم أن على الجامعة الحديثة أن تكون مركبًا مهمًا من الحيز العام، من خلال إنتاج المعرفة، وتعميم الثقافة والتعليم وبلورة الرأي العام، كما عليها أن تكون إطارًا للنقد الاجتماعي والعمل الاحتجاجي، ويؤكد على دور الطلاب في هذا المجال.[61]

---

[59]. قسطنطين زريق، "الجامعات أمام مسؤولياتها"، **الأبحاث** 18، عدد 1 (1965): ص 3–4.

[60]. يُنظر:

Jerzy Brzezinski and Leszek Nowak (eds.), *The Idea of the University* (Atlanta: Rodopi, 1997).

مقتبس لدى مصطفى، مرجع سبق ذكره، ص 11.

[61]. يُنظر:

Jurgen Habermas, "The Idea of the University-Learning Processes," in: *The New Conservatism: Cultural Criticism and Historians' Debate* (Cambridge: Polity Press, 1992).

كما أن لها دورًا مهمًا في صياغة الوعي وصناعة الهوية في المجتمعات المشكلة حديثًا، وبناء المجتمع الحديث. أما في السياق الاستعماري، فإن لها دورًا، حيويًا ومهمًا، في عملية السيطرة والهيمنة الاستعمارية.

توقّف فوكو عند دور المؤسّسات الجامعية في عملية السيطرة، ضمن منظومة السلطة والمعرفة،[62] وأكّد على:

> أن مجتمعات الحداثة، توقف الحقيقة على الخطاب العلمي دون سائر أشكال الخطاب الأخرى، ولا تكون الحقيقة في هذه المجتمعات غاية، وإنما تقنية من أجل ممارسة السلطة السياسية والإنتاج الاقتصادي، ويتم مراقبتها والهيمنة عليها من طرف مؤسّسات مختلفة ومنها المؤسّسات الجامعية. ولكنها تبقى، أي الحقيقة، مثار صراع سياسي واقتصادي واجتماعي. وفي هذا السياق، لا تنحصر السلطة في الدولة وأجهزتها الإكراهية، كما يشير إلى ذلك ماكس فيبر، وإنما تعبر السلطة عن ذاتها بمفهومها الفوكياني في كل مجالات الوجود البشري.[63]

كانت هذه الأدوار والأهداف المختلفة للجامعات في أوج النقاشات داخل الحركة الصهيونية، ولدى منظريها وقادتها، ولدى إدارة الجامعة العبرية، قبيل وأثناء وبعد تأسيس الأخيرة. إذ منهم من رأى أن الجامعة العبرية، يجب أن تكون أكاديمية وبحثية بحتة، ومنهم من رأى أنها يجب أن تساهم في المشروع الصهيوني، وأن تكون أداة فاعلية لتحقيق أهدافه. بالإضافة إلى العديد من الأهداف الخاصة الأخرى التي كانت في صلب المشروع الصهيوني، والتي تناسب السياق الصهيوني الاستعماري الاستيطاني. وسيتم بحث هذه الأهداف وتعددها والنقاشات حولها، في سياق البحث، في الفصول اللاحقة.

مقتبس لدى المرجع السابق، ص 14.

[62]. ميشال فوكو، **حفريات المعرفة**، ترجمة سالم يفوت (بيروت: المركز الثقافي العربي، 1987). مقتبس لدى المرجع السابق، ص 17.

[63]. عبد السلام حيمر، **في سوسيولوجيا الخطاب** (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2008)، ص 177. مقتبس لدى المرجع السابق.

1-2. المنهجية وأدوات البحث

بشأن منهجية وأدوات الدراسة الحالية، سيتم اعتماد منهجية تحليل النصوص (*Text Analysis*) ضمن دراسة المصادر الأساسية، ككتابات وخطابات أهم الشخصيات المركزية في الصهيونية حتى 1948 عمومًا، والتركيز على حاييم وايزمان كحالة دراسية، وهي الشخصية الصهيونية التي تناولت العلاقة ما بين العلم والصهيونية بصورة مستفيضة، على أن تكون النصوص الصهيونية التأسيسية بصورة عامة ونصوص وايزمان بصورة خاصة أداة البحث الرئيسة، إلى جانب الاعتماد على مراجع ثانوية بحثية هامة ذات صلة.

1-3. مراجعة الأدبيات

عالجت مجموعة كبيرة من الأدبيات موضوع نشأة الحركة الصهيونية وما سبقها، والسياقات التاريخية والثقافية والعقدية التي تغذّت عليها وأفضت إلى ظهورها، بينما تناول عدد آخر من الدراسات تحليل الأسس الفكرية والأيديولوجية المرتكزة إليها الحركة الصهيونية، ونظرة المجموعات والتيارات الصهيونية المختلفة للعلم والإنتاج المعرفي. كما وتناولت بعض الأدبيات مكانة الجامعة العبرية ورؤية الجامعة ودورها في المجتمع الاستيطاني الجديد، في الفكر الصهيوني بعامة، وفي التيارات الصهيونية الرئيسة، وفي أيديولوجية حاييم وايزمان، الذي وضع حجر أساسها عام 1918، والعديد من الزعماء الصهيونيّين الآخرين، مثل زئيف جابوتنسكي، ودافيد بن غوريون، وبيرل كاتسنلسون ومئير فيسغال (M. W. Weisgal) أحد مؤسّسي معهد وايزمان للعلوم وعمل إلى جانب حاييم وايزمان على مدار فترة طويلة، ومن أهم المروّجين للصهيونية في الولايات المتحدة حتى مماته (1977).

كما ناقشت عدد من الدراسات مكانة "إسرائيل" والصهيونية في "الحضارة الغربية المتحضرة"، في مقابل "الشرق المتخلّف"، لبحث مدى انقطاع أو عدم انقطاع اليهود الصهاينة عن ماضيهم الأوروبي، ومسألة "عودتهم" إلى وطنهم في "الشرق" وإلى ماضيهم السحيق، إلى التاريخ اليهودي الديني القديم.

يضم كتاب "الفكرة الصهيونية: النصوص الأساسية"،[64] النصوص الأولية لأشهر ما كتبه 37 مبشّرًا وزعيمًا ومفكرًا صهيونيًا، منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، من خطابات ومقالات، ومثّلت الأساس الفكري السياسي للصهيونية. من خلال مراجعة ما كتبه معظم هؤلاء المفكرين الصهيونيّين، نجد أن جميعهم يسعون إلى تحقيق هدف واحد مركزي يتمثّل في إيجاد حلّ لما كان يطلق عليه تعبير "المسألة اليهودية"، ويعرض كل واحد منهم تشخصيه لهذه المسألة ورؤيته بشأن كيفية حلّها، وذلك استنادًا إلى مفاهيم وأطر أيديولوجية وفكرية مستمدّة من تيارات قومية نشأت حديثًا في بلدان شرق وغرب أوروبية، علمًا أن غالبية هؤلاء المفكرين الصهيونيّين قد تلقوا الثقافة الدينية اليهودية منذ نعومة أظافرهم، أو على الأقل، جميعهم كانوا على درجة كبيرة من الثقافة الدينية اليهودية الواسعة. ومن الجدير بالذكر، أننا نشهد خلافًا بين هؤلاء بشأن أهمية العلوم والإنتاج المعرفي والتكنولوجيا الحديثة ودرجة استخدامها في سبيل إيجاد الحلول الملائمة لهذه المسألة. والمثير للانتباه، أن معظم هؤلاء الكتّاب لا ينتمون إلى فئة الفلاسفة وعلماء الدين، وإنما ينتمون إلى فئة الصحفيّين العاملين في الصحف الأوروبية والمثقفين، وعدد قليل منهم فقط نال دراسة جامعية. وما يميز كتاباتهم هو الإجماع على التعريف القومي لليهودية، وعلى الإيمان بالرؤية التوراتية للخلاص مع ميل بعضهم إلى إعادة صياغتها بتعابير علمانية سياسية وثقافية وقومية، مع الاختلاف في كيفية تحقيق ذلك الخلاص وأدواته ومآلاته.

أما صبري جريس، في كتابه "تاريخ الصهيونية" (1862–1948) (جزآن)،[65] تناول تاريخ الصهيونية، منذ نشوء أفكارها الأولى في منتصف القرن التاسع عشر وحتى الإعلان عن إقامة "دولة إسرائيل"، فيركز في الجزء الأول على المعالم الرئيسة والمهمة في تاريخ الصهيونية، وأسباب النشوء والانتشار والنجاح، وركائز العقيدة الصهيونية، في كل مراحلها، والقضايا التي وضعت موضع التنفيذ، وعقيدة المجموعات والزعماء الذين أثروا فعليًا في مسارها ونشاطاتها، بالإضافة إلى قراءة عامة حول بعض المؤتمرات الصهيونية

---

[64]. أنيس صايغ (إعداد)، **الفكرة الصهيونية**، مرجع سبق ذكره.

[65]. جريس، مرجع سبق ذكره.

وقراراتها المهمة. كما وتناول الكاتب تطوّر مفهوم القومية الذي نشأ في أوروبا، والآراء اليهودية المختلفة حولها من قبل المفكرين اليهود؛ والعلاقة ما بين الدين اليهودي والعلوم الدينية من جهة، وما بين العلم، من جهة أخرى، والجدالات حولهما من قبل المفكرين اليهود. وفق جريس، هناك أربع أسباب ساهمت في ظهور الصهيونية: الأوضاع السياسية والثقافية لليهود في أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر؛ ظهور القومية وانتشارها في القرن التاسع عشر؛ النشاط الاستعماري واتساع نفوذ الاستعمار الأوروبي في القرن التاسع عشر؛ ظهور اللاسامية ونشاطها بشكلها العنيف في القرن التاسع عشر.

أما في الجزء الثاني، فيتناول حقبة ما بين الحربين العالميتين، التي تكاد تكون من أهم المراحل في تاريخ المشروع الصهيوني. فخلال هذه المرحلة، وجدت الفكرة الصهيونية تجسيدًا ملموسًا لها في تجربة إقامة "الوطن القومي اليهودي" على أرض فلسطين، في ظل ظروف تكاد تكون مثالية بالنسبة إلى الصهيونيّين، إذ وضعت أسس الكيان الصهيوني، وتبلورت بكافة أبعادها، أهمها السياسية والاجتماعية والاقتصادية. كانت تلك القوى والمؤسّسات المختلفة قد تبلورت، عشية نشوب الحرب العالمية الثانية، في كيان صهيوني منفصل، وواضح المعالم، في فلسطين. ومن هذا الكيان، انبثقت "إسرائيل" فيما بعد، مستندة إليه كـ"عمودها الفقري". وقد ركّز هذا الجزء من الكتاب على متابعة أفكار ونشاط الأشخاص والمؤسّسات التي ظهر أنها أثرت، بشكل أو بآخر، في الكيان الصهيوني على المدى الطويل، ومن بين هذه المؤسّسات كانت الجامعة العبرية في القدس.

تكمن أهم نقاط ضعف هذه الدراسة في اعتمادها بصورة رئيسة على مراجع أكاديمية إسرائيلية وصهيونية، بالرغم من التعامل النقدي معها، وكذلك ابتعادها عن الاستفادة من الأطر النظرية والأدبيات البحثية التي ركّزت على مشاريع استعمارية واستيطانية أخرى.

يبحث جوزيف مسعد، في دراسته "ديمومة المسألة الفلسطينية"،[66] ارتباط "المسألة الفلسطينية" بـ"المسألة اليهودية" في سياق دراسات تحليلية وتاريخية للحركة الصهيونية وأيديولوجيتها في سياقها الأوروبي الأيديولوجي في أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين. وتقوم الدراسة بموضعة الأيديولوجية الصهيونية في سياق الخطاب العرقي والنزعات اللاسامية الأوروبية، وتاريخ الاستعمار والاستيطان الأوروبي. كما تتناول هذه الدراسة مجموعة من الدراسات حول الصهيونية، التي تقوم بتحليل المرتكزات الأيديولوجية، والتحالفات السياسية للصهيونية منذ انطلاقها، وذلك بغرض تفسير موقفها التاريخي من اليهود الأوروبيّين، واليهود الآسيويّين والأفارقة، وموقفها من الشعب الفلسطيني، ومفهوم الصهيونية للثقافة والعرق، كمفاهيم مركزية مؤسّسة لأهداف الحركة الصهيونية. إضافة إلى ذلك، تقدّم هذه الدراسة قراءة نظرية للارتباط الاستعماري الاستيطاني مع الحركة الصهيونية، منذ بداية نشوئها، وللمفاهيم ما بعد الاستعمارية. تصوّر الصهيونية عملية "إعلان دولة إسرائيل" كإعلان استقلال كيان أنشئ ضد الاستعمار، والجدالات ما بين الحركة الصهيونية كحركة استعمارية وكـ"حركة قومية مناهضة للاستعمار". وخلصت الدراسة إلى كيفية تصوير المشروع القومي/الاستعماري الاستيطاني لليهود الأوروبيّين، المفترضين، كوكلاء له. إذ تبلور تجسيد الصهيونية لذاتها، كمشروع، أسوة ببقية المشاريع القومية الاستعمارية والمعادية للاستعمار على حد سواء، من خلال تصوير مميز لليهودية الأوروبية التي جندتها. فكان لذلك أثر على هذا التحوّل لليهودية الأوروبية من حالتها الشتاتية إلى شرطها الصهيوني الجديد حسب ما صوّرتها الصهيونية وتُصوّرها. فقد سعت الصهيونية، عبر "إرجاع" أجساد الرجال اليهود إلى وجودها السابق للشتات، وتحسينها عبر خلق "الصبرا" الإسرائيلي، إلى تفكيك وتحرير أجساد اليهود الأوروبيّين من استعمار وسيطرة المسيحيّين التي خضعت لها تلك الأجساد منذ بدايات الشتات اليهودي، إذ تُعاد كتابة التجارب اليهودية المختلفة، والتي ناقضت الروايات الصهيونية حول تجربة الشتات بسرعة ضمن السردية الصهيونية.

---

[66]. مسعد، مرجع سبق ذكره.

تناول كتاب "المؤسّسة الأكاديمية الإسرائيلية"، للباحث مهند مصطفى،[67] الدور الذي لعبته الجامعات، كمفهوم وفكرة، في المجتمعات والتحوّلات التي مرّت بها في سياقات سياسية واجتماعية واقتصادية متغيرة في العقود الماضية. ويقترح الكاتب ثلاثة أطر اصطلاحية ونظرية لقراءة تطوّر المؤسّسة الأكاديمية الإسرائيلية وتحوّلاتها، أطلق عليها اسم "مثلث المؤسّسة الأكاديمية الإسرائيلية": السياسة (يطلق عليها أيضًا السلطة)؛ والمعرفة؛ والاقتصاد (أو منطق السوق). ويحاجج الكاتب، أن المؤسّسة الأكاديمية الإسرائيلية، تطوّرت منذ نشأتها وحتى الآن، من خلال علاقات التوتر والانسجام بين هذه المكوّنات، وبين مد وجزر في توازن علاقات القوى بينها. فقد ساهمت المؤسّسة الأكاديمية، كمؤسّسة علمية واجتماعية وبحثية في المشروع السياسي والثقافي الصهيوني، وفي صياغة الهوية الإسرائيلية الجديدة، وفي عملية بناء "الأمة والدولة" بشكل أو بآخر، وكان لها دور أساسي كجزء من مؤسّسات اليشوف (المجتمع الاستيطاني اليهودي في فلسطين الانتدابية)، وتشابكت بشكل كبير مع مؤسّسات "الدولة" السياسية والأمنية الجديدة، كجزء من المجهود القومي لبناء "الدولة" وتحصين مناعتها في كل المجالات وخاصة العسكرية، ولكن ليس أقل أهمية في تحصين مناعتها القومية على مستوى الهوية والمعرفة والذاكرة. وتقاطعت المؤسّسة الأكاديمية الإسرائيلية مع المشروع الصهيوني، منذ إنشاء الجامعة العبرية في القدس ومعهدي "التخنيون" (معهد إسرائيل التكنولوجي) و"زيف" أو معهد وايزمان، في عشرينيات القرن الماضي. وسُخرِّت المؤسّسة الأكاديمية الإسرائيلية لخدمة المشروع في فلسطين قبل نكبة فلسطين وبعدها، وعمل باحثوها على تزويد المشروع الصهيوني بالمعرفة والآليات العلمية لتعزيز وتثبيت المشروع الصهيوني وهيمنته على فلسطين في كل المجالات.

ويعرض الكتاب إطارًا تاريخيًا لتبلور مؤسّسات التعليم العالي والبحث العلمي في "إسرائيل"، وذلك، من خلال قراءة تاريخية تحليلية للسيرورة التاريخية التي أفضت إلى قيام الجامعة العبرية، والنقاش السياسي والأكاديمي الذي دار حول دورها في المشروع السياسي الصهيوني. خلصت الدراسة إلى العديد من الخلاصات، أهمها ظهور التوتر والانسجام بين المنظومات الثلاث، في النقاش حول إقامة الجامعة العبرية والبناء المؤسّساتي

[67]. مصطفى، مرجع سبق ذكره.

للتعليم العالي، وربما كان العامل الاقتصادي الأقل شأنًا في تلك الفترة، بالمقارنة مع المنظومتين المعرفية والسياسية، ولكنها كانت حاضرة أيضًا، فتمويل الجامعة العبرية كان يعتمد في عقودها الأولى على تبرعات من خارج المجتمع الاستيطاني اليهودي ومؤسّساته في فلسطين، وذلك انسجامًا مع فكرة الجامعة كجامعة يهودية، عملاً بطرح أحاد هعام.

تكمن الإشكالية الأساسية في هذه الدراسة في أن الكاتب وقع في فخ المفارقة التاريخية (Anachronism)، وذلك لأنه يسقط على أزمنة سابقة، من أهداف وغايات وأسباب، ما قد تطوّر لاحقًا في دولة إسرائيل الحالية. كذلك، فإنه اعتمد بصورة مركزية على مصادر ثانوية كمراجع مركزية لدراسته، ولم يعد بتاتًا إلى المصادر الأولية الأساسية من خطابات ومذكرات وصحف يهودية وصهيونية.

ناقش عاموس فونكنشتاين (Amos Funkenstein)، في الفصل العاشر في "مفاهيم التاريخ اليهودي"،[68] بعض الاتجاهات الهامة في الفكر الصهيوني، وهي علاقة الصهيونية بالعلم. قام الكاتب بالتركيز على سيرة حياة حاييم وايزمان، وخلص إلى أنها اتّسمت بتشابك الصهيونية والعلوم. فقد رأى ضرورة أن يلعب العلم دورًا رئيسيًا في "بناء البلاد" وتغذية "الوعي الوطني" للمستوطنين اليهود في فلسطين. ولكن، ليس كل الآباء المؤسّسين للصهيونية، علماء أو كيميائيّين، مثل وايزمان، مما دفع الكاتب إلى التساؤل حول جدلية العلم والصهيونية. خلص الكاتب إلى وجود التزام بين العديد من الآباء المؤسّسين للحركة الصهيونية، مثل، أحاد هعام، وماكس نوردو، وحاييم وايزمان، بشأن الصورة الإيجابية للعلم، على غرار الصورة التي كانت مهيمنة في القرن التاسع عشر بين شرائح هامة وواسعة في المجتمعات الأوروبية.

قدّم الباحث قراءة لمكانة العلوم في تاريخ الصهيونية من ثلاثة جوانب: الصهيونية كعلم؛ وموقف الصهيونية من العلم؛ ومطالبة الصهاينة بتغير قيم العلوم التي يطلق عليها "العلوم اليهودية". حاول الكاتب أن يبيّن أن هذه الجوانب، وإن كانت غير مشتقة من بعضها البعض، إلاّ أنها تعتمد على بعضها البعض. أشار الباحث

---

[68]. يُنظر: Funkenstein، مرجع سبق ذكره.

إلى التوترات التي رافقت تأسيس الجامعة العبرية، بين الزعماء الصهيونيّين، بشأن الأهداف التي تقف خلف تأسيسها، وما غايات وايزمان من بناء الجامعة العبرية: مكان يخدم الاحتياجات العملية لـ"بناء البلاد"، أي "الوطن القومي"؛ وأن تكون ملاذًا للمثقفين اليهود الذين تم حظر دخولهم إلى جامعات أوروبا الشرقية؛ ومكان لتدريب العلماء على بناء "الوطن القومي"؛ كما ورأى في الجامعة مؤسّسة يمكن لليهود من خلالها أن يصبحوا قوة سياسية حقيقية في الشرق الأوسط؛ بالإضافة إلى ذلك، فقد رأى وايزمان في "الاحتلال العلمي" بديلاً حقيقيًا للدراسات التقليدية للتشريع الديني التوراتي والتلمودي والتي تجسد "تفرّد إسرائيل". وفي خطابه الشهير، الذي ألقاه في معرض احتفالات تأسيس الجامعة العبرية، في العام 1925، تحدث وايزمان عن الجامعة المستقبلية بوصفها "معبدًا متجدّدًا" يخلف "الهيكلين الأول والثاني" في العصور القديمة. إلاّ أن الإشكالية الأساسية في هذه الدراسة تكمن في أن الكاتب ركّز على ثلاث شخصيات صهيونية لا تعكس آراؤهم بالضرورة التوجهات المهيمنة في الحركة الصهيونية.

تتساءل الباحثة أنيتا شابيرا في مقالتها "الحركة العمالية الصهيونية والجامعة العبرية"،[69] حول حقيقة المكانة البارزة للمؤسّسات المخصّصة لإنتاج ونشر المعرفة، وللجامعة تحديدًا، في "الأجندة الوطنية" للتيار العمالي الصهيوني؛ وكيف تصوّر دافيد بن غوريون وزملاؤه في التيار العمالي، الذين كانوا على رأس قيادة اليشوف في الحركة الصهيونية و"الدولة" منذ عام 1933، دور الجامعة في عملية بناء الأمة؛ والمكانة التي تحتلها الجامعة في تفكيرهم "الوطني" والاجتماعي.

تبيّن الكاتبة، أن هناك حالات عديدة لا تعكس فيها دومًا المفاهيم الأيديولوجية الممارسة العملية أو الجانب التطبيقي، أي أن هناك شرخ وفرق واضح ما بين النظرية والفكرة الأيديولوجية الصهيونية وبين الواقع. لذلك، تفحص الكاتبة العلاقة الحقيقية بين التيار العمالي الصهيوني والجامعة العبرية، وتقدّم تقديرًا لوزن كل عامل من العوامل المؤثرة في هذه العلاقة، من خلال فحص نموذجين لشخصيتين قياديتين مركزيتين في التيار العمالي، هما دافيد بن غوريون وبيرل كاتسنلسون، ومكانة العلم والجامعة في فكر كل منهما.

---

[69]. يُنظر: Shapira، مرجع سبق ذكره.

تحاول الكاتبة فحص هذه العلاقة من خلال فهم ثلاث قضايا رئيسة مترابطة في الحوار بين قيادة التيار العمالي والجامعة: الأولى، العلاقة بين العنصر الجسدي اليدوي والعنصر الفكري؛ الثانية، الالتزام بالأهداف القومية على حساب الطموح الشخصي للباحثين والمحاضرين في السعي نحو مكانة أكاديمية عالمية؛ وحدود الحرية الأكاديمية ضمن إطار "حركة قومية أيديولوجية".

كان المنهج العلمي عزيزًا على قلوب بن غوريون وكاتسنلسون، فقد أبدى كلاهما، طوال حياتهما، ليس الاعتراف بأهمية التعليم الجامعي فحسب، بل كذلك اهتمامًا مخلصًا للعلم والعلماء. ولكن، تبيّن الباحثة أنه ليس بالضرورة أن تعكس مكانة الجامعة في اليشوف هذا التقدير الكبير الذي كنه قادة الحركة للعلم والمعرفة. بالرغم من ذلك، تشير الباحثة إلى سعي بن غوريون وكاتسنلسون إلى تشكيل "روح شعب قومية" و"صورة الأمة". فقد دعم بن غوريون برنامجًا تعليميًا يميل إلى "دراسة الوطن" و"دراسة الأمة"، كمحورين للتعليم اليهودي في فلسطين. لكن، عندما تطرق للتفاصيل، تبيّن أنه أراد أن تنطلق "دراسة الأمة"، فضلاً عن "دراسة الوطن"، من التوراة. وقد صرّح بن غوريون، في رسالة شهيرة إلى ناتان روتنشترايخ (Nathan Rotenstreich)، كتبها في أواخر الخمسينيات، بشأن تقاربه الروحي والنفسي إلى الماضي التوراتي بوصفه نقيضًا للماضي في المنفى. فقد اعتبر الصهيونية قفزة مكانية وزمانية فوق التاريخ اليهودي، وكانت الدولة بالنسبة له، بداية متجدّدة "تمتزج مع الماضي السحيق، ماضي يهوشع بن نون، وداود، وعوزيا، والحشمونئين الأوائل". وكان يتوقع، هو وكاتسنلسون، من الجامعة، حسب تحليل شابيرا، القيام بثلاثة أمور: تقديم مستوى علمي تطبيقي رفيع يمكنه توفير الإجابات بشأن كيفية فعل الأشياء؛ والمطلوب من المختصّين في جامعات "الدولة الحديثة" تشكيل المصدر الأساسي للثقافة القومية؛ وأن تكون معملاً لتخريج النخب الثقافية والأيدي المهنية الضرورية للدولة الناشئة.

لذا تحاجج الباحثة على صعيد ارتباط الجامعة بالمشروع الصهيوني الاستعماري الاستيطاني، وتقول إن الجامعة لم تنشأ انطلاقًا من حاجات وبنية اليشوف، لكنها، في حقيقة الأمر، أُسّست بفضل المانحين من

الخارج، وأديرت من قبلهم حتى منتصف الثلاثينيات. وانطوت الجامعة العبرية على نفسها، حتى أن واقع الحال في اليشوف لم يلعب دورًا مؤثرًا في تحديد أولوياتها أو تشكيل نظامها الثقافي–الفكري. لكن، في أعقاب الهولوكوست، اكتسبت الجامعة العبرية أهمية أكبر باعتبارها مصدرًا للعلوم والنخبة المثقفة، لذلك، فقد اكتسبت قضية التزام الجامعة ومدرسيها مع ما كان يعتبره زعماء التيار العمالي "حاجات قومية"، وكذلك، وعي نخبة الجامعة بـ"اغترابها" عن المجتمع الإسرائيلي الناشئ أهمية كبرى.

أما نوريت كيرش (Nurit Kirsh)، في دراستها "علم الوراثة السكانية في إسرائيل في الخمسينيات"،[70] فقد بحثت آثار الأيديولوجيا الصهيونية على بحوث علم الوراثة (علم الجينات) البشرية السكانية (Human Population Genetics) في إسرائيل خلال الخمسينيات وأوائل الستينيات من القرن العشرين. وتشير الباحثة إلى انعكاس هيمنة السردية الصهيونية في المقالات التي كتبها علماء الوراثة والأطباء الإسرائيليون خلال هذه السنوات. ويستند ادعائها إلى إجراء مقارنة بين المقالات والكتابات المتعلقة بعلم الوراثة البشرية السكانية التي كتبها ونشرها علماء إسرائيليون، وبين مقالات وكتابات مماثلة كتبها غير إسرائيليّين، بين عامي 1951–1963. تبيّن المقارنة تأكيد علماء الوراثة والأطباء الإسرائيليّين، خلال هذه الفترة، على الجوانب الاجتماعية والتاريخية لأبحاثهم، وقد استخدموا أعمالهم، من بين جملة أمور أخرى، كوسيلة لإنشاء وإنتاج هوية وطنية "قومية" وتأكيد السردية الصهيونية.

استخلصت الباحثة أنه على الرغم من أن علماء الوراثة الإسرائيليّين في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي وعلماء الأنثروبولوجيا العرقية الصهيونيّين (Zionist racial anthropologists) في أوائل القرن العشرين في أوروبا، كانوا حريصين على إثبات أن لليهود أصل بيولوجي مشترك، وأنه تم الحفاظ على تفرّدهم. فقد استخدم العلماء الصهيونيّين بعامة وعلماء الأنثروبولوجيا العرقية بصورة خاصة العلم، وفق اعتقاد الباحثة، كوسيلة لتعزيز الأهداف السياسية.[71]

---

[70]. يُنظر: Kirsh، مرجع سبق ذكره.

[71]. وقد توصّل الباحث رفائيل فولك إلى نفس الاستنتاجات. يُنظر: Falk، مرجع سبق ذكره.

فيما يلي استعراض لمقالتين، تمثّل الأولى نمط العمارة الغربي، الذي هيمن على المباني التي شيدتها الصهيونية؛ وتمثّل الثانية نمط الثقافة والفكر الأيديولوجي للحركة الصهيونية، وذلك انطلاقًا من منظور أصحابها لموقع "الدولة العبرية" في الثقافة والحضارة الغربية الأوروبية – على اعتبار أن هناك حضارة وثقافة عالمية يمثلها ما يسمى "الغرب". تقترح مقالة العمارة الصهيونية في فلسطين، لديانا دوليف وحاييم غوردون، بعنوان "العمارة الاستشراقية في البناء الصهيوني المبكّر"،[72] أن تغييرًا معماريًا سريعًا طرأ على المباني التي شيدها اليهود الصهيونيون في فلسطين خلال العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين، مما ترك آثارًا على النظرة والرؤية المعمارية بعامة في فلسطين. ويضيف الباحثان أن هذا التغيير الطارئ على العمارة اليهودية الصهيونية في فلسطين، أصبح السمة الأساسية لكل العمارة اليهودية في فلسطين في السنوات اللاحقة. ويقترح الباحثان، أن مصدر هذا التغيير هو خصائص الأيديولوجيا وفلسفة الحياة لدى العديد من الصهيونيّين. فقد تخلّوا هؤلاء عن الرغبة في الاندماج مع سكان المنطقة العربية بعامة وثقافة "الشرق"، وبدلاً من ذلك، فضلوا أن يصوّروا أنفسهم، ويثبتوا لأنفسهم، على أنهم غزاة وبنائين وحكام والمستفيدين الجدّد من "الأرض المقدسة". بالإضافة إلى ذلك، كما جاء في حلم الأب المؤسّس للصهيونية السياسية، ثيودور هيرتسل، فقد سعت الحركة الصهيونية إلى بناء مجتمع وثقافة حديثة في "أرض إسرائيل" بحيث تكون امتدادًا عضويًا حيًا للحضارة الأوروبية الحديثة.

تجلّى هذا التغيير في عمارة الجامعة العبرية، والتي تعتبر ربما أهم بناء شيدته الحركة الصهيونية في النصف الأول من القرن العشرين، ونقطة تحوّل بين الاستشراق والحداثة، وتعبير حي للحداثة والتخلّي عن الاندماج في المشهد المشرقي. ولدراسة هذا التغيير المعماري، يتوقّف الباحثان عند السياق التاريخي للتغيرات في الحياة والفكر اليهودي في فلسطين في تلك الفترة.

---

[72]. يُنظر:

Diana Dolev and Haim Gordon, "Architectural Orientalism in Early Zionist Buildings: The Case of the Hebrew University," *The Centennial Review*, vol. 36, no. 2 (1992): pp. 361-372.

أما جيمس رينتون (James Renton) في دراسته،[73] التي تناقش نظرة الصهيونية "للغرب"، وأهميته كمكان وكحضارة لـ"دولة إسرائيل" والصهيونية، وأهمية الصهيونية وإسرائيل أيضًا "للغرب وللحضارة الغربية"، والمناقشات المتعلقة بالتاريخ والذاكرة في الثقافة الصهيونية. يؤكّد الباحث أن الصلات والروابط المعقدة بين الصهيونية من جانب، وبين "الشرق الأوسط" و"الغرب" من جانب أخر، كانت جوانب هامة في الثقافة الصهيونية منذ بداية الحركة الصهيونية، إلاّ أنها كانت ضعيفة بداية لأنها لم تحتل موقعًا مركزيًا لدى المفكرين والقادة الصهاينة. ويشير الكاتب، إلى أن هذه الصورة تعزّزت أكثر فأكثر في السنوات الأولى لدولة إسرائيل، حين أصبحت العلاقة بين الصهيونية والغرب محور التركيز الرئيس للتاريخ الصهيوني العام، إذ أصبحت إسرائيل مهتمة بشدة بتأمين الدعم السياسي في الغرب للدولة الجديدة، التي رأت أنها أساسية وحيوية لبقائها. ولذلك، فقد أعرب رئيس الوزراء، دافيد بن غوريون، عن رغبته في إقناع الولايات المتحدة وبريطانيا تحديدًا بالفوائد السياسية العملية لتحالفهما مع إسرائيل كون مكانها الطبيعي هو قلب "الغرب".

لكن، باعتقادي، من خلال قراءات ومقالات وخطابات، معظم زعماء الحركة الصهيونية، في نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، يتبين أنهم يعبرون عن كونهم "غربيّين" يمثلون الحضارة الغربية الأوروبية، ولا ينتمون لـ"الشرق المتخلف"، وكانت الصهيونية، منذ بدايتها، تسعى إلى الحصول على ضمان من الدول الغربية، لإقامة "الوطن القومي اليهودي"، أي أن الباحث لم يكن دقيقًا في هذه المعلومة.

لا تستخدم مصطلحات "الغرب" (The West)، و"غربي" (Westernness)، في المقالة، كعلامات ثابتة وموضوعية لمنطقة جغرافية أو حضارة، يمكن تميزها بسهولة، بل على أنهما اصطلاحان مرنين ونسبيّين يعنيان أشياء مختلفة لأشخاص مختلفين في لحظة معينة؛ المعاني مستمدة من السياقات السياسية والخلافات والاتجاهات ووجهات النظر المتعددة. انطلاقًا من هذا النقاش النظري، حسب الباحث، تصوّرَ

---

[73]. يُنظر:

James Renton, "Yad Chaim Weizmann and the Westernness of Israel," *Jewish Historical Studies*, vol. 44 (2012): pp. 27-50.

مؤسّسي صندوق تخليد ذكرى حاييم وايزمان ("ياد وايزمان")، نوعًا خاصًا، من "الغرب" يمكن أن تنتمي إليه "الدولة اليهودية": ليبرالي وكوني وعلمي.

خلصت الدراسة إلى أنه كان لدى مئير فيسغال وبن غوريون اعتقادًا مفاده أن العلم ودوره المركزي في الصهيونية ودولة إسرائيل يجب أن يكون في قلب "ياد وايزمان" وفي الرسالة الموجّهة للإسرائيليّين وللعلم. لم يكن ذلك مجرد ممارسة لإظهار التزام إسرائيل بالعلم أو حتى بالحداثة، بل، سعى مهندسو ومخططو مشروع النصب التذكاري لوايزمان إلى إثبات أن المسعى العلمي، باعتباره مرادفًا للحضارة الغربية، كان جزءًا لا يتجزأ من الثقافة اليهودية وإسرائيل، وأن اليهود وإسرائيل كانوا بالتالي جزءًا أصيلاً من "الغرب الليبرالي". ولهذا، سعى بن غوريون وغيره، إلى وصف وتصوير وايزمان على أنه "يهودي يهودي" (*Jewish Jew*)، (أي تأكيد يهوديته وهويته القومية معًا)، في نهاية الأمر، وكذلك هو عالِم عظيم، والتأكيد على الصلة بين الاثنين. وفي نفس الوقت، فإن التركيز على يهودية وايزمان، قد منح "وعد بلفور" قوته المستمرة، كرمز لاتصال إسرائيل مع بقية "الغرب": وهذا يعني، أن "الغرب" لم يحتضن وايزمان فقط، بل احتضن "الشعب اليهودي" برمته، الذي لم يكن يمثّله وايزمان فحسب، بل جسّده أيضًا.

تبحث هذه الدراسة في فترة الخمسينيات، ولكنها تعتبر انعكاسًا واضحًا لمكانة العلم في الفكر الصهيوني عمومًا. إلاّ أن الكاتب لم يتطرق أو يطرح السياق الثقافي والسياق القومي العام لفكرة الصهيونية الغربية، بل سعى إلى التأكيد على أن عملية الربط ما بين الثقافة اليهودية، من جانب، وبين العلم، من جانب آخر، كان مهمًا في عقلية القيادات الصهيونية، لاعتبارهم جزءًا من "الغرب المتحضر"، بخلاف "الشرق المتخلف"، كما رأينا في بناء الجامعة العبرية وتصميمها وفي "ياد وايزمان".

الفصل الثاني

الإطار النظري

رافق الاستعمار الاستيطاني تحوّلات جذرية، خلال فرض سيطرته وتأسيسه على الشعوب المستعمَرة، إذ نشهد أنه استخدم أدوات كثيرة ومتباينة أحيانًا لفرض سيطرته. ولكن الثابت في جميع التجارب الاستعمارية في العصر الحديث هو استخدام الاستعمار الاستيطاني، بمختلف أشكاله وتنوّعاته والدول الراعية له، العلوم والإنتاج المعرفي، كمقاربة نظرية في منظومة تفكيره وممارساته، من أجل تعزيز مشروعه واستدامته وتحقيق أهدافه وغاياته.

بغية دراسة الحركة الصهيونية، كحركة استعمارية استيطانية – أو، كما يصفها البعض، كحركة قومية، أو حركة فكرية ثورية – التي نشأت بفعل عوامل وتطوّرات تاريخية أوروبية وفي ظرف تاريخي امتد منذ نهاية القرن الثامن عشر (الثورة الفرنسية) وحتى ولادتها في نهاية القرن التاسع عشر؛ يتوجب علينا فهم الأطر الفكرية والأيديولوجية التي ارتكزت عليها الصهيونية، ومن هذه المرتكزات، كانت الفكرة الاستعمارية والقومية والعلوم الحديثة، إلى جانب مفاهيم الحداثة، والرؤية الاستشراقية في الفكر الغربي والرسالة الحضارية التي تمثلها أوروبا، والأسس الفلسفية والنظرية لبناء المجتمعات الحديثة. ومن أهم مؤسّسات العلوم التي استخدمها الاستعمار، هي مؤسّسات البحث والجامعات، لما تمثّلها من أهمية مجتمعية وسياسية ناظمة للممارسات التي تتمتّع بجدوى تهدف إلى فرض السيطرة.

كما أسلفنا، فقد نشأت الصهيونية في سياق أوروبي فكري وسياسي مضطّرب جدًا، في ظرف هيمنت فيه خيبة الأمر من أفكار عصر التنوير التحرّرية وفي "عصر نهاية القرن" (عصر الانحطاط). كذلك، فإن الحركات القومية والأحزاب الأوروبية، التي نجحت في ترجمة تطلعاتها التاريخية والثقافية إلى مصطلحات سياسية في نهاية القرن الـ19 ومطلع القرن الـ20، قد صوّرت نفسها على أنها "تناضل، ليس لأجل حرية

شعوبها من نير الحكم الأجنبي، وتوحيد تلك الشعوب، وعودة "الأخوة" الذين تمّ فصلهم عن الوطن، وحسب، وإنما من أجل حماية تلك الشعوب من الذوبان وفقدان الهوية والامحاء الثقافي أيضًا"، وقد كانت الصهيونية أيضًا من نفس هذه الطبيعة.[74] زد على ذلك، أن نموذج القومية الإثنية (العضوية)، الذي ساد في ألمانيا وبلاد شرق أوروبا في تلك الفترة، قد تغلّب على نموذج القومية المدنية (أو الليبرالية) الذي ظهر بصورة واضحة في فرنسا وبريطانيا، وتبنّت الصهيونية بجميع تياراتها حتى الاشتراكية والماركسية منها النموذج القومي الإثني للتعريف بهوية الحركة الصهيونية.[75] ولكن كل ذلك لم يمنع جميع الحركات القومية تقريبًا من تعليق الآمال العظيمة على التكنولوجيا وأسسها العلمية لتحديث المجتمعات، وتعزيز رفاهية الإنسان والحفاظ على صحّته، وتوفير مختلف السبل لتعزيز النظام والأمن في مختلف المجتمعات والدول، ومدّ الأنظمة السياسية الأدوات لتعزيز مشاريعها الإمبريالية والاستعمارية. والصهيونية كانت تعي جيدًا القوى الكامنة في العلوم والتكنولوجيا، وخاصة لدى ثيودور هيرتسل، مؤسّس الحركة الصهيونية، وأتباعه.

فقد كان للتحولات والتطورات الفلسفية التي نتجت عن الحداثة أو التي رافقتها، في أوروبا، تأثيرها على الفكر الصهيوني، وعلى الرؤية الصهيونية لحل "المسألة اليهودية"، وتحديدًا، الأفكار التي تناولت بناء المجتمعات الناشئة الحديثة بدل التقليدية، وعملية تطورها، وفق مفاهيم وأطروحات معظم المنظرين الاجتماعيّين الكلاسيكيّين. وكذلك، أيضًا، من أهم نتائج هذه التحولات ظهور ظاهرة "تقديس العلم" والاعتماد على العقل والنظم البيروقراطية والإدارية، واحتلال مكانة مرموقة للعلم في الفكر الحداثي الأوروبي. ساهم ذلك في تطور المعرفة العلمية والمؤسّسات المعرفية المختلفة، وتوظيفها في تحقيق المشاريع السياسية المختلفة، ودورها كمشروع تطويري لأفراد المجتمع وبناء المجتمعات الحديثة. ترك كل ذلك آثاره على الفكر الصهيوني

---

[74]. زئيف ستيرنهل، **الأساطير المؤسّسة لإسرائيل: القومية، الاشتراكية، وقيام الدولة اليهودية**، ترجمة عزّت الغزاوي (رام الله: مدار، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2001)، ص 61.

[75]. حول التمييز بين القومية العضوية (الإثنية) والقومية المدنية (الليبرالية)، وتبنّي الصهيونية للقومية العضوية، يُنظر بصورة خاصة: ستيرنهل، المرجع السابق، المقدمة (ص 15–30)، والفصل الأول. أما بشأن النموذج الألماني للقومية والمواطنة (العضوية والإثنية) في مقابل النموذج الفرنسي (الليبرالي المدني)، يُنظر:

Roger Brubaker, *Citizenship and Nationhood in France and Germany* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1992).

ومكانة العلم فيه، وفي توصيف القيادات الصهيونية لذواتهم وللجمهور اليهودي، وبالتالي أفضى إلى استخدام العلوم كافة، لا سيما المعاهد البحثية والجامعات، في خدمة المشروع الصهيوني.

2-1. العلم في الفكر الحداثي والاستشراقي

كانت الحداثة من الظواهر والتحولات التاريخية التي طرأت في أوروبا، خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، والتي كان لها تأثيرات مهمة على أيديولوجية ورؤية الحركة الصهيونية، واستمدت منها أفكارها ومنهجها. وقد تزامن مع الحداثة ظهور ظاهرتين مهمتين: الأولى، تقديس العلم والاعتماد على العقل والمعرفة العلمية بدل التفكير الغيبي؛ والثانية، التوسع الاستعماري الأوروبي، وما رافقه من الانتاجات المعرفية التي بررت عمليات السيطرة والاستعمار، واستخدام المعرفة العلمية لتحقيق المشاريع السياسية والاستعمارية، وظهور الإنتاج المعرفي الذي يؤكّد على فوقية الأوروبيّين على الشرق والشرقيّين، والذي أطلق عليه إدوارد سعيد مصطلح "الاستشراق". وبغية فهم هذه التأثيرات على الحركة الصهيونية، سنحاول التوقف بإيجاز شديد عن بعض معاني الحداثة والسياقات التي نشأت فيها وعلاقتها مع العلم والاستشراق.

ابتداء من القرن الخامس عشر، طرأت تحولات في غرب أوروبا تمثلت بما عرف بـ"النهضة الأوروبية". ورافقها وتبعها حركات وثورات، اجتاحت غرب وشرق أوروبا، وانتشرت إلى مختلف مناطق العالم، بواسطة الجاليات الأوروبية عن طريق التجارة والاستعمار وغير ذلك. وكونت هذه الحركات والثورات مع "النهضة"، المجتمعات الحديثة والمعاصرة، وأهم هذه الحركات هي: "الإصلاح الديني"، والتوسع الجغرافي والتجاري، والثورة العلمية الأولى و"التنوير" الذي تلاها، والتطور الدستوري والثورة الصناعية في إنكلترا، والثورتان الأمريكية والفرنسية، وقيام الدول القومية والإمبراطوريات العالمية، والثورة الشيوعية، والثورة العلمية

والصناعية الثانية المعاصرة. وقد شكلت هذه الحركات متصلة فيما بينها، المعالم الكبرى للمسار "التحديثي".[76] وكما تبع تلك التحولات والحركات، بداية ظهور الاستشراق.

فقد بدأ الاستشراق الحديث، في فترة أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر،[77] على يد الأوروبيّين، وخاصة البريطانيّين والفرنسيّين، الذين يمتلكون تراث عريق بالاستشراق. وهو:

> طريقة للوصول إلى تلاؤم مع الشرق، مبنية على منزلة الشرق الخاصة في التجربة الأوروبية الغربية. فالاستشراق أسلوب من الفكر، قائم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق و(في معظم الأحيان) "الغرب". ويمكن للاستشراق أن يناقش ويحلل، بوصفه، المؤسّسة المشتركة للتعامل مع الشرق – التعامل معه بإصدار تقارير حوله، وإجازة الآراء فيه وإقرارها، وبوصفه، وتدريسه، والاستقرار فيه، وحكمه: وبإيجاز، الاستشراق كأسلوب غربي للسيطرة على الشرق، واستبنائه (إعادة خلق البنية)، وامتلاك السيادة عليه.[78]

تنطلق التجربة الأوروبية للحداثة، في مراحلها الأولى، من موقفين: "الموقف تجاه الماضي ومحاولة استرجاعه بالعودة إلى النموذج الإغريقي الروماني، ثم نموذج القرون الوسطى في مطلع القرن التاسع عشر؛ والموقف تجاه المستقبل القائم على العلوم وحتمية التقدم الإنساني، أي فلسفة التنوير". لكن، يبتعد مفهوم الحداثة، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، شيئًا فشيئًا، عن ارتباطه الزماني بالماضي والمستقبل، ويتحول موقفه تجاه كل ما هو جديد، ويصبح كل جديد حديثًا. وتتخذ الحداثة، شكلها الكلاسيكي، وفقًا لمفهوم يورغن هابرماس، عندما يصبح الجديد كلاسيكيًا، بمعنى الإنتاج الكلاسيكي الحديث، أي الإنتاج الذي يستمد قيمته من عملية الإبداع وابتكار الجديد، وليس من الماضي الكلاسيكي.[79]

---

[76]. قسطنطين زريق، "خصائص الحداثة"، في: **الحداثة، دفاتر فلسفية**، مرجع سبق ذكره، ص 10.

[77]. إدوارد سعيد، **الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء**، ترجمة كمال أبو ديب (بيروت: مؤسّسة الأبحاث العربية، 1995)، ص 73.

[78]. المرجع السابق، ص 37–39.

[79]. هشام شرابي، "معنى الحداثة"، في: **الحداثة، دفاتر فلسفية**، مرجع سبق ذكره، ص 20.

والحداثة، هي "حركة انفصال، إنها تقطع مع التراث والماضي، ولكن ليس لنبذه، وإنما لاحتوائه وتلوينه وإدماجه في مخاضها المتجدد. لذا، فهي اتصال وانفصال، استمرار وقطيعة: استمرار تحويلي لمعطيات الماضي وقطيعة استدماجية له". بحيث اتسمت دينامية الحداثة، بمنطق الفصل والقطيعة.[80] فالتحديث يعني: "درجة عالية من الاستعداد للدخول في تجارب جديدة، والتطلع إلى المستقبل على حساب التفكير في الماضي".[81] وبالمثل، يمكن أن نرى نظرية وممارسات الاستشراق، بوصفها، مجموعة من البنى الموروثة عن الماضي، التي "عُلمنت" وأعيد توزيعها وإنتاجها، تحت تأثير فروع الدراسة، التي هي بدورها، "بدائل مطبعنة، ومحدثة، ومعلمنة للإيمان بالخارق للطبيعة في المسيحية، أو كانت صورًا معدلة عنه (عن الماضي). وقد تُمثل الشرق وأُفسح له مكان، في صورة نصوص جديدة وأفكار جديدة، ضمن هذه البنى".[82]

تمثّلت إحدى المهام العظيمة للحداثة، التي بدأت، في نهاية القرن الثامن عشر، في التساؤل عن الحاضر.[83] فـ"روح العصر" (*Zeitgeist*) تميز الحاضر بوصفها "لحظة عابرة تنمحق في وعي التسارع وفي انتظار مستقبل مغاير".[84]

بإسقاط هذه المفاهيم، يمكننا أن نرى المشروع الصهيوني، كمشروع يتقاطع مع الحداثة؛ وإن كان لا يتوافق معها كليًا، فالحداثة تعني الانسلاخ عن الماضي، واستبداله، بينما المشروع الصهيوني هو استخدام الماضي وتطويعه مع الحاضر والمستقبل، وهو يتناسب أكثر مع الفكر الاستشراقي، الذي يعيد إنتاج الماضي بما يخدم الحاضر. والحركة الصهيونية، كانت رائدة في إعادة إنتاج الماضي والبناء عليه في سبيل تحقيق مشروعها الاستعماري الاستيطاني. وهذا لا يعني أن المشروع الصهيوني لا يمت بصلة مع الحداثة بل هو

---

[80]. محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي (إعداد وترجمة)، ""تقديم"، في: المرجع السابق، ص 5.

[81]. مصطفى التير، "المدلول الملموس للتحديث"، في: المرجع السابق، ص 13.

[82]. سعيد، مرجع سبق ذكره، ص 144.

[83]. ميشال فوكو، "الحداثة والحاضر"، في: **الحداثة، دفاتر فلسفية**، مرجع سبق ذكره، ص 48-49.

[84]. يورغن هابرماس، "مفهوم الحداثة عند هيغل"، في: المرجع السابق، ص 50.

استطاع الاستفادة من فلسفتها في موقفها من الماضي والحاضر والمستقبل، وإعادة إنتاج هذه المفاهيم الأوروبية الحداثية لتتناسب مع السردية الصهيونية واليهودية.

من خلال سعيها لبناء الجامعة العبرية/اليهودية في القدس، كانت الحركة الصهيونية تحاول تعزيز تصوّر المشروع الصهيوني بوصفه استكمالاً للمملكة اليهودية القديمة (القفز عن سنوات المنفى–2000 سنة)؛ وكأداة لإعادة استكشاف/استحداث/اختلاق وانبعاث الماضي "القومي اليهودي" التليد في فلسطين؛ وتجديد الفكر الديني اليهودي؛ وإعادة إنتاج الأساطير التلمودية من خلال استخدام العلوم الإنسانية والطبيعية، الحديثة، كنتيجة طبيعية للحداثة.

أكد عدد من الباحثين الطرق التي تُرجم بها العلم الغربي وتشابك مع الإبستيمولوجيات المحلية، كي ينتج نوعًا من الحداثة "الخليط"، "الهجينة" أو "البديلة".[85] فقد كان "المستشرق، عندما نقل الشرق إلى الحداثة، يستطيع أن يحتفل بمنهجه، وبمكانته باعتباره خالقًا علمانيًا، وإنسانًا صنع عوالم جديدة كما كان الله مرة قد صنع العوالم القديمة".[86] وقد وُجدت أدوار عدة للعلم والعلوم، وللظواهر المرتبطة به كالاستشراق؛ ففلاسفة التنوير تعاملوا مع العلم كشيء إيجابي لتفسير العالم بدل التفكير الغيبي والأسطوري، لكن، الاستعمار الأوروبي ومستشرقيه أوجدوا وظائف جديدة للعلم بحيث يساهم في شرعنة استعماره وتوسعه ودعم الإمبريالية الاستعمارية. إذ:

> أصبح العلم والتكنولوجيا، كجزء من الدين العلماني الحديث، من الخصائص المقدسة للحضارة الأوروبية، ويستخدمان كتبرير لاستعمار وسلب الأراضي "المتخلفة" وجميع المخططات التي تم تبنيها، في ذلك الوقت لتحديد مرتبة الشعوب في سلم التطور (فيما من الطبيعي أن يحتل الرجل الأبيض قمة هذا السلّم)، كانت تهدف إلى إيجاد تماثل ما بين النساء الأوروبيات والشعوب غير

---

[85]. توني بالنتاين، "المعرفة الاستعمارية (ترجمة ثائر ديب)"، **عُمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية** 5، عدد 17 (2016): ص 27؛ هشام شرابي، **النظام الأبوي وإشكالية تخلّف المجتمع العربي**، ترجمة محمود شريح (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1992).

[86]. سعيد، مرجع سبق ذكره، ص 144.

الأوروبية (من خلال قياس جماجم أبناءها). وعكست هذه المحاولات الحاجة إلى تثبيت، أو إقامة قاعدة أساسية علمية خلف اللامساواة الفعلية الجندرية والعرقية.[87]

وأصبح الاستشراق، كنظام المعرفة الأوروبية أو الغربية بالشرق، مرادفًا للسيطرة الأوروبية على الشرق.[88] وقد اعتمد الفكر الاجتماعي الأوروبي الموسوعي على مشروع ما بعد التنوير، الذي خلق نظرية للمعرفة مبنية على عقلانية عالمية، تم اعتبارها غير تاريخية ومستقلة عن الخصوصية الاجتماعية والثقافية، والتي يمارسها وكلاء مستقلون ذاتي الحكم تم تحريرهم من قيود التقاليد، مما جعل مجموعة الأفكار مركزية في تحديد كل ما يعنيه أن يكون عاملاً عقلانيًا وأخلاقيًا ومستقلاً محرّرًا من قيود التقاليد والتحيز، ومن معنى التقدم نفسه.[89] فقد لاحظ ماركس وفيبر ودوركهايم:

> النقلة الحادة من الطرق "التقليدية" في الحياة إلى الطرق "الحديثة"، وأن المجتمع كان يتغير من مجتمع تنشأ فيه السلطة والمعتقدات من التقاليد والانفعالات، إلى مجتمع يحكمه استخدام العقل والممارسات العملية، وتقدير الكفاءة والقدرة على تفسير العالم بشكل علمي، وأطلقوا على هذه المعتقدات الجديدة المعقدة – التي تقول إنه بالإمكان فهم الطبيعة وضبطها، وإنه يجب تنظيم الحياة لهدف تحقيق الكفاءة – مصطلح "العقلانية".[90]

---

[87]. رندة ناصر، "العلوم الاجتماعية والموضوعية: من عقدة "المعطف الأبيض" إلى "الرغبة في أن تضمنا خيمة العلم""، **إضافات**، عدد 33–34 (2016): ص 240.

[88]. سعيد، مرجع سبق ذكره، ص 208.

[89]. يُنظر:

Omnia El Shakry, *The Great Social Laboratory: Subjects of Knowledge in Colonial Postcolonial Egypt* (Stanford, California: Stanford University Press, 2007), p. 4.

[90]. ج. تيمونز روبيرتس وأيمي هايت، "مقدمة المحررين"، في: **من الحداثة إلى العولمة: رؤى ووجهات نظر في قضية التطور والتغيير الاجتماعي – الجزء الأول**، تحرير ج. تيمونز روبيرتس وأيمي هايت، ترجمة سمر الشيشكلي (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2004)، ص 13.

ويشير ماكس فيبر إلى "مساهمة العقلنة والبيروقراطيات والإنتاج الرأسمالي في وضع تكون فيه المعلومات متوافرة بجاهزية عالية ومتخصصة".[91] فالتطور العلمي هو الجزء الأكثر أهمية ضمن عملية العقلنة الجارية منذ مئات السنين. وتعني العقلنة الفكرية التي خلقها العلم والتقنية الموجهة تكنولوجيًا:

> أنه لا توجد قوى غامضة ... ولكن المرء بالأحرى يستطيع أن يسيطر على كل شيء ... لم يعد على المرء أن يلجأ إلى وسائل سحرية لكي يسيطر أو يستغل الأرواح ... هذا ما تنجزه الوسائل التقنية والحسابات التي تؤدي الخدمة اليوم.[92]

وقد وصف فيبر "العقلنة" (Rationalisation) بوصفها "نزع القدسية" عن العالم وعن الأشياء.[93] لقد ساهمت "العقلانية" بشكل أساسي ضمن مشروع الحداثي في القطع مع الماضي ومع المفاهيم الأسطورية والدينية والتقليدية، فقد تم التخلّي عن قدسية المفاهيم القديمة التي أورثتها الثقافات الدينية المختلفة، والتحوّل نحو منهج جديد قائم على التفكير العلمي والمنطقي.

لقد انطلقت الحداثة، من مجموعة من المواقف الأساسية، والتي تمثل تحولات جوهرية عما كان عليه الأمر في القرون الوسطى. وأهم هذه المواقف الإيمانية هي:

> إيمان بالعالم الطبيعي: بأنه العالم الحقيقي، والذي يمدنا بأسباب الرقي والسعادة. ويأتي هذا الإمداد عن طريق استكشاف القوانين التي ينتظم بها هذا العالم، وتكوين المعرفة المتراكمة الناتجة عن هذا الاستكشاف، واستخدام هذه المعرفة في السيطرة على قوى الطبيعة، واستغلال مواردها وإمكاناتها لمكافحة العلل التي تعتري الإنسان ولتوفير وجوه خيره واغتنائه؛ إيمان بالإنسان: بأنه أهم كائن في العالم الطبيعي و"معيار الأشياء جميعًا"؛ إيمان بالعقل: بأنه ميزة الإنسان ومصدر تفوقه وتفرده. إنه الأداة التي بها يتوصل إلى الحقيقة ويكون ذخيرته العلمية التي تؤلف لب حضارته وعنوان

---

[91]. ماكس فيبر، "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية (1905)، سمات البيروقراطية (1920)، رسالة العلم (1919)"، في: **من الحداثة إلى العولمة**، مرجع سبق ذكره، ص 106.

[92]. المرجع السابق، ص 122-123.

[93]. بول ريكور، "أيديولوجيا العصور الحديثة"، في: **الحداثة، دفاتر فلسفية**، مرجع سبق ذكره، ص 25.

مجده. وهذه الذخيرة العلمية ذات وجهين: حشد متزايد من المعارف المنتظمة في شتى الحقول الطبيعية والإنسانية، ومنهج دقيق في الاكتشاف والحشد والتنظيم.[94]

واستنادًا إلى هذه المعتقدات، أضحى الإيمان:

بالقوى والروابط الإنسانية، أساسًا، لبناء المجتمعات، إنه إيمان ناتج من اعتماد الإنسان فاعلاً أصيلاً في تعيّين مصيره، ومن السعي العقلاني إلى فهم سنن التنظيم الاجتماعي والتطور الحضاري. وللتطور الحضاري سننه وقوانينه التي يجب أن تفهم وتراعى في بناء المجتمعات المنشودة. إن هذا البناء لا يتم من الأعلى غير المنظور، أي بفعل مشيئة وقدرة فوق الطبيعة والإنسان، وإنما من الأدنى إلى الأعلى، أي من القوى التي تحرك الشعوب والروابط الناتجة عن هذا التحرك. ومن هنا تقدمت روابط الجنس واللغة والتراث والمصالح السياسية والاقتصادية والاجتماعية على روابط الدين أو المذهب. فكان نشوء القومية، المرتكزة على تلك الروابط، من أهم ظواهر الحداثة وأجلى معالمها. وبفعل القوى السياسية والاقتصادية والفكرية الجديدة التي أطلقتها الحداثة، جعلت "الأمة" القومية، الوحدة الأساسية التي تتطلع الشعوب إلى تكوينها والتي تميز هذه الشعوب بعضها عن بعض، والتي تتفاعل وتتصارع في الميدان العالمي.[95]

كانت المفاهيم الحداثية لبنات أساسية ارتكزت عليها الأيديولوجية والممارسة الصهيونية، إذ سيطرت هذه المبادئ والأفكار على القادة الصهيونيّين في تبنيهم لرؤاهم حول إنشاء مجتمع يهودي و"وطن قومي ودولة يهودية قومية" في فلسطين. وأصبحت المفاهيم الأوروبية للحداثة والعلوم والاستشراق حاضرة في الفكر الصهيوني وفي الأسس التي اعتمدت عليها الصهيونية في دعوتها لاستعمار فلسطين وتحقيق المشروع الاستعماري الاستيطاني. ومن نافل القول إن مفاهيم وتصوّرات الحداثة قد خضعت لعملية ملاءمة بحيث تستوي مع المفاهيم الشرق أوروبية والاحتياجات الصهيونية.

---

[94]. زريق، "خصائص"، مرجع سبق ذكره، ص 11.

[95]. المرجع السابق، ص 11-12.

2-2. إنتاج المعرفة كأداة استعمارية للسيطرة: الاستعمار وعلاقته بالعلوم، المكان والأرض

بغية فهم بعض الأوجه الاستعمارية للمشروع الصهيوني، هنالك أهمية بالغة للاطلاع على التاريخ الاستعماري-الاستيطاني للأنظمة والدول الاستعمارية في المناطق المستعمَرة، التي هي مهمة شائكة ومعقدة، وليست بالبسيطة. إن معرفة هذا التاريخ الاستعماري والسياقات التي تشكّلت به، والأدوات التي تم استخدامها لرسم وكتابة هذا التاريخ، له أهمية في تحديد أدوات النضال ومواجهة الاستعمار، لذا يجب فحص ورؤية المكونات التي ارتكز عليها هذا التاريخ الاستعماري، وما هي أهميتها في بسط السلطة والهيمنة الاستعمارية.

يتميّز النظام الاستعماري الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، كونه جزءًا من الاستعمار الأوروبي الغربي، إضافة إلى الخصائص الاستعمارية المعهودة للدول الاستعمارية الأوروبية، بالطابع الإحلالي، لا بمعنى التأكيد على قوة فرض السيطرة على السكان الأصليّين فحسب، بل فرض وإحلال مجتمع المستوطنين محل وبدل المجتمع الأصلي أو المحلي بكافة عناصره، المادية وغير المادية، أي تاريخيًا ومكانيًا وزمانيًا، جسديًا وروحيًا، ثقافيًا واجتماعيًا. ومن الأدوات المستخدمة في سبيل تكريس هذا النظام، المعرفة والإنتاج المعرفي واستخدام العلوم المرتبطة بالاستعمار التي من أهمها: الأنثروبولوجيا، والطب وعلم الوراثة والجينات، وعلم الآثار، والدراسات اليهودية، والعلوم الزراعية والطبيعية كذلك، بالإضافة إلى العلوم التكنولوجية.

فقد كانت الصهيونية:

> بنسختيها اليهودية وغير اليهودية، منذ ولادتها جزءًا لا يتجزأ من الفكر الكولونيالي، إذ أُشيعت الصهيونية غير اليهودية لأول مرة في إطار المشاريع الكولونيالية الأوروبية على يد نابليون بونابارت، خلال حملته الشهيرة على مصر. وقد دعمت القيادات الكولونيالية الرسمية الفرنسية والإنجليز، مع نهاية القرن التاسع عشر، وبدون تحفظ، فكرة الاستعمار اليهودي الأوروبي

لفلسطين، كجزء من نظام إمبراطوري دائم يُقام في المنطقة، بحيث أفضى التقاء مصالح أنصار الصهيونية من اليهود الأوروبيّين المشتركين في المشروع الكولونيالي مع مؤيديها من الأغيار إلى تعاونهما.[96]

كان يشار إلى الأنثروبولوجيا بقول "ابن" أو "ابنة" "الإمبريالية الغربية"، وكنوع من "الاستعمارية العلمية"، إذ كانت الأنثروبولوجيا مرتبطة بالاستعمار الغربي، وأدى دمج الاستعمار في موضوع الأنثروبولوجيا، إلى ظهور فئة "الإثنوغرافيا الاستعمارية".[97] فعلاقة الأنثروبولوجيا مع الاستعمار الاستيطاني الغربي، هي علاقة قديمة، وأزلية، منذ أن بدأ الاستعمار الأوروبي، في القرن الخامس عشر، الإسباني والبرتغالي، ولاحقًا، البريطاني والفرنسي، وغيرهم.

يوجد تاريخ لعلاقة الأنثروبولوجيا بالاستعمار والاستيطان، في مرحلة التوسع الاستعماري الاستيطاني الغربي، فقد كانت نظرية التطور في الأنثروبولوجيا، انعكاس وأيضًا تبرير للغزو والاستيلاء وإخضاع المناطق "الهمجية" و"البربرية" و"شبه المتحضرة" في مختلف بقاع الأرض من قبل ممثلين "الحضارة الغربية" الأوروبية. لكن، مع إنشاء القوة الاستعمارية الاستيطانية الأوروبية لم تكن الحاجة مقتصرة على تبرير للهيمنة من حيث الاختلاف، بل عملت المعرفة، الأكثر تفصيلاً، للمجتمعات العاملة، على تسهيل والمحافظة على إدارة استيطانية اقتصادية وخالية من المشاكل، بالتركيز على تقاليد الثقافة الأصلية التقليدية أو التنظيم المجتمعي، الذي يخدم موازنة "التحضر" المتصاعد للأصليّين، الذين تطابقت معهم بشدة الأمثلة الأوروبية للعدالة والديمقراطية.[98]

---

[96]. مسعد، مرجع سبق ذكره، ص 41.

[97]. يُنظر:

George W. Stocking, Jr., "Colonial Situations," in: *Colonial Situations: Essays on the Contextualization of Ethnographic Knowledge* (History of Anthropology, vol. 7), ed. by George W. Stocking, Jr. (Madison, Wisconsin: The University of Wisconsin press, 1991), pp. 3-4.

[98]. المرجع السابق، ص 4.

لقد "بنت الأنثرويولوجيا الاجتماعية، جسمًا من المعرفة، لا يمكن بسهولة وصفه كأي شيء آخر"،[99] وأصبح الهم المعرفي الاستعماري، من ضمن أعمال علماء الأنثروبولوجيا وعلماء الاجتماع وغيرهم من باحثي العلوم الإنسانية. وفي هذا السياق، تتبوأ الثقافة مكانة متنامية ودورًا متعاظمًا في الدراسات الاستعمارية وما بعد الاستعمارية. وتحتل "المعرفة" بوصفها إشكالية تحليلية، المكانة المركزية الجديدة للبحث في تاريخ الاستعمار البريطاني. فـ"المعرفة الاستعمارية" هي "تلك المعرفة التي أُنتجت بشكلها ومحتواها من خلال استغلال الموارد والتجارة والفتح، والاستعمار، وعادت لتتمكن من القيام بذلك كله".[100]

لقد لعبت العلوم الإنسانية والاجتماعية المرتبطة بعلم الإنسان وعلم الاجتماع، دورًا بارزًا في عمليات التوسع الاستعماري، وأنتجت المعرفة العلمية المستمدة من هذه العلوم، والمُنتجة بالأساس في الجامعات، أفاقًا مهمة لعمليات الاستغلال واستعمار الشعوب الآسيوية والأفريقية، وكذلك السكان الأصليّين في أستراليا وكندا وأمريكا الشمالية. وفي هذا الإطار، فإن تاريخ الاستعمار الاستيطاني الإحلالي الصهيوني في فلسطين، من خلال فحص وتفكيك النصوص المعرفية التي ارتبطت بالمشروع الصهيوني، يتضح مدى العلاقة المحورية ما بين الاستعمار الصهيوني وإنتاج المعرفة العلمية، والتي كانت تنتج من المنظرين الصهيونيّين ولاحقًا احتوتها المؤسّسات المعرفية الصهيونية مثل الجامعة العبرية.

تناولت دراسات من البحث التاريخي، في المستعمرات الاستيطانية السابقة، كندا وأستراليا ونيوزيلندا، دور إنتاج المعرفة في التمكين الاستعماري، خصوصًا، "دور الاستكشاف ورسم الخرائط وسرديات الرحالة في جلاء المشاهد المحلية وجعلها مناسبة لاستيطان البيض. وفي حين تناول بعض هذا العمل إشكالية المعرفة/القوة عند فوكو، عكس بعضه الآخر المكانة المركزية التي تحتلها الأرض بالنسبة إلى الاقتصاد

---

[99]. يُنظر:

W. G. Runciman, "Sociologese," *Encounter,* vol. xxv, no. 6 (1965): p. 47.

مقتبس لدى طلال أسد، مرجع سبق ذكره، ص 9.

[100]. بالنتاين، مرجع سبق ذكره، ص 13-14.

السياسي للاستعمار الاستيطاني".[101] وفي السياق الاستعماري الاستيطاني الصهيوني، ركز المشروع الصهيوني على هذين المحورين، الأرض والمعرفة/القوة، في التمكين لسيطرتها وهيمنتها على الفضاء الكامل لفلسطين، المكان والزمان والتاريخ والأجساد.

بالنسبة للمعرفة والقوة، توجد علاقة متينة، طردية، بين القوة وبين المعرفة، وهي التي حكمت منطق الاستعمار البريطاني، بل هي منطق جميع الاستعماريين. والمشروع الاستعماري الصهيوني، مثله مثل مشاريع الاستعمار الغربية، استخدم نفس الأدوات والممارسات التي استعملتها قوى الاستعمار الغربية. أما بالنسبة للأرض، فكانت عنصر أساسي في المشروع الاستعماري الاستيطاني الصهيوني، تفوق أهميتها لديه عن الاستعمار الأوروبي، إذ كانت تمثل الأرض بالنسبة له الجوهر المتخيل، والمكان الجديد القديم الحيوي الذي سيبني مجتمعه الجديد عليه، فهو كمشروع استعماري استيطاني إحلالي، لن يتمكن من إنجاح مشروعه دون عنصر الأرض، وتحديدًا، فلسطين.

يوضح غرشون شافير (Gershon Shafir): "كيف أن نشوء مشروع الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فترة اليشوف المبكر (خاصة ما بين 1904 – 1914)، كان يعني بناء التشكيلة الرأسمالية الصهيونية، التي لا مكان فيها للأصلانيّين، وأنماط إنتاجهم". ويضيف:

> إن المهاجرين الذين خرجوا من أوروبا الرأسمالية في فترات مختلفة، وبناء على ظروف مختلفة، لا يبحثون عن مكان جديد يكون تابعًا ومستعمَرًا، أو مستغلاً اقتصاديًا من قبل الإمبريالية الأوروبية؛ كما أنهم لا يبحثون في المقابل عن مكان فقير وتسوده أنماط إنتاجية ما قبل رأسمالية، بل إن هدفهم النهائي تطوير أنماط حياة أفضل تقوم على الرخاء.[102]

---

[101]. المرجع السابق، ص 24.

[102]. وليد حباس، "مفهوم الاستعمار الاستيطاني: نحو إطار نظري جديد"، **قضايا إسرائيلية**، عدد 66 (2017): ص 123؛ كذلك يُنظر: باتريك وولف – الكولونيالية الاستيطانية واستئصال/محو السكان الأصليّين" (ترجمة داليا طه)، في: *Settler Colonial Studies*، السنة 2، العدد 1 (2012): ص 229.

تعتبر الزراعة رمزًا فاعلاً في الهوية الاستعمارية الاستيطانية، من خلال علاقتها الوثيقة بالأرض، بالإضافة إلى مركزيتها الموضوعية الاقتصادية في المشروع الاستعماري، ولهذا:

> يقف الخطاب الاستعماري الاستيطاني، دائمًا، بشكل حازم، متمنعًا اتجاه التناقضات الساطعة، مثل السكان الأصليّين المستقرين، أو حقيقة أن المستوطنين أنفسهم هم من جاءوا من مكان آخر. ولهذا، يتضح مغزى أن صورة اليهودي المؤنثة والمرتبطة بالمعاملات المالية (أو، وفي تلك الحالة، اليهودي الرحّال) والتي كانت موضوع أجواء معاداة السامية الأوروبية، ستستبدل بهوية عدوانية ذكورية زراعية قابلة للتماثل معها في فلسطين. إن الآخر المشكل لليهودي الجديد، هو البدوي الرحّال، وليس المزارع الفلاح. إن البداوة تجعل من السكان الأصليّين قابلين للاستئصال.[103]

وإذا ما نظرنا إلى نموذج الاستعمار الاستيطاني الأوروبي في أمريكا الشمالية، نجد مدى أهمية الأرض والزراعة في المشروع الاستعماري الاستيطاني، وكيفية استغلال المستوطنين للأراضي والأنظمة الزراعية للسكان الأصليّين، وتطويرها بما يتناسب مع احتياجات وتوجّهات المستوطنين الأوروبيّين، وتأسيس اقتصادهم المعتمد على الزراعة، بل ونسب هذه الأنظمة للمستوطنين أنفسهم. فقد أنشأت عملية الاستيطان الأوروبية–الأمريكية، أنماطًا معينة لاستخدام الأراضي "المكتشفة" والتي تؤثر في المناظر الطبيعية والاجتماعية والبيئية لصالح المستوطنين. إذ لم ينتشر المستوطنون عشوائيًا على المناظر الطبيعية، بل قاموا بتكييف اختياراتهم لاستخدام الأراضي، إضافة إلى مجموعة من المعايير التي تعكس متطلبات الأنظمة الثقافية والاقتصادية والزراعية المعاصرة. فلم تكن الأرض التي استوطنها هؤلاء المستوطنون "برية بدائية، لم يمسها أحد"، كما ادّعوا، بل كانت عبارة عن منظر طبيعي تم تشكيله وتعديله من قبل السكان الأصليّين على مدار آلاف السنين،[104] وانجذب الأمريكيّين من أصل أوروبي إلى مواقع السكان الأصليّين، لأنها كانت

---

[103]. وولف، المرجع السابق، ص 236.

[104]. يُنظر:

تشمل الأرض التي كانت أسهل للزراعة، ولأنها كانت أكثر إنتاجية، إذ كان السكان الأصليون يقومون بتهيئة هذه الأراضي وهندستها وتغييرها لتلائم استخدام الأراضي الزراعية. كما استغل الأمريكيون الأوروبيون، الذين يعتمدون على القمح والماشية، هذه البيئات التي تمت هندستها سابقًا، ليكونوا قادرين على تأسيس اقتصادهم الزراعي بسرعة أكبر.[105]

لقد أوضحت دراستان، لدانييل هيدريك ومايكل أداس، نُشرتا في ثمانينيات القرن العشرين، "أهمية العلم والتكنولوجيا في التمكين لإمبريالية القرن التاسع عشر الجديدة، وشددتا على السلطة الرمزية للعلم، كعلامة على السيطرة الغربية". وأكدت دراسات لروي ماكليود على كل من العلم البريطاني والأسترالي وأوضحت "الأهمية الجوهرية للعلم في المشروع الإمبراطوري، الذي قدم نموذجًا أعقد في تناول "عمارة" العلم الإمبراطوري".[106]

وتستعرض ميغان فون مسألة الطب الاستعماري في أفريقيا وتطوّره وتسلط الضوء على التوتر بين ما يزعمه من "حياد علمي" وانغماسه العميق في بنى السيطرة الإمبراطورية. وقدمت قراءة مستفيضة حول مجال الطب الاستعماري بأكمله، موثقة الدور المحوري الذي أداه الطب والأطباء في إنتاج الفهم الاستعماري للشعوب الأفريقية.[107] وتبرز الصلة القوية بين العلم والطب، وبين السلطة الإمبراطورية، في ما أشار إليه شيلدون واطس في "تاريخه الجامع للإمبراطوريات والأوبئة، الذي اعتبر الطب أساسيًا لممارسة القوة الإمبراطورية البريطانية على المسرح العالمي".[108]

Michael R. Coughlan and Donald R. Nelson, "Influences of Native American Land Use on the Colonial Euro-American Settlement of the South Carolina Piedmont," *PLOS ONE*, vol. 13, no. 3 (2018): p. 1.

[105]. المرجع السابق، ص 18.

[106]. بالنتاين، مرجع سبق ذكره، ص 25.

[107]. يُنظر:

Megan Vaughan, *Curing their Ills: Colonial Power and African Illness* (Cambridge: Polity Press, 1991).

مقتبس لدى المرجع السابق، ص 26.

[108]. يُنظر:

وفي هذا السياق، يؤكد باتريك وولف، على:

> الطابع الحداثي للاستعمار، بحيث لا يجب التعامل مع خطاب الاستعمار الاستيطاني، كخطاب سابق لـ (أو أقل) حداثة. [ويتضح ذلك]، من خلال استخدام القدرات التكنولوجية واللوجستية والإدارية ذات الطابع المركزي للدولة الحديثة، للأشكال المختلفة من الإبادات الجماعية الحديثة؛ ومن خلال قراءته للأدوات التي استخدمها الأشكال المختلفة للاستعمار الأوروبي، الأسباني في القرن السادس عشر، نهاية القرن الثامن عشر مع البنغاليّين، والإيرلنديّين في منتصف القرن التاسع عشر، والنازية في القرن العشرين، فقد شكّل الاستعمار الاستيطاني قاعدة للحداثة.[109]

تؤكّد هذه الدراسات والأدبيات، والأطر النظرية، على أهمية العلوم المختلفة، الاجتماعية والإنسانية والعلوم التطبيقية والتكنولوجية والطبية، للأنظمة الاستعمارية في مرحلة التوسع الاستعماري الاستيطاني الغربي، واستخدام مخرجاتها المعرفية وتوظيفها في صياغة سياساتها وبسط هيمنتها وحكمها على الشعوب المستعمَرة، واستفادتها من أشكال المعرفة والعلوم المختلفة في تكريس منظومتها الاستعمارية، واستدامتها، بل وأكثر من ذلك، امتداد تأثيرها للفترة ما بعد استعمارية. واستطاع المشروع الصهيوني الاستعماري الاستيطاني، أن يعكس هذه المبادئ الاستعمارية في أيديولوجيته الاستعمارية الاستيطانية، لتحقيق مشروعه على الأرض، وكرس لها ما استطاع من أدوات تساعده على الاستفادة من أشكال المعرفة المختلفة.

Sheldon Watts, *Epidemics and History: Disease, Power, and Imperialism* (New Haven, Conn: Yale University Press, 1997).

مقتبس لدى المرجع السابق، ص 26.

[109]. وولف، مرجع سبق ذكره، ص 233–234.

2-3. المؤسّسات المعرفية/الجامعات والاستعمار: المعرفة العلمية لتحقيق المشروع السياسي

لقد تم توظيف المعرفة العلمية في سبيل تحقيق وإنجاح المشاريع الاستعمارية والسياسية على حد سواء، فالأنظمة الاستعمارية والدول الاستبدادية أو الشمولية، بل وجميع الدول والأنظمة بمختلف أيديولوجيتها، استخدمت ووظفت المعارف العلمية والإنتاجات المعرفية، في المؤسّسات البحثية وغيرها، من أجل تحقيق أهدافها المختلفة، وبسط سيطرتها وهيمنتها وتغذيتها على الشعوب المستعمَرة التي تحكمها.

عمل ميشيل فوكو على أنظمة المعرفة الثقافية الأوسع ضمن أبحاث العلوم الإنسانية على الصعيد الدولي، إضافة إلى إدراك إمكانية أن تكون الملاجئ والسجون والمستشفيات أماكن يُكشف فيها سعي الدولة الاستعمارية إلى بسط سلطة أنظمة المعرفة الغربية على الرعايا الهنود.[110] إذ:

> يستكشف فوكو السلطة، بوصفها، مجموعة من الاستراتيجيات والتقنيات. ويدرس السلطة السياسية الحديثة، بوصفها، شيئًا ظهر إلى الوجود، وليس مجرد حيازة ممركزة يتمتع بها فرد حاكم خاص أو طبقة حاكمة خاصة، بل بوصفها، سلسلة من آليات محلية، يومية للنظام، وللانضباط وللمراقبة. وهو ينظر تفصيلاً في أساليب عمل أشياء كالسجون، والمصانع، والمدارس، ومصحات المجانين، والمستشفيات والثكنات، ويبين كيف ظهرت في مثل هذه الأماكن على مدار القرنين الأخيرين، مناهج جديدة تمامًا للتنظيم وللاحتجاز والتفتيش والضبط والرقابة.[111]

وكذلك، يمكن إضافة الجامعات إلى الملاجئ والسجون والمستشفيات، وغيرها من المؤسّسات، إذ تمثل الجامعات مستوى آخر، بل مستوى أكثر تطورًا، من مستويات بسط سلطة أنظمة المعرفة الغربية الاستعمارية على الدول والشعوب المستعمَرة.

---

[110]. بالنتاين، مرجع سبق ذكره، ص 17.

[111]. تيموثي ميتشل، **استعمار مصر**، ترجمة بشير السباعي وأحمد حسان (القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، 2013)، ص 31.

يسلط كريج ويلدر (Craig Wilder) الضوء على الدور التاريخي للجامعات الأمريكية في الاستعمار والاستعباد، بما في ذلك، كيفية تأسيس بعض الأكاديميات والكليات المبكرة لغرض "تنصير" و"تَحضّر" "الوثنيّين" و"المتوحشين".[112] إذ كانت فلسفة الهيمنة الغربية مسيطرة على كامل تاريخ التعليم الرسمي في أمريكا الشمالية، منذ القرن السابع عشر، والذي تم تطبيقه على جميع السكان الأصليّين، من جميع الأعراق الثقافية واللغوية. فقد كان هدف التعليم، دائمًا، ذو شقين: تدريب "قادة" المجتمع على تطبيق "القانون"، بكل جانب من جوانب المجتمع الاستعماري، لخدمة مصالح الاستعمار؛ وفي الوقت نفسه، يعيدون تشكيل أولئك الذين يتم استعمارهم على أرضهم، وجعلهم ينظرون إلى "قانون" دولة المستوطنين على أنه شرعي، عادل، لا مفر منه، وفي بعض الأحيان، على أنه إلهي، وذلك من خلال إضفاء الطابع المؤسّسي على إنتاج المعرفة، مما يجعل قوة الاستعمار هي المالك الشرعي الوحيد للحقيقة والمعرفة. وقد استخدمت الولايات المتحدة والحكومات الكندية التربية والتعليم من أجل القضاء وإبادة كل ما هو متعلّق بالسكان الأصليّين، والذي يمكن اختزاله في كلمة واحدة: الثقافة.[113] وكان الهدف الأساس لاستبدال ثقافة السكان الأصليّين بثقافة الاستيطان الأجنبي هو تحويل علاقة الشعوب بالأرض، لجعل عملية الاستعمار وإخضاع المستعمَرين أسهل بكثير.[114]

ويرى فوكو:

> أن الهندسة الدقيقة والانضباط الصارم لهذه الأنواع الجديدة من المؤسّسات، يُعدَّان نوعًا جديدًا من السلطة على الجسد البشري، وهي سلطة لا تعمل بمجرد إصدار الأوامر المدعومة بالتهديد باستخدام القَسر العنيف، بل بتنظيم المكان وتقسيمه، وعزل الأفراد وتوزيعهم، وتنسيق حركاتهم،

---

[112]. يُنظر:

Craig Steven Wilder, *Ebony and Ivy: Race, Slavery, and the Troubled History of America's Universities* (New York: Bloomsbury Press, 2013).

[113]. يُنظر:

Curry Stephenson Malott, "Chapter 4: Critical Pedagogy in Native North America: Western and Indigenous Philosophy in the Schooling Context," *Counterpoints*, vol. 324, (A Call to Action: An Introduction to Education, Philosophy, and Native North America) (2008): pp. 117-118.

[114]. المرجع السابق، ص 121.

والمراقبة المتصلة والصامتة والتفتيشات والتحريات الصارمة، والاحتفاظ بمذكرات وبسجلات دقيقة. وهذه الأنواع الجديدة للسلطة، هي، بحكم طبيعتها، استعمارية من حيث المنهج.[115]

كان لعدد من الأفكار والمؤسّسات والشخصيات المنتمية إلى مدرسة الاستشراق، في أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر، أهمية حاسمة، للمرحلة الأولى من أعظم عصر للسيطرة الجغرافية عرفه التاريخ. إذ كانت أوروبا، مع نهاية الحرب العالمية الأولى، قد استعمرت 85% من أراضي العالم، فالاستشراق، هو جانبًا من جوانب الإمبريالية والاستعمار.[116] فقد أنشأ نابليون "معهد مصر" في حملته المصرية، وكانت فكرته تتلخّص في تأسيس نوع من "الأرشيف الحي" لحملته، في صورة دراسات حول كل الموضوعات الممكنة يقوم بها أعضاء المعهد. إن فكرة اصطحاب مجمع علمي (أكاديمية) كامل، هي جانب من جوانب "الموقف النصي" من الشرق، الذي غُذِّي بدوره عن طريق مراسيم محدّدة – مثل مرسوم تأسيس المدرسة الأهلية في المكتبة الوطنية لتدريس العربية والتركية والفارسية في عام 1793– كان هدفها هدف عقلاني: تحويل المعرفة إلى معرفة رسمية مؤسّسة. والهدف الآخر، تحويل مصر إلى بلد مفتوح تمامًا، ووضعها، بصورة كلية، في متناول التحليل المتقصّي الأوروبي؛ وأن تتحول إلى دائرة للمعرفة الفرنسية. وهنا أيضًا تتجلّى المواقف النصية والتخطيطية. فقد كان معهد مصر – خلافًا لفرقاء الكيميائيّين، والمؤرخين، وعلماء الأحياء، وعلماء الآثار، والجراحين، ودارسي العصور الماضية – "اللواء المتفقّه" ينتمي إلى ألوية الجيش، ولم تكن مهمته أقل هجومية: أن يصوغ مصر في الفرنسية الحديثة. ومنذ اللحظات الأولى للاستعمار الفرنسي، دفع نابليون المعهد إلى أن يعقد اجتماعاته ويقوم بتجاربه، أي كما يمكن أن نسميها اليوم، "بعثاته الجامعة للحقائق".[117]

---

[115]. ميتشل، مرجع سبق ذكره، ص 32.

[116]. سعيد، مرجع سبق ذكره، ص 145.

[117]. المرجع السابق، ص 107–110.

وفي الحرب العالمية الأولى، تلاقت مصالح "صندوق استكشاف فلسطين"، مع المصالح العسكرية الاستعمارية للإمبراطورية البريطانية، وعملت بريطانيا على استخدام المعرفة المنتجة من الصندوق لتحقيق المصالح العسكرية والاستعمارية. فكان المارشال هوراشيو كيتشنر، مستكشف "الصندوق" السابق، ووزير الدولة لشؤون الحرب، مدركًا للأهمية العسكرية لبرنامج "الصندوق" الخاص بوضع الخرائط. كما فعل الصندوق نفسه، ففي عام 1915، كتبت "النشرة الفصلية":

> إن المسح، ووضع الخرائط، وكل ما من شأنه أن يساهم في تحقيق معرفة أفضل لأي بلد، ولموارده، ولأهله، تنطوي، كما نرى بوضوح، على أهمية عملية كبيرة جدًا، وما أنجزه صندوق استكشاف فلسطين كان مفيدًا من نواح كثيرة لقضايا نثمنها، ولسنا بحاجة لتعدادها تخصيصًا ...

وتم استدعاء علماء الآثار، الذين استخدمهم الصندوق في السابق، للخدمة في جهاز الاستخبارات التابع للقوات البريطانية في مصر لدى اندلاع الحرب. في ذلك الوقت، كان على مساعي الصندوق أن توظَّف تحت تصرف المجهود الحربي البريطاني. وفي بداية عام 1916، طلبت وزارة الحرب، رسميًا، من الصندوق أن يعلق بيع جميع خرائطه ونشراته الجغرافية، وامتثل الصندوق للطلب.[118]

ما دام واقع الظاهرة الاجتماعية غير قابل للمعرفة من خلال منهج صارم ومحكم، وما دام يتدخل منطق الباحث وخياله في إنتاج هذه المعرفة، فستبقى هذه المعرفة غير موضوعية، وغير علمية. وكما يؤكد مايكل بوراوي (Michael Burawoy)، فحتى الوقائع/الحقائق الإمبيريقية تعتبر "تأويلات جاهزة". ويضيف أن "المعرفة تبقى، بالضرورة، تأويلات تختلف حسب الخلفية الأيديولوجية للباحث".[119]

> ولا شك أن ميادين الدراسة لا توجد بذاتها بل تُخلق، ثم تكتسب انسجامًا داخليًا، وتكاملاً، مع مرور الزمن لأن الباحثين ينذرون أنفسهم بطرق متنوعة لما يبدو مضمونًا متفقًا عليه بصورة جماعية. بيد أن من البديهي أن أي ميدان دراسي نادرًا ما يكون محددًا بالبساطة التي يدعيها له

---

[118]. نيل سلبرمن، **بحثًا عن إله ووطن: صراع الغرب على فلسطين وآثارها (1799–1917م)**، ترجمة فاضل جتكر (دمشق: قدمس للنشر والتوزيع، 2001)، ص 295–296.

[119]. ناصر، مرجع سبق ذكره، ص 244–245.

حتى أكثر معتنقيه حماسة – وهم عادة باحثون، وأساتذة، وخبراء، وأمثالهم. وإلى جانب ذلك، فإن ميدانًا دراسيًا ما، يمكن أن يتغير بصورة كلية حتى في مجال الفروع الأكثر تقليدية مثل فقه اللغة، والتاريخ، والشريعة بحيث يصبح تقديم تحديد شمولي مستقصٍ لمضمونه شبه مستحيل.[120]

وقد أوضح فيبر أنه "لا توجد معرفة موضوعية، على الإطلاق، عن الثقافة، وبالطبع عن المجتمع ... جميع أشكال المعرفة عن الواقع الثقافي، هي دائمًا معرفة نابعة من وجهة نظر معينة ...".[121]

ويؤكّد سعيد أن الاستشراق، بشكله الجامعي أو البحثي، هو أكثر قيمة، بشكل خاص، كعلامة على القوة الأوروبية – الأطلسية تجاه الشرق منه، كخطاب حقيقي حول الشرق. إن ما علينا إدراكه، هو "القوة المتلاحمة" للخطاب الاستشراقي، وعلاقاته المتينة والوثيقة بالمؤسّسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المعززة، وقدرته القوية على الاستمرار والبقاء. فأي نظام من الأفكار، منذ أواخر الأربعينيات من القرن التاسع عشر، إلى الوقت الحاضر، يستطيع، بعد كل مراجعة، على أن يبقى دون تغير، كحكمة، قابلة للتدريس، في المجامع، والكتب، والمؤتمرات، والجامعات، ومعاهد السلك الخارجي، لا بد أن يكون شيئًا أكثر صلابة ومتانة من مجرد مجموعة من الأكاذيب.[122]

تعدّدت أدوار وأهداف المؤسّسات المعرفية والبحثية في الأنظمة الاستعمارية المختلفة، إلا أنها صبت جميعًا في مصلحة الاستعمار من خلال توظيف وإسهام هذه المعرفة في العملية الاستعمارية الأوسع. فهذه الأطروحات النظرية، تبين أهمية المؤسّسات المعرفية والتعليمية، والعلوم المختلفة؛ الإنسانية والاجتماعية، الطبية والعلمية، في المشروع الاستعماري للدول الاستعمارية في بسط هيمنتها وتكريس السلطة الاستعمارية واستدامتها قدر المستطاع.

---

[120]. سعيد، مرجع سبق ذكره، ص 80.

[121]. ناصر، مرجع سبق ذكره، ص 245–246.

[122]. سعيد، مرجع سبق ذكره، ص 41.

والمشروع الصهيوني الاستعماري الاستيطاني، كان ينظر بنفس القدر لأهمية المؤسّسات المعرفية في الاستعمار، وذلك كان واضحًا في الأهداف من إقامة الجامعة العبرية في القدس. ومن بين ما تناوله المؤرخين والزعماء الصهيونيّين عن أهمية الجامعة للاستعمار، على سبيل المثال وليس الحصر، يجيب المؤرّخ يوسف كلاوزنر (J. Klausner) (أولكنيني، ليطوانيا الروسية، 1874–1958)، في عام 1913، على معارضة البعض أنه من خلال إنشاء جامعة عبرية، كهذه، فإنه بهذا "تنشط في أرض إسرائيل بروحانيات أكثر مما هو ضروري، بأننا بهذا نعزّز الثقافة على حساب الاستيطان":

> إن بناء جامعة عبرية في هذا الوقت، ليس نشاطًا ثقافيًا إلى تلك الدرجة بل هو نشاطًا استيطانيًا. زد على ذلك، فإنها مسألة سياسية كذلك. ففي حالة عدم وجود مثل هذه الجامعة، حينها سوف يهاجر جميع خريجي المدرسة الثانوية في يافا إلى الخارج ولن يعودوا إلى البلاد. أما إذا أنشئت هذه الجامعة، فإنها لن تعيد هؤلاء من الهجرة فحسب، بل إنها سوف تجذب مئات الشباب سنويًا للدراسة فيها، وخلال ذلك سوف ينكشفون إلى الحياة العبرية المفعمة بالحياة في فلسطين ولن يتركوها. لهذا فإن وظيفة هذه الجامعة لا تقل أهمية عن الاستيطان أو التجار المستوطنين في البلاد.[123]

وتوجد أمثلة عديدة حول أهمية الجامعة العبرية في المشروع الاستعماري، وفي المشروع السياسي، للمشروع الصهيوني، في خطابات ومقالات الزعماء والمنظرين الصهيونيّين الآخرين، وتحديدًا في خطابات ومقالات حاييم وايزمان، والتي سيتم تناولها وتحليلها في سياق البحث الحالي.

---

[123]. يوسف كلاوزنر، **بماذا نبدأ؟: حول مسألة إنشاء جامعة عبرية في القدس** (أوديسا: مطبعة موريا، 1913)، ص 2–3. [بالعبرية]

2-3-1. المشروع الاستعماري (والصهيوني) بوصفه مشروعًا ثقافيًا

هدف المشروع الصهيوني الاستعماري الاستيطاني، كمشروع، إلى إعادة إنتاج الهوية الثقافية والهوية الجامعة لليهود، المنحدرين من ثقافات عديدة ومتنوعة، من الشرق ومن الغرب، من جهة، ومن جهة أخرى، إعادة إنتاج الهوية الثقافية والمشروع الثقافي أو استبداله بنموذج ثقافي استعماري جديد، يهودي غربي، للمساهمة في بسط السيطرة والهيمنة، على فلسطين. وهو لم يختلف في الإطار العام عن الأنظمة والمشاريع الاستعمارية الأوروبية الأخرى، في توصيفها كمشاريع استعمارية ثقافية، وإن كان هناك اختلافات ما بين النموذجين.

أوضح أنطونيو غرامشي أن الدول لا تحكم بالقانون والشرطة والمحاكم والسجون فحسب:

> وإنما بهيمنة الأفكار والمعتقدات والأحلام. بهذا المعنى فإن المشروع الصهيوني، هو مشروع ثقافي، بقدر ما هو مشروع سياسي؛ أي أنه أحدث ويُحدث تحولاً في التاريخ اليهودي، وفي علاقة اليهود بالزمن، بالخلاص، بأوروبا، بالتوراة وبالأرض – "أرض إسرائيل". وتقع في أساس هذه المنظومة الفكرية، فكرة "نفي المنفى"؛ والتي تعني نسيان الماضي القريب، والتنازل عن ثقافته ولغته.[124]

أعاد المشروع الاستعماري الصهيوني، بوصفه مشروعًا ثقافيًا، إنتاج الثقافة والهوية اليهودية ليتناسب مع فكرة الاستعمار في هذا المشروع الاستعماري الاستيطاني، من خلال العمل على بناء ثقافة وهوية جامعة للمجتمع الصهيوني لتمثل "المشروع القومي" الصهيوني، ودمج حالة الاغتراب لدى "المهاجرين الجدد"، ومن ثم تسويغ الحياة الجديدة، وصقلها من خلال عملية "الأسرلة"، وخلق "قومية يهودية"، لتكون، بمثابة، الهوية الجامعة لجميع الثقافات والإثنيات والتوجهات المنتشرة لليهود.

---

[124]. رائف زريق، "كلمة المحرر"، **قضايا إسرائيلية** 13، عدد 50 (2013): ص 4.

كان نيكولاس ديركس (Nicholas B. Dirks) رائدًا في توسيع النظرة إلى الاستعمار بوصفه مشروعًا ثقافيًا يسعى إلى السيطرة. ويعلّل مضيفًا أن المعرفة الاستعمارية قد "خلقت مقولات وتناقضات جديدة بين المستعمِرين والمستعمَرين، الأوروبيّين والآسيويّين، الحديث والتقليدي، الغرب والشرق، أعادت بناء الأشكال الثقافية في المجتمعات المصنفة حديثًا على أنها تقليدية وغيرتها".[125]

ترى الناقدة والمنظرة غواري فيسواناثان (Gauri Viswanathan) أن قوة الاستعمار تتجلّى بصورة خاصة في ميدان الثقافة، وأوضحت كيف جنَّد الاستعمار في الهند الدراسات الأدبية وفكرة الأدب ذاتها، بوصفها، وسيلة فاعلة من وسائل الضبط الاجتماعي ومعقل القوة الاستعمارية. وأصبح ينظر المسؤولون الكبار، منذ ثلاثينيات القرن التاسع عشر، إلى الأدب الإنكليزي، بوصفه، قوة حاسمة، في إعادة صوغ "طابع" الهنود وأداة أيديولوجية ناجحة، صممتها دولة استعمارية قلقة، لاحتواء أي ميل إلى التمرد من طرف المستعمَرين.[126] فقد "صاغ البريطانيون، انطلاقًا من آرائهم وتأويلاتهم المتنافسة، رؤية منظمة جديدة للـ"تراث"، بوصفه، أساس السياسة الاستعمارية".[127]

لقد عملت الحركة الصهيونية على إعادة إنتاج وصناعة "التراث اليهودي" الموجود في أوروبا، ليتناسب مع الأيديولوجية الصهيونية في إنتاج هوية و"قومية يهودية" بصيغة صهيونية، تساهم في حشد اليهود على "الرحيل" إلى فلسطين لبناء "الوطن القومي اليهودي"، من خلال تطويع الأدب والثقافة العبرية القديمة، وإدخال العناصر الصهيونية فيها لتساعد على صناعة الوعي لليهودي الجديد التي كانت الصهيونية ساعية إلى إنتاجه. فالمشروع الصهيوني كمشروع ثقافي، أوروبي غربي، ارتكز في مشروعه، على الأدوات التي

---

[125]. يُنظر:

Nicholas B. Dirks, "Foreword," to *Colonialism and its Forms of Knowledge: The British in India*, Bernard S. Cohen, (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1996), p. ix.

مقتبس لدى بالنتاين، مرجع سبق ذكره، ص 19.

[126]. يُنظر:

Gauri Viswanathan, *Masks of Conquest: Literary Study & British Rule in India,* Social Foundations of Aesthetic Forms Series (New York: Columbia University Press, 1989).

مقتبس لدى المرجع السابق، ص 16.

[127]. المرجع السابق، ص 18.

استخدمتها المشاريع الاستعمارية الأوروبية الأخرى، من استخدامه للمفاهيم الاستشراقية، والثقافية والتعليمية، التي ستكون أساسية في بناء منظومته الثقافية الجديدة وإسقاطها على الواقع الجديد، وبهذا فتح الطريق أمام استبدال المعرفة المحلّية بمعرفة استعمارية "حديثة" وافدة من الخارج.

2-4. مساهمة إنتاج المعرفة والجامعات في بناء مجتمع جديد وتحديث المجتمع القائم

2-4-1. بناء مجتمع جديد

هدفت الحركة الصهيونية إلى بناء مجتمع جديد ليهود الشتات، وتجميع جميع اليهود في أرض خارج أوروبا، تكون "وطنًا" ومجتمعًا جديدًا لهم، وذلك استنادًا إلى فكرة المركزية الأوروبية والطروحات الاستعمارية التي سيطرت على نهج الحركة الصهيونية، من ضرورة خلق مجتمع جديد على أنقاض المجتمع القديم الأصلاني. وكأننا أمام تحقيقًا لما جاء عند كارل ماركس حين أكّد أن "على إنكلترا أن تحقّق في الهند رسالة مزدوجة: الأولى تدميرية، والثانية إحيائية تجديدية – إفناء المجتمع الآسيوي، وإرساء الأسس المادية للمجتمع الغربي في آسيا". إن الخلفية والمصادر التي تحدّد تصوّر ماركس للشرق، هنا، هي مصادر رومانسية بل ومسيحانية أيضًا: "فالشرق أقل أهمية، من حيث هو مادة إنسانية، منه من حيث هو عنصر في مشروع رومانسي للخلاص"، بحيث أن الرابح، دومًا، هي الرؤيا "الرومانسية الاستشراقية". وهكذا، تصبح تحليلات ماركس الاقتصادية ملائمة تمامًا لمشروع رومانسي شائع، إذ إن آراءه الاقتصادية "غارقة في هذه الصورة الشائعة الراسخة"، رغم إنسانيته، وتعاطفه مع بؤس البشر، التي سيطرت عليه بشكل كبير.[128]

يطلعنا وولف على أن منطق الاستعمار الاستيطاني يسعى إلى "الوصول بأسرع وقت ممكن إلى الاعتماد الذاتي، والاستمرارية الذاتية، سواء في الاقتصاد، أو في التركيبة الديموغرافية. فمعنى الاستيطان الدائم،

[128]. سعيد، مرجع سبق ذكره، ص 171.

يتضمن إنشاء مجتمع متكامل من المستعمِرين الاستيطانيّين".[129] إذ يأتي المستعمرون الاستيطانيون ليبقوا، فالاستعمار هو منظومة وبنية دائمة وليس حدثًا مؤقتًا.[130] وكما أشار هيرتسل، الأب المؤسّس للصهيونية، في روايته: "إذا كنت أرغب في استبدال مبنى قديم بجديد، فعلي أن أدمر القديم قبل أن أبدأ بالبناء". وتحقيقًا لهذا الاعتراف بعد حوالي نصف قرن، يستذكر مستشار رئيس بلدية القدس ميرون بنفنيستي: "كأحد أعضاء حركة الرواد الشباب، أنا نفسي جعلت الصحراء تزهر، باقتلاع أشجار الزيتون القديمة لإعداد الأرض لزراعة أشجار الموز، كما تطلبت منا مبادئ التخطيط الزراعي للكيبوتس الذي انتمي له، روش هانيكرا".[131] فمحاولة خلق "واقع جديد" على أنقاض الواقع "القديم"، هو محور مركزي جدًا في الخطاب الأيديولوجي للمشروع الصهيوني.[132]

مع أن مشروع الحداثة الأوروبي ركز على أهمية الفرد، إلا أن المشروع الصهيوني، كمشروع جمعي، يهدف إلى بناء مجتمع متكامل يشكل فيه الأفراد نسيج متكامل من العلاقات والأطر والمهام، بحيث تكون أهداف الأفراد والمؤسّسات هي لخدمة المشروع الجمعي الاستيطاني الصهيوني. وقد أوضح أحاد هعام هذا التوجّه في مقالته "الجسد والروح" (1904) حين أكّد أنه:

> في فترة أوائل وجودنا القومي، فترة الهيكل الأول (الفترة التي تقع بين حكم الملك سليمان حتى تدمير الهيكل عام 586 ق. م.) كانت الحياة بالنسبة لليهودية، قديمًا، هي الحلول هنا على الأرض، وذلك، بالتشديد على حياة الجماعة وتعليم الفرد أن لا يعتبر نفسه وحدة منعزلة محدودة بولادته وموته، إنما جزء من كل أوسع وأهم، وبأنه عضو من وحدة مجتمع أكبر. مثل هذا المفهوم، لا يحول محور الشخصية من الجسد إلى الروح، ولكن من الفرد إلى المجتمع، وبذلك،

---

[129]. حباس، مرجع سبق ذكره، ص 118.

[130]. وولف، مرجع سبق ذكره، ص 227؛ يُنظر كذلك:
Patrick Wolfe, *Settler Colonialism and the Transformation of Anthropology: The Politics and Poetics of an Ethnographic Event* (London: Cassell, 1999).

[131]. وولف، مرجع سبق ذكره، ص 228.

[132]. يُنظر: Corry and Golan، مرجع سبق ذكره، ص 395؛ يُنظر كذلك:
Oz Almog, *The Creation of the New Jew: The Sabra*, trans. by Haim Watzman (Berkeley, CA: The University of California Press, 2000).

تحولت مشكلة الحياة من صعيد الفرد إلى صعيد المجتمع. أنا أحيا من أجل مصلحة المجتمع الذي أعيش فيه، وأموت في سبيل إفساح المجال للغير الذين يحاولون الحفاظ على المجتمع وتخليصه من الجمود والركود، وهكذا، يحرز الفرد معنى لحياته. لكن، هذا الشيء يكون مقبولاً إذا كان المجتمع نفسه يعيش من أجل هدف يستطيع الفرد من أجله تحمل كل تضحية يعملها ...[133]

يحقق تقسيم العمل مهمة دمج الجسم الاجتماعي نفسها، ويؤكد وحدته في المجتمعات المعاصرة التي نمت بالطريقة التي نعرفها. ولا تستطيع المجتمعات السياسية الكبيرة، أن تدعم توازنها إلا بتخصص المهام، فتقسيم العمل هو مصدر التعاون الاجتماعي، إن لم يكن القاعدة الوحيدة، فعلى الأقل الأساسية.[134] ولكي تكون السيطرة الاجتماعية صارمة، ولكي يتم الحفاظ على الوعي العام، يجب أن يتفرغ المجتمع إلى أقسام مستقلة صغيرة باعتدال، بحيث تطوق الفرد بالكامل. وبشكل عكسي، تزداد السيطرة الاجتماعية والشعور العام ضعفًا عندما يضمحل مثل هذا التقسيم.[135] وتتم هذه السيطرة الصارمة، من خلال إنشاء وتأسيس مؤسّسات اجتماعية – سياسية – ثقافية، مختلفة المهام، ومختلفة الأدوار والطبيعة، باختلاف الأنظمة السياسية أو الاستعمارية، لتمارس وتعمل على بلورة وصيانة النظام المسيطر والمهيمن على الأفراد والمجتمع. ومن أهم هذه المؤسّسات، المؤسّسات التعليمية، والتثقيفية، ومن أهم صفات وسمات هذه المؤسّسات المنهج الاستعماري، وإن كانت تمارس في "دولة قومية مستقلة".

يعمل "السكان الأصليّون" داخل المؤسّسات الاجتماعية – العلمية الاستعمارية كأجسام سلبية للمراقبة؛ وتصنف "العينات" كممثلين فرديّين أو جماعيّين لعرقهم، والذي هو جزء لا يتجزأ من خطاب التسلسل الهرمي للتقدم الحضاري. وعلى النقيض، صاغت النخبة القومية الأصلية برنامجها الاجتماعي–العلمي، والذي فيه التفرد (شرط مسبق للقومية) وإمكانية التعليم (شرط مسبق للتقدم) للأمة الجماعية (مثل الفلاح

---

[133]. أحاد هعام، "الجسد والروح (1904)"، في: إنيس صايغ (إعداد)، **الفكرة الصهيونية**، مرجع سبق ذكره، ص 147–148.

[134]. إميل دوركهايم، "تقسيم العمل في المجتمع (1893)"، في: **من الحداثة إلى العولمة**، مرجع سبق ذكره، ص 70.

[135]. المرجع السابق، ص 93.

والقرية، العائلة) يمكن إثباتها من خلال الإثنوغرافيا، والتجارب الميدانية، ومشاريع الهندسة الاجتماعية – التي من شأنها أن تعالج ركود المجتمع المصري. وترتبط هذه المشاريع ارتباطًا وثيقًا بعلوم الأرض (الجغرافيا والزراعة) وعلوم العمل (الجغرافيا البشرية والديموغرافيا).[136]

والمشروع الصهيوني، كمشروع استعماري استيطاني، وكمشروع وضع نفسه في سلة المشاريع القومية الداعية للتحرّر من الاستعمار البريطاني كما ادعى، أو من اضطهاد الشعوب الأوروبية، ارتكز في عملية السيطرة والهيمنة على اليهود وعلى العرب الفلسطينيّين (المستعمَرين)، في آن واحد، على إقامة وإنشاء المؤسّسات التعليمية والاجتماعية والثقافية المختلفة، التي ستكون حجر الأساس في عملية بناء المنظومة الاستعمارية المسيطرة.

وقد ساهمت هذه المؤسّسات الاجتماعية التعليمية وعلى رأسها الجامعة العبرية في عملية إنشاء هذه المنظومة والمساهمة في عملية بناء المجتمع اليهودي الجديد بالمفاهيم والمحددات التي فرضتها السردية والرؤية الصهيونية المرتكزة على المفاهيم العلمية والقومية والاستعمارية، والمفاهيم الحديثة لبناء المجتمعات ونموها وتنميتها وتطورها بما يحقق الأهداف المتعددة للمشروع الصهيوني الاستعماري الاستيطاني الإحلالي.

2-4-2. تحديث المجتمع القائم

كانت الرسالة الدائمة والحاضرة في الفكر الاستعماري، هي تحقيقهم لرسالة "حضارية" أوروبية، للعمل على "تحضير" الشعوب "البدائية"، ومساعدتهم على الرقي والتطور. والحركة الصهيونية، كحركة استعمارية استيطانية، استجابت لهذا الفكر الاستعماري، واعتبرت نفسها – من خلال استنادها إلى المفهوم التوراتي – "نورًا للأغيار"، تمثل الخير لجميع البشر. واعتمدت الحركة الصهيونية على عدة أدوات بغية تحقيق تلك

[136]. يُنظر: El Shakry، مرجع سبق ذكره، ص 5-6.

"الرسالة" من خلال استخدامات العلوم الإنسانية الثلاث: علم الآثار؛ الطب وعلم الوراثة؛ الدراسات اليهودية، وكذلك، العلوم الطبيعية، مثل الزراعة والكيمياء، والعلوم التكنولوجية، والمؤسّسات العلمية والثقافية المختلفة، والتي مثلت جميعها أهم المرتكزات لبناء المجتمع وتحديثه.

فقد تميزت المشاريع الاستعمارية الأوروبية الحديثة بالرغبة في تحويل العالم إلى واقع أكثر إنسانية، وهي صورة مبنية على مُثل التنوير، وتعتمد على التمييز بين "الحياة المتحضرة" وبين "الهمجية والبربرية". إن هذه الحضارة تشير، دائمًا، إلى الحضارة الأوروبية، فقط، وهي قصة خصوصية التاريخ الأوروبي والحضارة التي تتنكر، في ادعائها، على أنها عالمية، والتي تشكّل المؤامرة الأساسية للاستعمار.[137] وفي حالة الاستعمار الاستيطاني، يستعمر المستعمِر الأرض المستعمَرة، ليبقى، ولا ينوي العودة إلى "الوطن"، فهدفه هو تحويل المستعمرة إلى "وطن جديد".[138] يحول باتريك وولف هذه الصفة، أي "الهجرة للاستيطان الدائم"، إلى عبارة تحمل دلالات نظرية: فهو يوضح أن "المستعمِرين جاؤوا ليبقوا. الغزو، في حالة الاستعمار الاستيطاني، هو بنية وليس حدثًا".[139] والحدث، له بداية وله نهاية؛ يمكن أن يزول أثره أو يستمر.[140] أما البنية فهي من أهداف الاستعمار الاستيطاني، لأنها– في الفكر الاستعماري الاستيطاني – لا تزول، وهدفها الاستمرار واستدامة آثارها ومشروعها الاستعماري الاستيطاني، وإقامة مجتمع كامل بديل عن المجتمع المستعمَر.

وفقًا لبرنارد كوهين، توجد مكانة كبيرة للمعرفة في البنى السياسية التي أقامها البريطانيون في الهند، وقامت البنى المؤسّسية والنصية والثقافية في صياغة فهم الدولة الاستعمارية لمجتمع جنوب آسيا. إذ كان هناك تنازع بين المنظومتين المعرفيتين البريطانية والجنوب الآسيوية، مما جعل الفهم الغربي للمجتمع الهندي

---

[137]. المرجع السابق، ص 4.

[138]. يُنظر:

Lorenzo Veracini, *Settler Colonialism: A Theoretical Overview* (New York: Palgrave Macmillan, 2010), p.6; Evelyn N. Glenn, "settler Colonialism as Structure: A Framework for Comparative Studies of U.S. Race and Gender Formation," *Sociology of Race and Ethnicity,* vol. 1, no. 1 (2015): p. 57.

مقتبس لدى حباس، مرجع سبق ذكره، ص 119.

[139]. مقتبس لدى المرجع السابق.

[140]. المرجع السابق.

يؤدي دور مركزي في تأمين السيطرة الاستعمارية.[141] لذلك سعت الحركة الصهيونية، منذ أن بدأ استعمارها لفلسطين، لإنشاء "مكان" يدار من خلاله الفهم للمجتمع المحلي القائم، لإدارة السلطة الاستعمارية الاستيطانية وتسهيل عملية إنشاء مجتمع يهودي بديل للمجتمع القائم. وهذا "المكان" كان الجامعة العبرية التي احتوت، لاحقًا، في كلياتها معهدًا للدراسات الشرقية.

استكشف مانويل كاستيلز مكانة تكنولوجيا المعلومات في تشكيلات القرن التاسع عشر الاجتماعية، وقدم كريستوفر بايلي (Christopher Bayly) قراءة في الاستعمار، تحبك، معًا، كلاً من التاريخ الاجتماعي والثقافي. ويشدد كلاً من بايلي وكاستيلز على أن التعليم وتكنولوجيا المعلومات والجماعات المعرفية، هي أمور أساسية لأي فهم للتغيير الاجتماعي. ومن خلال دراسة "نظام المعلومات" في الهند الاستعمارية، نجد أن البنى التي أنتجت المعلومات وصاغت الحياة الفكرية الهندية، أولت اهتمامًا خاصًا، بحجم التعلم المحلي ومعناه، والأنساق المحلية لتجمع الإنتلجنسيا (طبقة المثقفين)، وقوة تقاليد الفكر الراسخة، والمكانة المتبدلة لخبراء المعرفة، وتأثير التكنولوجيات الجديدة، خصوصًا الطباعة. ويضع بايلي صعود "شركة الهند الشرقية" سدة السلطة في سياق اشتباكها مع هذه البنى والتقاليد الجنوب الأسيوية، مشددًا على جهد "الشركة" في "جعل" ذلك كله في خدمة الدولة الاستعمارية.[142] في حين أشار برنارد كوهين إلى أن "المعرفة الاستعمارية كانت أساسية للهيمنة البريطانية، وأنها همشت التقاليد المحلية، وغيرت الهويات الجنوب الأسيوية بلا رجعة".[143]

من هنا يمكن لمس جهود الجامعة العبرية في خدمة المشروع الاستعماري الصهيوني، وفي الهيمنة والسلطة الصهيونية على المجتمع المحلي، وفي إعادة رسم المجتمع المحلي وتغيير هويته العربية، وبل عملت

---

[141]. بالنتاين، مرجع سبق ذكره، ص 18.

[142]. يُنظر:

Christopher A. Bayly, *Empire and Information: Intelligence Gathering and Social Communication in India, 1780-1870,* Cambridge Studies in Indian History and Society; 1 (Cambridge; New work: Cambridge University Press, 1996).

مقتبس لدى المرجع السابق، ص 22.

[143]. المرجع السابق.

الصهيونية، أيضًا، على تغيير هوية اليهودي الأوروبي، واليهودي الشرقي واليهودي المحلي (الفلسطيني) إلى "يهودي إسرائيلي جديد" في أرض فلسطين. فيتم في سياق الاستعمار الاستيطاني، "ترميز العلاقة القائمة على الإزالة والاستبدال، من خلال تفعيل خطاب إقصائي، يظهر فيه المستوطنون على أنهم جماعة صاعدة وواعدة، بينما يظهر السكان الأصلانيّين فيه مجتمعًا في طريقه إلى الزوال والاندثار". ويحدد الخطاب العنصري، في سياق الاستعمار الاستيطاني، من يستطيع أن ينتقل من طرف إلى آخر، ومن لا يمكنه ذلك، فاليهودي الشرقي، يستطيع أن يتطور إلى يهود حداثي أوروبي الثقافة، لكن، السكان الأصلانيون غير اليهود، لا يمكنهم أن يصبحوا يهودًا أوروبيّين أو حتى يهودًا. إذ "تجد الخطابات المستخدمة في كل سياق استعماري استيطاني، تبريرها السوسيولوجي في طبيعة العلاقة المادية بين أطرافها داخل بنية المجتمع الاستعماري الاستيطاني".[144] فقد اتبعت الأنظمة الاستعمارية، مجموعة من الاستراتيجيات لتعريف المجتمعات المحلية، وتجلّى دور الاستعمار في إعادة صوغ الهويات المحلية، على نحو مختلف، باختلاف وتنوع التواريخ الاستعمارية.[145] ويطلعنا ميتشل على أن الاستعمار لا يشير "إلى مجرد واقع وجود استعماري أوروبي، بل إلى تطور مناهج جديدة للسلطة السياسية، وإن هذه المناهج الاستعمارية، هي جوهر كل سلطة سياسية حديثة".[146]

ولتثبيت هذا الواقع الاستعماري الجديد، في فلسطين، تم إنشاء مؤسّسات وخطط واستراتيجيات ضمن مناهج جديدة للسلطة الاستعمارية، تمثلت، من ضمن ما تمثلت، بالجامعة العبرية من خلال استحداث معاهد بحث وكليات في الجامعة للعب دور أساسي في صياغة الحدود الجديدة للسلطة الاستعمارية الاستيطانية الجديدة. ومن جانب آخر، العمل على إعادة إنتاج المكان والزمان، ليتناسب مع الرواية الاستعمارية الإحلالية الصهيونية. فقد كانت إعادة تسمية فلسطين بـ"أرض إسرائيل" "جزءًا من إعادة التنظيم المكاني للشعب الذي سوف يسكنها" استنادًا إلى الأسماء والتوصيفات التوراتية. ومن الجدير بالذكر، أن "الهدف الصهيوني من

---

[144]. حباس، مرجع سبق ذكره، ص 121-122.

[145]. بالنتاين، مرجع سبق ذكره، ص 31.

[146]. ميتشل، مرجع سبق ذكره، ص 31.

دمج وطي الشعب اليهودي في الدولة اليهودية، إنما هو محاولة لنفي وجود الشعب اليهودي خارج تخوم الزمان/المكان الصهيوني المسمى بالدولة اليهودية".[147]

> إن إعادة تسمية فلسطين بإسرائيل [و"أرض إسرائيل"] من قبل المستعمِرين الاستيطانيّين اليهود الأوروبيّين، لم تكن لها قيمة رمزية فقط، بل شملت، وما تزال تشمل، مسحًا جغرافيًا دقيقًا للبلد بأكمله، إذ أصبحت الأركيولوجيا المبدأ الهادي لإسرائيل في تحويلها وتبديلها إلى فلسطين. وقد مضى الانبعاث المكاني لأرض العبرانيّين القدامى جنبًا إلى جنب مع تحويل التواريخ اليهودية والفلسطينية وإعادة كتابتها بحسب المأثور الصهيوني.[148]

وكما يوضح باتريك وولف، تبني المجتمعات الاستعمارية معارفها على المعارف التقليدية الموجودة لدى المجتمعات الأصليّين، مثل الزراعة مثلاً، من خلال استخدام أدوات العلم الحديث.[149]

يعيد الاستعمار الاستيطاني، وفقًا لمفهوم البنية لدى وولف، إعادة إنتاج الزمان والمكان، ليصبحان، من الآن فصاعدًا، ملكًا للمستوطنين الجدد، وليس لحقبة ما قبل الاستعمار.[150] لقد أوضحت هنيدة غانم كيف قام المستعمِر الصهيوني بإعادة إنتاج المكان، أي فلسطين، من خلال تحويل الأسماء، والرموز، والذكريات، والروايات التاريخية لتصبح منتمية إلى روايته. وترى غانم أن الإزالة والمحو في الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، تعتبر أفعالاً شمولية "يراد منها إبعاد اسمهم وذكرهم من الفضاء الزمكاني، واستعمار تاريخ المكان وفضائه وأسمائه".[151] فقد ادعت غالبية مشاريع الاستعمار الاستيطاني وجود "رسالة تاريخية أو حضارية أو مهمة دينية"، في "تحرير الأرض وتطهيرها" من السكان الأصلانيّين، وذلك عبر إعادة إنتاج

---

[147]. مسعد، مرجع سبق ذكره، ص 86-87.

[148]. المرجع السابق، ص 87.

[149]. وولف، مرجع سبق ذكره، ص 228.

[150]. حباس، مرجع سبق ذكره، ص 120.

[151]. هنيدة غانم، "المحو والإنشاء في المشروع الاستعماري الصهيوني"، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، عدد 96 (2013): ص 120. مقتبس لدى المرجع السابق.

الزمان والمكان والأسماء. لذلك، يكون السياق الاستعماري الاستيطاني، مثقلاً، بالخطابات العنصرية التي تعتبر جزءًا بنيويًا من المشروع الاستعماري.[152]

كان لعملية خلق مجتمع جديد على أنقاض المجتمع القديم، وإنشاء مجتمع جديد حداثي، وتحديث المجتمع القديم، أهمية في الأيديولوجيا الصهيونية الاستعمارية الاستيطانية، لذلك، اتجهت الحركة الصهيونية إلى استخدام أدوات معرفية من أجل النجاح في عملية التحديث، وأوجدت المؤسّسات المتنوعة التي تساعدها في استخلاص هذه الأدوات المعرفية، والتي ساهمت الجامعة العبرية/اليهودية في ذلك الجهد، فقد استخدمت الحركة الصهيونية المعارف، بشتى أنواعها، للمساهمة في عملية التحديث هذه. وقد استخدمت الحركة الصهيونية الإنتاج المعرفي والعلم والتكنولوجيا، بوصفها، الوجه التطبيقي للعلوم الحديثة، كوسيلة وأداة، لإعادة إنتاج الوعي اليهودي، وإنتاج يهودي جديد، في إعادة الميثولوجيا والأسطورة اليهودية التلمودية، واعتبارها حقيقة تاريخية، وانتقالها من عالم المتخيل إلى عالم الواقع.

2-4-3. إعادة إنتاج الجسد اليهودي واليهودي الجديد

إن غالبية الأنظمة الاستعمارية، في سعيها لبسط السيطرة والهيمنة على الشعوب التي استعمرتها، كانت تعمل على استعمار الأرض والإنسان على حد سواء. وامتلك المشروع الصهيوني الاستعماري الاستيطاني ميزة إضافية إلى جانب استعمار الإنسان المستعمَر، بغية إعادة بناء مجتمع جديد وتحديث المجتمع القائم، فقد كان لا بد من إعادة إنتاج اليهودي نفسه، جسده وعقله، إذ من المهمات التي اعتبرتها الحركة الصهيونية أساسية في مشروعها، هي إعادة إنتاج الجسد اليهودي وإعادة إنتاج اليهودي الجديد. فقد رافقت الدعوة إلى استيطان فلسطين، عملية إعادة إنتاج الجسد اليهودي، فالحركة الصهيونية في سعيها لبناء "وطن قومي يهودي"، في فلسطين، كان عليها تحقيق الشروط الموضوعية والذاتية لتحقيق مثل هذا البناء، وعملية إعادة إنتاج الجسد والعقل لليهودي الجديد، كانت من أهم متطلبات الشروط الذاتية للحركة الصهيونية. فقد كانت

---

[152]. المرجع السابق، ص 120-121.

الصهيونية معنية لإنتاج يهودي جديد موحد في فلسطين، ذو صفات مميزة ونقية وقوية، جسديًا وعقليًا، ومحسن مقارنة مع يهود الشتات، ويمتلك صورة مغايرة لصورة اليهودي الضعيف والملاحق، في أوروبا، وتحديدًا في غربها.[153]

وكانت الحركة الصهيونية معينة بالعمل على الاثنين، العقل والجسم، العقل من خلال إعادة بناء وإنتاج الوعي اليهودي، ليحقق ويؤمن بالرؤية والرواية التي اخترعتها الصهيونية لبناء "الوطن القومي"، والجسم من خلال إعادة صناعته بما يتناسب مع التحديات الجديدة للحركة الصهيونية في بنائها للمجتمع الجديد. وبما يخالف صورته الهزيلة في المنفى، كما أشار إليها ماكس نوردو في "يهود العضلات"، مما يشكّل بالتالي، إنتاج يهودي جديد. فقد يبقى اليهودي الجديد صفة صهيونية ثابتة. جاء في مقدمة مذكرات مناحيم بيغن (بريست لتوفيسك في روسيا البيضاء، 1913– تل أبيب 1992)، الذي سيصبح "رئيس وزراء إسرائيل" لاحقًا، بأنه وبالإضافة لقراءه اليهود، فإنه قد قام بكتابة هذا الكتاب للأغيار: "خشية أن يكونوا غير مستعدين لإدراك، أو قادرين على تجاهل حقيقة بأنه من الرحم والدم والدموع والرماد ولد نوع جديد من الإنسان، نوع غير معروف بشكل كلي للعالم خلال ألف وثمانمائة سنة، إنه "اليهودي المقاتل"".[154]

أولت الحركة الصهيونية أهمية كبرى لجمع المعلومات والأبحاث، والعلوم المختلفة، من خلال إنشاء جامعة، في بدايات مشروعها الاستعماري الاستيطاني، تتكون من معاهد للدراسات المختلفة، بغية عمل دراسات دقيقة عن اليهود، وعن المستعمَرين، على حد سواء، من أجل البناء عليها، في سبيل تحقيق رؤيتها حول إنتاج اليهودي الجديد، والمساهمة في تأسيس سلطة استعمارية قادرة على الحكم واستدامة هذه السلطة الاستعمارية. وتحقيقًا، لاختراعها قومية يهودية بصيغة صهيونية، يكون أساسها هذا اليهودي الجديد.

---

[153]. للتوسّع حول هذا الموضوع، يُنظر: Hirsch، Zionist Eugenics، مرجع سبق ذكره.

[154]. وولف، مرجع سبق ذكره، ص 248.

2-5. إنتاج المعرفة كأداة لإعادة استكشاف الماضي القومي التليد

ظهرت وانتشرت القومية، في أوروبا، في القرن التاسع عشر، بعد عصر التنوير وظهور الحداثة، والذي كان يعني تحرير العقل والواقع من قيود الماضي وإرثه والاعتماد على العلوم الحديثة. ومن هنا، برزت علاقة القومية مع العلوم الحديثة، إذ ساهمت العلوم والإنتاج المعرفي في بلورة الأفكار القومية لدى الشعوب المستعمَرة، والشعوب أو الفئات السكانية التي تمتعت بثقافات مختلفة عن بيئتها الأوروبية. وقد استمدت الحركة الصهيونية، أفكارها حول القومية من السياق الأوروبي الذي نشأت فيه، كما تم، في الحالة الصهيونية، أيضًا، استخدام العلوم والإنتاج المعرفي، كأداة، لإثبات الادعاءات التاريخية والحقائق المتخيلة عن "القومية اليهودية" و"العنصر اليهودي".

فقد كانت الآراء المتعلقة بالقومية والاستعمار والعنصرية، التي سادت أوروبا، وما تبعها من تحليلات وتفسيرات، والتي انغرست عميقًا في العقلية اليهودية، هي التي تقف وراء العديد من أسس الصهيونية ونظرياتها، وتركت أثرًا كبيرًا على تفكير آباء الصهيونية وزعمائها، كما يتضح من كتاباتهم وأعمالهم. وتقف هذه المعتقدات والآراء، أيضًا، وراء العديد من الحقوق والمتطلبات الاستثنائية، التي تدعيها الصهيونية، في مواقفها من باقي الشعوب والدول.[155]

تقوم الهندسة الاجتماعية، في تشكيلة الاستعمار الاستيطاني، على شروع المستعمِرين، أثناء الاستحواذ على الأرض وإزالة السكان الأصلانيّين، ببناء أنفسهم، كجماعة اجتماعية، ذات هوية واحدة ومتماسكة. إذ عادة ما يأتي المستعمِرون الاستيطانيون من دول وقوميات مختلفة، ليوحدهم مستقبل الدولة الاستعمارية. فتاريخ الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، يقوم منذ بدايته، وحتى اليوم الحاضر، على مبدأ صناعة الهوية الإسرائيلية العبرية الفريدة؛ ابتداء من اليعازر بن يهودا (لوشكي، ليطوانيا الروسية، 1858-1922)، أحد أهم رواد فكرة "إحياء اللغة العبرية"، الذي رفع شعار "عام أحد، سافاه أحت" (شعب واحد، لغة واحدة)، وصولاً إلى مؤسّسة الجيش الإسرائيلي

[155]. جريس، الجزء الأول، مرجع سبق ذكره، ص 58.

التي تعتبر "كور حيتوخ" (بوتقة صهر)، ومرورًا بالكيبوتس، كانت كتلة المستوطنين تحاول باستمرار تحديد معالمها باعتبارها كتلة متماسكة، فريدة، وإعادة إنتاج نفسها، كصاحبة هوية متماسكة.[156]

وترتبط التقنيات الجديدة للنظام وللحقيقة، بفهم جديد للشخص، بوقع جديد للنفس وبوقع جديد للآخر، وبمناهج جديدة لخلق الهوية السياسية.[157]

أوضح جوستاف لوبون (Gustave Le Bon)، الاستشراقي، في أعماله، في نهاية القرن التسع عشر وأوائل القرن العشرين، أن العقل القومي هو "مركب من كل ماضي شعب ما" واستغرق في تطوره أجيالاً عديدة. وينتج عن ذلك، أننا لن نستطيع إدخال الحضارة الحديثة، كما يقترح باستمرار، إلى الأجزاء الأخرى من العالم بمجرد التربية. فـ"الزنجي أو الياباني يمكنه بسهولة أن ينال درجة جامعية أو يصبح محاميًا إلا أن هذا النوع من اللمعان الذي يكتسبه على هذا النحو سطحي تمامًا، وليس له تأثير على تكوينه العقلي". وعلى أوروبا أن تغير ليس فقط مستوى ذكاء أمة تأمل أن "تحدثها"، كما كان يُعتقد، بل كذلك روحها. و"لتمكينها من توريث حضارتها لشعب آخر، سيكون من الضروري أن تستطيع توريث روحها". والأفراد حين ينضمون إلى مجموعة اجتماعية يبدو أنهم يمرون بتحول ذهني، إنهم يفقدون شيئًا من ذكائهم وتحفظهم الأخلاقي، فالجماعة، هي "كيان عضوي تندمج خلاياه الفردية لتشكل جسدًا حيًا، لتشكل كائنًا انتقاليًا يملك عقلاً جمعيًا غير واعٍ. وفي هذا الاندماج تضيع سوى ما هو شائع، رواسب اللاوعي السيكولوجي أو العرقي".[158]

الحركة الصهيونية، في اعتمادها على ما يبدو، على لوبون وأمثاله، كانت واعية، لعملية صناعة الوعي لليهودي الجديد، ولاستحضار الماضي البعيد لفكرة الدولة اليهودية، والخلاص لليهود من نير الأغراب

---

[156]. حباس، مرجع سبق ذكره، ص 124.

[157]. ميتشل، مرجع سبق ذكره، ص 39.

[158]. المرجع السابق، ص 212–216.

والأغيار. إذ كانت معنية إلى جانب استحضار الماضي (فكرة الدولة اليهودية القديمة وملوك العبرانيّين)، استحضار فكرة "الشعب المختار"، وأصالة العرق لـ"الشعب اليهودي"، بالإضافة إلى الأساطير للأبطال العبرانيّين من التوراة والتراث اليهودي القديم. والمشروع الصهيوني، كمشروع استعماري استيطاني، يتكون مستوطنيه من عدة قوميات وإثنيات، أراد صناعة هوية "عبرية يهودية" جديدة، جامعة، تندمج جميع الهويات والقوميات المختلفة داخله.

وقد جاء المنهج والاستخدام العلمي والإنتاج المعرفي، و"اكتشاف" شواهد أثرية، ليؤكد على منظومة القيم والثقافة اليهودية، بصيغتها الصهيونية، من خلال توظيف العلم والتكنولوجيا والمعرفة، وخاصة العلوم الكتابية والتوراتية وعلم الآثار، في عملية "تحرير" وخلاص اليهود عبر تعميق العلاقة بين الأرض والإنسان اليهودي الجديد، والتأكيد على العلاقة الناظمة بين الفرد وبين الصهيونية و"الدولة العبرية"، وفق أسس الاستعمار الاستيطاني ومبادئ الصهيونية واحترام الثقافة الجديدة على قاعدة "الشعب اليهودي" ومقولات "الشعب المختار"، لبناء نموذج جديد لليهودية ولـ"القومية اليهودية"، بصيغتها الصهيونية، على أنقاض الماضي التليد.

الفصل الثالث

الصهيونية والعلم

3-1. العلم في الفكر الصهيوني

احتل العلم مكانة كبيرة في الفكر الصهيوني ولدى القادة والمفكرين الصهيونيّين الأوائل، منذ أن نشأت الحركة الصهيونية، وشدد أكثرهم على أهمية العلم والعلوم والأبحاث العلمية، بفروعها المختلفة، بغية تحقيق أهداف الصهيونية بإقامة "الوطن القومي" ولاحقًا "دولة إسرائيل"، وتحقيق مكانة مرموقة "للشعب اليهودي" بين الأمم. واستخدمت العلوم المختلفة والإنتاج المعرفي، كأداة، لدى الصهيونية لتكريس حلمها بإقامة الكيان، وبناء مجتمع يهودي جديد، وإنتاج وإعادة إنتاج اليهودي الجديد، وصقله وبناء وعيه بالمفاهيم والأفكار الجديدة للصهيونية بما يحقق أهدافها.

يرى ماكس نورداو:

> أن هناك مهمتين رئيسيتين تقعان على عاتق الصهيونية، وإن كانتا في اتجاهين متضادين: عليها الحصول على أرض إسرائيل للشعب اليهودي؛ وتهيئة الشعب اليهودي لأرض إسرائيل ... والمهمة الثانية أهم بكثير من الأولى، لأنه إذا وصلنا إلى أرض إسرائيل، ينبغي أن نكون متأكدين، إننا سنظهر، هناك، كأمة محترمة، ولذلك، يجب القيام بنشاط تنظيمي وتثقيفي واسع بين اليهود لإعدادهم.[159]

[159]. جريس، الجزء الأول، مرجع سبق ذكره، ص 189.

ويؤكد مناحيم أوسيشكين (دوبروفنا، روسيا البيضاء، 1863–1941)، أحد كبار زعماء الصهيونيّين الروس، عند طرح أسس برنامجه، وآراءه في العمل الصهيوني، الذي نشره في كراس بعنوان "برنامجنا" عام 1904، على أن المهمة الأولى، للحركة الصهيونية، هي تقوية "الوعي الذاتي" بين اليهود، والتي ينبغي على جميع الجمعيات الصهيونية، أن تهتم بذلك:

> ما قيل حتى الآن، ضروري لاحتلال أرض إسرائيل اقتصاديًا، ولكن ينبغي احتلال البلد ثقافيًا أيضًا، وأساس وجذور كل ثقافة روحانية في أي بلد، يكمنان في تثقيف شعبها. ولهذا من المناسب أن تكون لنا مدارس خاصة في كل المستوطنات والمدن ... تكون اللغة العبرية مسيطرة فيها، بالنسبة لكل مواد الدراسة ... والأهم من المدارس للمبتدئين، المدارس الثانوية والتقنية والمهنية، والأهم من الاثنتين: مؤسّسات الدراسة العليا: دار معلمين ومعهد هندسي – تطبيقي.[160]

وفي المؤتمر الصهيوني العاشر عام 1911، ضغط الصهيونيون "العمليون" على المؤتمر لاتخاذ قرار، فرض بموجبه "على اللجنة التنفيذية الصهيونية، واجب، تنظيم وتركيز النشاط الثقافي العبري في أرض إسرائيل وبلدان الشرق"، رغم معارضة تيار المزراحي (التيار الأرثوذكسي المتدين ضمن المؤتمر الصهيوني) الشديدة. وقد يكون من بين تلك المشاريع – على حد تعبير أحد المتدينين المعاصرين – "تغطية أرض إسرائيل بشبكة من المدارس العلمانية".[161]

فالتهيئة التي يشدد عليها نورداو وأوسيشكين، متمثلة بإقامة المدارس، والمعاهد والمؤسّسات التعليمية العليا، التي ستكون حجر الزاوية في عملية بناء الوعي الذاتي اليهودي الجديد. ومهمة الحركة الصهيونية الأولى، هي النشاط الثقافي والتعليمي، الذي سيساهم في إنجاح المشروع الصهيوني الاستيطاني.

وقد كان الطابع المؤثر لتطلعات هيرتسل مستمدًا من فكرة التقدم العلمي والتكنولوجي، حتى أنه اعتبر المهندس فرديناند دي لسبس، مهندس قناة السويس التي افتتحت عام 1869، مثله الأعلى في الحياة، وفي

---

[160]. المرجع السابق، ص 202–204.

[161]. المرجع السابق، ص 214.

أواخر عام 1894، نجده يوظف ويستخدم ظاهرة العداء للسامية، فـ "يعتبرها ظاهرة نافعة لتثقيف اليهود وتطوير الخلق اليهودي"، لكنه يرى أن معالجة الأمر يكون على صعيد الأدب، فيكتب مسرحيته "الغيتو الجديد"، "محاولاً استلهام المثل الأعلى للتصالح الإنساني".[162] يستخدم في كتابه "دولة اليهود" (1896)، مثلاً، المجازيات للتقدم العلمي، ويقارنها باضطهاد اليهود للتعبير عن التخلف العلمي محاولاً إظهار التناقض في ذلك:

> لقد بعثت الانجازات التقنية، في هذا القرن، نهضة عظيمة، رغم أننا لم نلاحظ بعد تطبيق هذه الانجازات العظيمة لصالح الإنسانية. فالمسافات الشاسعة، لا تشكل عائقًا الآن، ومع هذا، فنحن نتذمر من مشكلة تكاثف السكان، إن سفننا البخارية، تحملنا بسرعة وأمان عبر البحار الواسعة، سككنا الحديدية، تحملنا بأمان، أيضًا، عبر جبال العالم التي كنا نمشيها على الأقدام، وتصلنا أخبار الأحداث في البلدان التي اكتشفت حديثًا خلال ساعة من حدوثها. لهذا، وبسبب هذه النهضة، أصبح اضطهاد اليهود غريبًا وخطأ في تسلسل حوادث التاريخ، وليس لأنه كانت هناك قبل مائة سنة فترة تنوير لم تؤثر في الواقع إلا على فئة قليلة مثالية. إن الضوء الكهربائي لم يخترع كي ينير غرف المتعجرفين، إنما لمساعدة الإنسانية في حل بعض مشاكلها. إحدى هذه المشاكل التي هي ليست الأقل أهمية، هي المسألة اليهودية. وإذا عملنا لحلها فنحن نعمل، كذلك، لخير كثير من الناس البائسين والمضطهدين.[163]

وفي معرض رده على تساؤل اليهود عن فكرة تحقيق الدولة اليهودية؛ في كتابه "دولة اليهود" (1896)، يشدّد ويبرهن على أهمية العلم والتكنولوجيا في سبيل تحقيق ونمو "الحلم اليهودي القومي"، وعلى أهمية المتعلمين الذين سيتم إنتاجهم وتعليمهم للحركة الصهيونية في تحقيق ذلك الحلم:

---

[162]. أنيس صايغ (إعداد)، **الفكرة الصهيونية**، مرجع سبق ذكره، ص 97-98.

[163]. ثيودور هيرتسل، "الدولة اليهودية (1896)"، في: المرجع السابق، ص 105.

لو كان الأمر سهل التحقيق لتم منذ زمن بعيد؟، لم يكن الأمر سهلاً، حتى اليوم، إنما هو الآن شيء معقول. فقبل مائة عام أو حتى قبل خمسين سنة، كانت هذه الفكرة مجرد وهم، أما اليوم فهي حقيقة. إن الغني، والذي يستوعب معنى التقدم التقني، يعرف، تمامًا، مدى أهمية الدور الذي يلعبه المال، أما الفقراء والبسطاء الذين لا فكرة لديهم عن قوة الإنسان التي يمارسها على الطبيعة، فإنه سيكون لهم إيمان متين بالرسالة الجديدة لأن هؤلاء لم يفقدوا إيمانهم بأرض الميعاد أبدًا ... وهكذا، يكون لنا الراحة والاطمئنان وسيجد المفكرون – الذين ننتجهم من الطبقة الوسطى بكثرة – مكانًا لهم في منظمتنا، وسيعملون فنيّين وضباطًا وأساتذة وموظفين ومحاميّين وأطباء. وهكذا، ستنمو الدولة بسرعة وسهولة.[164]

لقد استوحى هيرتسل فكرة تحقيق الحلم والأسطورة الصهيونية من التكنولوجيا والعلم، بالإضافة إلى أفكار المنظرين الاجتماعيّين الكلاسيكيّين، أمثال إميل دوركهايم، في بناء المجتمعات الحديثة، إذ أنهى روايته "أرض قديمة جديدة" (1902)، "أما إذا لم توطدوا العزم، فإن كل ما قصصته عليكم هنا، إن هو إلا أسطورة وسيظل أسطورة ... إن كل عمل يقوم به الإنسان أساسه حلم، ولكل نفس ما سعت".[165] فحقيقة إقامة "وطن ودولة لليهود" هو حلم رومانسي، لكنه يمكن أن يتحول إلى حقيقة وواقع، بالعمل والتخطيط والإيمان.

أما يهوذا ليون ماغنس (سان فرانسيسكو، 1877–1948): في مقالته "مثل بقية الشعوب؟" (1930)، أوضح أهمية "الرسالة" التي يحملها "الشعب اليهودي" واليهودية، والتي تتمثل بنشر العلم والنور "للأغيار" ولليهود واليهودية، إذ إن اليهود بطبيعتهم "يقدسون" العلم، ومهمتهم في العالم، هي نشر العلم الذي يحملونه في عقيدتهم، في كل مكان وزمان:

---

[164]. المرجع السابق، ص 122.

[165]. بنيامين زئيف (ثيودور) هيرتسل، **أرض قديمة جديدة (الطنويلاند)**، ترجمة مئير حداد (تل أبيب: دار النشر العربي، 1968)، ص 211.

إن الشعب اليهودي الموجود، حاليًا، عنصر أساسي، فهو الذي يحمل ويستوعب اليهودية والروح اليهودية كذلك. لقد استخدم، حتى منفاه، من أجل نشر العلم والنور. وتمكن فلسطين هذا الشعب من معرفة نفسه ومن وضعها في مكانها الصحيح من أجل إغناء ثقافته وتعميق فلسفته وتجديد دينه. وكذلك، فإنها تساعد هذا الشعب في تأدية رسالته الأخلاقية العظيمة ككيان قومي–أممي.[166]

لقد عبرت الصهيونية المبكرة عن تأكيدها بأن التعليم والبيئة المناسبين، يمكن أن تحول العقلية اليهودية إلى عقلية طبيعية أكثر صحة، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإنها تبقى مطمئنة إلى تفرد اليهود. إذ إنها، من ناحية، رغبت في أن تعيد صياغة "المادة البشرية" من جديد؛ ومن ناحية أخرى، فإنها ترغب في تأمين الحرية والفضاء لتكشف الإبداع الفردي، الشخصي والقومي، الذي يطيع القواعد الداخلية فقط. وهذا موجود في كلا الصهيونيتين "القومية" و"الاشتراكية"، ونجدها لدى جابوتينسكي، وبن غوريون.[167]

فقد لعبت شخصيات علمية يهودية عديدة، وخاصة من بين "المهاجرين" من ألمانيا في أعقاب طردهم من الجامعات الألمانية في مطلع الثلاثينيات، أدوارًا حاسمة في البحث العلمي في فلسطين. ومن اللافت للنظر، أن جميعهم، تقريبًا، اختاروا تناول قضايا لها علاقة مباشرة مع الأيديولوجيا الصهيونية والنشاطات الاستيطانية. فمن بين الشخصيات البارزة في الحركة الصهيونية، نذكر عالم الاجتماع والاقتصادي الألماني اليهودي أرثور روبين (Arthur Ruppin) (رافيتش Rawitsch – في بولندا، 1876–1943)، الذي شغل منصب رئيس "الفرع الفلسطيني" في يافا، وهو الذراع التنفيذي للمنظمة الصهيونية المكلّف بجميع قضايا الاستيطان في فلسطين، ومدير دائرة الاستيطان في الوكالة اليهودية. سعى روبين من خلال أبحاثه ومعارفه الواسعة حول "العرق اليهودي" ونظريات تحسين النسل (Eugenics) إلى استحداث "صنفًا عرقيًا يهوديًا جديدًا"، في فلسطين، بوصفها، البيئة المثلى لمثل هذا المسعى لأنها "أرض الآباء والأجداد".[168]

---

[166]. يهوذا ليون ماغنس، "مثل بقية الشعوب؟ (1930)"، أنيس صايغ (إعداد)، **الفكرة الصهيونية**، مرجع سبق ذكره، ص 319.

[167]. يُنظر: Funkenstein، مرجع سبق ذكره، ص 349–350.

[168]. يُنظر بصورة خاصة:

ونذكر، كذلك، الكيميائي وعالم النباتات الألماني اليهودي أوتو فاربورغ (Otto Warburg, 1859-1938)، الذي تناول مسألة الاستيطان في فلسطين من زاويتي علم النباتات والعلوم الزراعية. ولا يغيب عن بالنا، بالطبع، حاييم وايزمان، القائد السياسي في الحركة الصهيونية، وفي "دولة إسرائيل" لاحقًا بالطبع، الذي كان ناشطًا على الصعيد العلمي.[169]

بالنسبة لوايزمان، رأى بن غوريون وآخرون في القيادة الصهيونية، أن وايزمان، يمثل رمزًا بارزًا، للطابع الغربي لـ"الأمة اليهودية"، وهو مفهوم مستمد من أسطورته، كرجل دولة وعالِم، احتضنته النخب السياسية في "الغرب الديمقراطي الليبرالي". وسعى بن غوريون ومئير فيسغال وآخرون، من وراء بناء النصب التذكاري "ياد وايزمان"، في "رحوفوت"، إلى تعزيز العلم، خاصةً، باعتباره جانبًا رئيسيًا، من إرث وايزمان، بالإضافة إلى الفائدة العملية للمشروع الصهيوني، فقد تصورا العلم، كما فعل الكثيرون في عالم ما بعد الحرب، كمرادف قوي للحضارة الغربية التقدمية، رؤية عالمية ليبرالية للغرب، سمحت بإدراج "الدولة اليهودية" فيها. ومن خلال "ياد وايزمان"، عرضوا انجازات وايزمان العلمية، كجزء، من مشاركة أوسع مع "الغرب الليبرالي"، مما يدل، أيضًا، على نجاحاته السياسية في هذا المجال، ولا سيما "وعد بلفور"، إذ تم تصوير الجانبين، العلمي والسياسي، كخطين، أو جانبين، من نفس القصة.[170]

بينما كان أرثور روبين، منذ البداية، يعمل على تحقيق رؤيته، وخطته، لإنشاء مجال اجتماعي عبري حديث، في "دولة نموذجية". فلم يهتم، فقط، في شراء العقارات وتأسيس اقتصاد مؤسّساتي، وإنما كان يهتم لبناء أمة، والتخطيط لثقافتها، وكان مدركًا أن الهوية الصهيونية الجديدة، سوف تنشأ من خلال التعليم الصهيوني والمؤسّسات الصهيونية لإنتاج وبناء اليهودي الجديد. لقد كان له أثر تكويني على البرامج

Etan Bloom, "What 'The Father' had in Mind? Arthur Ruppin (1876–1943), Cultural Identity, Weltanschauung and Action," *History of European Ideas*, vol. 33 (2007): pp. 330–349;
و Hirsch، Zionist Eugenics، مرجع سبق ذكره، ص 592–609.

[169]. نوريت كيرش وشاؤول كاتس، "ما بين الكيمياء والسياسة: النشاط العلمي لوايزمان في الثلاثينيات والأربعينيات"، في: **وايزمان قائد الصهيونية**، تحرير أوري كوهن ومئير حازن (القدس: مركز زلمان شزار لدراسة تاريخ الشعب اليهودي، 2016)، ص 414. [بالعبرية]

[170]. يُنظر: Renton، مرجع سبق ذكره، ص 28.

التربوية لليشوف الجديد، ووفقًا لمؤرخي التعليم، فإنه في الواقع، هو الذي أسس نظام التعليم ما قبل "الدولة"، كما شارك في تأسيس الجامعة العبرية ومعهد التخنيون في حيفا، وأسس مركز لدعم اللغة العبرية.[171] فقد كانت الهوية الثقافية الجديدة في اليشوف، بحد كبير، من نتاج التخطيط الثقافي الذي روج له روبين، وهذا التغيير في المجتمع الإسرائيلي والحقل الاجتماعي، أدى إلى صياغة وخلق وإنتاج "الهوية العبرية الثقافية المعاصرة".[172]

بعد أن تطور "الوطن القومي" في فلسطين، بشكل واضح، قال جابوتينسكي، عام 1934: "إنني أعتقد بأن كراسيْ "التحرير الذاتي" (من تأليف بينسكر) و"دولة اليهود" (من تأليف هيرتسل) أكثر أهمية من تأسيس الكيرن كاييمت وبنك الاستيطان اليهودي ... إن البناء الفكري أهم من البناء المادي"،[173] إي أنه يشدّد على أهمية الإنتاج المعرفي والبناء الفكري، الذي يعتبره أهم من المؤسّسات المادية، ومؤسّسات الاستيطان، إذ أن برأيه، البناء الفكري ساهم، بدرجة أكبر، من المؤسّسات المادية في بناء وتطور المجتمع اليهودي الاستيطاني.

افتتح ديفيد بن غوريون، بوصفه رئيسًا للوزراء ووزيرًا للأمن، كلية الطب في الجامعة العبرية. وذلك، بعد عام واحد من "استقلال دولة إسرائيل"، وبعد مدّة وجيزة من انتهاء "حرب الاستقلال"، في أيّار/مايو عام 1949. صبّ بن غوريون جُل اهتمامه على العام الحافل، الذي مرّ مؤخرًا وعلى التحديات التي تحيط بـ"الدولة الوليدة"، وذلك، في ذروة مجده، كقائد، متوّج بالنصر الأخير. أنهى بن غوريون كلماته بإعلانه: "يتوارث العالم، ما مفاده، أن الكتاب والسيف يتضافران مع بعضهما البعض، لكن الأمة اليهودية المنعتقة مؤخرًا، ستثبت للعالم أن الكتاب أقوى من السيف". حاجة بن غوريون للتأكيد على قيم الدولة الروحية، وإخفاء قوّة السيف بين ثنايا الكتاب، جزء مما أطلق عليه يعقوب تلمون (Jacob Talmon) "تلمّس الطابع

---

[171]. يُنظر:

Etan Bloom, *Arthur Ruppin and the Production of Pre-Israeli Culture*, edited by Giuseppe Veltri, Studies in Jewish History and Culture, vol. 31, (Boston: Brill, 2011), pp. 2-5.

[172]. المرجع السابق، ص 18.

[173]. جريس، الجزء الثاني، مرجع سبق ذكره، ص 169.

اليهودي بوضوح"، من حيث احترامه للمسائل الروحية والفكرية. كان تبجيل المعرفة، والروح، والإبداع الفكري سمّة مميزة لقادة ذلك الجيل، وبن غوريون جزء من هذا التقليد الراسخ.[174]

لقد أولى بن غوريون أهمية كبيرة لتوسع البنى التحتية العلمية، إذ تعلم من "حرب الاستقلال"، دور العلم الرئيسي في تطوير الأسلحة. وأدرك أن العلم وسيلة من أجل ضمان بعيد المدى لتفوق "إسرائيل" النوعي على الجيران، الأكبر جغرافيًا وبشريًا. لذلك، لم يعد التعليم والمعرفة ترفًا، بل وسائط رئيسية، تصب في خدمة "النضال من أجل البقاء".[175] بينما تعلم وايزمان، من الحرب العالمية الأولى، دور العلم الرئيسي في معالجة ما فعلته الحرب من ويلات، بالإضافة إلى أهمية العلوم والأبحاث في علاج والقضاء على الأمراض المتفشية في فلسطين، وأهمية العلوم الزراعية في معالجة الأراضي. ويتطرق في خطابه، أثناء وضح حجر الأساس للجامعة العبرية عام 1918، وفي معرض حديثه حول تأسيس أبحاث علمية وتطبيقها، إلى هذه الأهمية:

> إن لدينا السلطة التي تمكنا من التأمل (من الأمل) أننا سوف نجد حلولاً وعلاجًا لأمراض في أرض إسرائيل مثل الملاريا والتراخوما (trachoma). نستطيع، بمساعدة طرق علمية، أن نعيد أرض كل البلاد المباركة والخصبة التي تبدو لنا الآن متروكة ومهجورة. يجب أن تغرس أقدام، الكيمياء وعلم الفطريات والجيولوجيا وعلم المناخ، هنا، وكل ذلك يذكرنا بحقيقة أنه بعد أربع سنوات من الحرب الفظيعة (الحرب العالمية الأولى) واستخدام العلم في غير صالح الإنسان، والتي قد ينساها الناس، وهي (أي الحقيقة) أنه علينا أن ننظر إلى العلم، باعتباره، مرهمًا لجرحى كثيرين، وباعتباره، إصلاحًا للظلم الذي وقع على كثيرين.[176]

---

[174]. يُنظر: Shapira، مرجع سبق ذكره، ص 183–184.

[175]. المرجع السابق، ص 187–188.

[176]. حاييم وايزمان، "أثناء وضع حجر الأساس: خطاب على جبل الصوّانة (هار هاتسوفيم)، 24 تموز 1918"، في: **حاييم وايزمان حول الجامعة العبرية، اللجنة القطرية لرابطة خريجي الجامعة العبرية في أرض إسرائيل** (دون اسم دار النشر، ولا تاريخ النشر)، ص 28–29. [بالعبرية]

وعن أهمية الصناعة والزراعة، كعلوم مؤسّسة، "للوطن القومي اليهودي"، إلى جانب أهمية الأبحاث العلمية، نجدها في خطابات وأفكار الصهيونيّين الأوائل الذين عبروا عن أهمية الصناعة والزراعة، في استعمار فلسطين، وفي تحويل الصحراء إلى "جنة"، وتطوير "الوطن القومي"، وخلق "أمة" منتجة، كما نجد ذلك في عدد من القرارات التي اتخذتها المؤتمرات الصهيونية الأولى.

فدافيد بن غوريون، في مقالته "متطلبات الثورة اليهودية" (1944) يوضح:

> إن أول ما يجب علينا أن نفعله، هو قهر البحر والصحراء، لأنهما سيفسحان المجال لمهاجرينا الجدد، وسيكونان المختبر الذي تتم فيه التجارب الاقتصادية والزراعية. نحن بحاجة إلى رحال بحر – ملاحين وصيادين وبنائي سفن – يجعلون من البحر مصدرًا لقوتنا البحرية والسياسية، ونحن بحاجة لرجال يدركون كنه الصحراء، ويفهمون جميع أسرارها، وبالتالي، يقودوننا إلى تحويل الأرض البور إلى مكان يدر البركة نحيا ونعمل فيه. ما لم نقهر البحر والصحراء – بخلقنا بحارة يهود وحتى قبائل بدو من اليهود – فإننا لن ننجح في مهمة الهجرة وإعادة التعمير التي ستواجهنا بعد الحرب. ... هذا وإن بداية نحو إصلاح الصحراء، يجب أن يقوم بها ساكنو الصحراء من اليهود، بدو يعرفون كيف يعيشون في الخيام ويعرفون كيف يعيشون مثل العربي. ولكن، في الوقت الذي يجب أن يكون لهم مهارة البدوي، عليهم أن لا يكونوا غرباء عن المعارف الثقافية والعلمية والتكنولوجية الحديثة، فمثل هذا المزيج سيمكنهم أن يجعلوا البراري تزهر وأن يحولوا الصحراء إلى مكان للسكن.[177]

أما ماكس نوردو، في مقالته "الصهيونية" (1902) فيشير إلى:

> أن الشيء الذي يدفع الصهيونيّين للقيام بهذا العمل الهرقلي الجبار، هو اعتقادهم بأنهم يقومون بعمل ضروري ومفيد، عمل تتمثل فيه المحبة والحضارة، عمل عدالة وحكمة. فهم يرغبون في أن يخلقوا من اليهود الذين يعتبرون طفيليّين، أمة منتجة معتبرة. يرغبون أن يرووا الأرض بعرقهم،

[177]. بن غوريون، مرجع سبق ذكره، ص 486.

ويحرثوها بأيديهم، ليحولوها من صحراء قاحلة إلى حديقة مزهرة كما كانت عليه في السابق. ستعمل الصهيونية بهذا على خدمة اليهود والمسيحيّين، على حد سواء، كذلك، على خدمة الحضارة والاقتصاد العالمي.[178]

وبحث المؤتمر الصهيوني السابع، (بازل، 27 تموز/يوليو– 2 آب/أغسطس 1905)، السياسة الصهيونية في فلسطين، فقرر، "القيام بعمل منهجي لدعم مواقعنا في أرض – إسرائيل، في موازاة النشاط السياسي الدبلوماسي، كقاعدة عملية للنشاط في المجال الأخير ومن أجل تقويته". وقرر المؤتمر، أيضًا، تحديد ذلك "العمل المنهجي" بعدد من الوسائل، منها: القيام بأبحاث متعدّدة التخصّصات وتطوير الزراعة والصناعة في فلسطين وما شابه؛ تنظيم ثقافي واقتصادي، وتطوير مركز اليهود في "أرض إسرائيل"، بواسطة "تهجير" قوى مثقفة جديدة.[179]

بينما أوجد عدد من منظرين الحركة الصهيونية الأوائل، شرط وجود الأرض والعمل الزراعي مع العلم، والصناعة، للتقدم الاجتماعي، وتقدم المجتمع، ولبناء الكيان السياسي. تناول ذلك، موسى هس (بون، 1812–1875)، في كتابه "روما والقدس" (1862) تحت تعليقات "البعث الاجتماعي":

إن وجود أرض وطن مشتركة، هو شرط أساسي لإدخال علاقة صحيحة بين رأس المال والعمل عند اليهود. والإنسان الاجتماعي، كالنبات الاجتماعي أو الحيوان الاجتماعي، يحتاج إلى أرض حرة وفسيحة لنموه وتطوره. دون هذا الشرط، يهبط الإنسان إلى رتبة الطفيليات التي تعتمد في غذائها على الغير. ... وما دام العلم والصناعة لم يتطورا بما فيه الكفاية، فإن الأرض التي في حوزة تلك الأمة، سوف لا تكفي السكان كلهم، لذا اضطرت الأمم على أن تحارب وتستعبد بعضها بعضًا أو أن تسمح لشعبها أن ينقسم إلى طبقة حاكمة وأخرى محكومة. لكن، هذا النظام

---

[178]. ماكس نوردو، "الصهيونية (1902)"، أنيس صايغ (إعداد)، **الفكرة الصهيونية**، مرجع سبق ذكره، مرجع سبق ذكره، ص 140.

[179]. جريس، الجزء الأول، مرجع سبق ذكره، ص 206–207.

الاجتماعي الذي ينهش به الناس بعضهم، والذي يعتمد على استغلال الأفراد بعضهم لبعض، قد توارى، عندما تقدم العلم والصناعة، وأصبحا يسيطران على العالم.

ويضيف:

تهيئ الأمم المتقدمة الآن لاستغلال عام للطبيعة. سيتحقق هذا بطرق العمل المتركزة على الاكتشافات العلمية، وبذا ستختفي الطفيليات الاجتماعية لأنه لن يكون لها أي مكان في مثل هذا النظام. إن الأمم تتهيأ لهذا العصر الجديد بالكفاح من أجل أرض حرة، وبمحاولة إلغاء خضوع عرق أو طبقة لقوة داخلية أو خارجية، وذلك، بالتعاضد الحر لكل القوى المنتجة والتي بها سيختفي هذا العداء بين النظرة الرأسمالية والطبقة المنتجة، وفي الوقت ذاته، ستختفي مجالات الاختلاف بين النظرة الفلسفية والبحث العلمي.[180]

يتضح من خلال إسقاط منهج دوركهايم حول تقسيم العمل وبناء المجتمعات على ما جاء عند موسى هس، وما سيتناوله لاحقًا، مناحيم أوسيشكين وبن غوريون، أو أهرون غوردون (A. D. Gordon) وغيرهم، أن من أهمية تكريس النظام والتطور في المجتمعات هو تقسيم العمل والتعاضد والتلاحم ما بين أفراد المجتمع وارتكاز الأعمال على العلوم لبناء النظام وتقوية العلاقات ما بين الأفراد داخل المجتمع.

يقترح مناحيم أوسيشكين، في كراسه "برنامجنا" (1904)، تخصيص الأراضي "التي تشتريها المؤسّسة الصهيونية لإقامة مستوطنات تعاونية عليها، تهدف إلى خلق أجيال جديدة من المزارعين اليهود الحقيقيّين". لكنه، وجد خلال زيارته لفلسطين، عام 1903، أن يهود المستوطنات الزراعية لم يتحولوا حقيقةً إلى مزارعين، لأنهم استخدموا عمالاً عربًا لزراعة وفلاحة الأراضي، بحيث أصبح هناك أعداد كثيرة من اليهود دون عمل، مما جعله يصف هذا الأمر بـ "الوباء المزمن". لذا، شدد على إيجاد حل، باستبدال العمال العرب بالعمال اليهود. ويتم هذا الحل، بتأسيس جمعية عمال يهودية شاملة، "يلتزم كل عضو فيها بالهجرة إلى أرض إسرائيل، لمدة ثلاث سنوات، وتأدية واجب عسكري لليهود هناك، لا بالسيف والبندقية، وإنما بالمعول

[180]. هس، مرجع سبق ذكره، ص 40.

والمحراث". وبواسطة هذه الجمعية، يتحقق هدف آخر، لا يقل أهمية عن الهدف الأول، بأن "تصبح العلاقة بين البلد ويهود المهجر، علاقة حياة حقيقية، لا علاقة "خطية"، تستند على الكتب والصلوات والصحف".[181]

ولاحقًا، شارك بن غوريون افتراض غوردون وبيرل كاتزنلسون الأساسي بشأن أهمية العمل الجسدي، مع تشديده الخاص على الزراعة. ومع أن بن غوريون بالكاد تعرّض لهذه القضية في مرحلة ما قبل "الدولة"، إلا أنّه كرّس وقتًا معتبرًا لها بعد تأسيس "دولة إسرائيل". وينص أول قانون لـ"قوات الأمن"، والذي أسست وفقًا له "قوات الأمن الإسرائيلية"، بشكل صريح على أنه على كل جندي العمل لمدة سنة في العمل الزراعي. وتعود الجذور الأيديولوجية هذا القانون إلى مفهوم غوردون حول العمل الزراعي، الذي يُعد أفضل تمرين لتشكيل شخصية الشباب ومن أجل إعادة تعليمهم بشكل صائب. على الرغم من ذلك، لم ينفذ هذا القانون أبدًا، لأن الواقع والحياة كانتا أقوى من أي قانون.[182]

لقد كانت للزراعة والعمل الزراعي، أهمية توازي العمل العسكري، في العقيدة الصهيونية، إذ تم الربط الواضح والمتين ما بين "الدفاع" عن "الوطن" والمجتمع اليهودي، ومحاربة الأعداء، وبين إعمار وإصلاح وفلاحة الأراضي، وبناء "الوطن القومي" والمجتمع الجديد، بالإضافة إلى التأكيد على أهمية تقسيم وتكامل الأدوار ما بين العمل الزراعي والعمل العسكري.

وظل بن غوريون وفيًا لتصوراته الأساسية، فاستمر بالتأكيد على الحاجة لخليط من العمل اليدوي والفكري بالتعاون بين الطبقة المثقفة وعامة الناس. إذ صك بن غوريون عبارة جديدة في صيف 1962: "الشعب الأكاديمي العامل". وكان ذلك نسخة محدّثة من شعار الثلاثينات الذي ينص على "الشعب العامل"، الذي بدوره كان قد استبدل شعار "الطبقة العاملة". وقد قُصد بإضافة "أكاديمي" التأكيد على المهمة التي حددها بن غوريون للعقدين التاليّين، وهي التعليم العالي للجميع. قال بن غوريون: "لا يُعد التعليم الجامعي لكل

---

[181]. جريس، الجزء الأول، مرجع سبق ذكره، ص 203.

[182]. يُنظر: Shapira، مرجع سبق ذكره، ص 187.

رجل وامرأة أمرًا مثاليًا، بل هو متطلب رئيسي لشعب إسرائيل". شكّل إحداث تحسينات عامة على مستوى التعليم من ناحية، ومحاولة تجنيد النخب المثقفة من أجل العمل القومي الملح، من ناحية أخرى، خلفية لمبادرته هذه. وفي عالم الستينيات الجديد، أنجزت القدرات التكنولوجية والعلمية؛ الوظيفة القومية التي ملأتها الزراعة في بدايات القرن، فأصبحت مهمة هذه القدرات الجديدة؛ الحفاظ على القبضة على الأرض. تنحو الأفكار إلى الموت ببطء، لم يتنازل بن غوريون عن شعارات شبابه، لكنّه سكبها في معانٍ جديدة.[183]

لقد مثّل جيل الصابرا، من وجهة نظر الصهيونية، قصة نجاح هائلة، تكمن سرها في التنشئة الاجتماعية التي شكلت شخصية هذا الجيل، من خلال الأهمية الكبرى التي أولتها لتعليم وتثقيف الشباب للقيم القيادية الصهيونية، وخاصة الشباب في المستوطنات الزراعية والطلاب، إذ تم تخصيص الكثير من موارد "الدولة" و"اليشوف" للتعليم والتوجيه. فقد أعتبر تدريس المدرسة، ومرحلة ما قبل المدرسة، بمثابة مكانة مرموقة ومهمة، ليس فقط في المستوطنات الزراعية، وبل في جميع المجتمع، وأعتبر المعلمون، بأنهم يسعون إلى مهمة "وطنية" ذات أهمية مركزية.[184]

يُشير بن غوريون إلى أنه يجب على العلم أن ينقاد بالرغبة في كشف الحقيقة، لأن "معرفة الحقيقة بما يتعلق بالطبيعة والكون، والشعوب والمجتمعات، الماضي والمستقبل، هو أداة قوية وضرورية من أجل نشاطاتنا". ويضيف، لكن، يمكن للبحث اليهودي أن ينعتق من "الميول الاعتذارية" إذا أخذ مكانه في مجتمع يهودي مستقل يعيش على أرضه. لذلك، صاغ بن غوريون خاتمته في واحدة من العبارات الجدلية التي أحب دائمًا صكها: "تخليص العلم اليهودي لا يمكن أن يتم دون تخليص الوطن اليهودي، وتخليص الوطن اليهودي لا يتم دون تخليص العلم اليهودي". وعلى العموم، كان العلم لمساعدة تطوير الأرض؛ دراسة وبحث "أرض

---

[183]. المرجع السابق، ص 188.

[184]. يُنظر: Almog، مرجع سبق ذكره، ص 256-257.

إسرائيل"، ماؤها، مناخها، ومعادنها، سوف يسهل وجود كثافة سكانية يهودية في الأرض. وهذا كان الدافع وراء دعوة كل من كاتزنلسون وبن غوريون إلى تطوير علوم زراعية.[185]

لقد مثلت عملية الدمج بين العلم والعلوم المختلفة، وتحديدًا الزراعية منها، وبين إقامة "الوطن القومي"، الأساس الفكري والأيديولوجي، الذي استندت عليه رؤية بن غوريون والمنظرين الصهيونيّين الآخرين، بغية تحقيق التطور والتقدم والرقي لـ"الشعب اليهودي"، وللمجتمع اليهودي الناشئ حديثًا.

ومن العلوم الأخرى التي اعتمدت عليها الحركة الصهيونية، وعدد من المفكرين والمنظرين والعلماء اليهود، في تكريس مطالبهم "القومية" والاستعمارية، وفي سبيل إقامة روابط وهمية متخيلة بين أفراد "الشعب اليهودي"، من أجل تحقيق المشروع "القومي" الصهيوني الاستعماري الاستيطاني وتقويته؛ العلوم المرتبطة بالعرق وعلم الإنسان، وعلوم الأحياء والوراثة، التي كانت منتشرة، في أوروبا، في القرن التاسع عشر.

فقد استخدم العلماء، الأطباء والأنثروبولوجيون، اليهود الصهيونيون مفاهيم العرق، في النصف الأول من القرن العشرين، لإنشاء روابط بين جميع يهود العالم، باستخدامه ليس فقط، كطبيعة وإنما أيضًا، كثقافة. فقد وظفت الصهيونية لخطاب العرق وخطاب النسل على وجه التحديد، باعتباره، أهمية للمشروع الصهيوني، من خلال فكرة "تحسين العرق والنسل"، ليس قوميًا أو بيولوجيًا، فقط، وإنما اجتماعيًا وثقافيًا، أيضًا. إذ استخدم العرق، عندما كان اليهود في أوروبا، لإنشاء الوحدة اليهودية (Jewish unity).[186] ووفقًا لميتشل هارت (Mitchell Hart)، فإن التحليلات العلمية لليهود، في القرنين التاسع عشر والعشرين، كانت مدفوعة بالنقاش السياسي حول الاندماج اليهودي في المجتمع والثقافة الحديثة.[187] من خلال الرغبة في الحفاظ على "العرق اليهودي"، "الأصيل والنقي" من الاختلاط مع "الأغيار"، في المجتمعات الأوروبية.

---

[185]. يُنظر: Shapira، مرجع سبق ذكره، ص 191–193.

[186]. يُنظر: Hirsch، Zionist Eugenics، مرجع سبق ذكره، ص 592–593.

[187]. يُنظر: Kirsh، مرجع سبق ذكره، ص 632.

لقد كان علم الوراثة (علم الجينات) البشرية السكانية، وسيلة للتواصل مع "المهاجرين"، وأيضًا، وسيلة لتقديم إجابات على الأسئلة التاريخية حول أصل اليهود.[188] وشعر رجال العلم الصهاينة بالقلق من انتشار الزواج المختلط (intermarriage)، لذلك، احتل الخطاب العلمي "العرق النقي" والآثار التي من الممكن أن يتسبب بها خلط الأعراق، مكانة مركزية، في معظم أعمالهم، وقد تم ربط الآثار التفكيكية للزواج المختلط مع انخفاض معدل الخصوبة والانحطاط بشكل عام.[189] وقد جادل أول مدرس لعلم الحيوان، في الجامعة العبرية في القدس، فريتز بودنهايمر (Fritz Bodenheimer) في محاضرة عام 1934، بأن معظم علماء الأنثروبولوجيا والتخصصات ذات الصلة، أخذوا مسألة خلط الأعراق لتكون أساسًا لخلق ثقافة وازدهار الأمم، لأنها تعزز الاتحاد التوافقي (harmonic union) بين العناصر المكونة لها. ووفقًا له، فقد سعت الصهيونية، لتوحيد جميع العناصر المختلفة في "العرق اليهودي" من أجل خلق "نوع يهودي متناغم ومتجانس" (harmonious Jewish type).[190]

لقد ساهم ووُظف "علم الأعراق" الأوروبي، والعلوم المرتبطة به، من قبل الحركة الصهيونية، والعلماء الصهيونيّين، في تأسيس الادعاءات الصهيونية، بوجود "عرق يهودي"، ومن ثم "نقاءه وتطوره" عن مختلف الأعراق الأخرى. واستخدمت الحركة الصهيونية هذه العلوم في الدعوات لعملية إنتاج اليهودي الجديد، ثقافيًا وبيولوجيًا. توجد علاقة متينة وقوية بين الأبحاث، والباحثين والعلماء، من جهة، وبين الرؤية والرواية الصهيونية من جهة أخرى، إذ توافقت وتماهت الأبحاث والدراسات، العلمية وغير العلمية، التي قام بها المؤلفون والباحثون والعلماء الصهاينة قبل "الدولة" وبعدها، مع الرواية والادعاءات الصهيونية.

في حين شارك علماء علم الوراثة (علم الجينات) البشرية السكانية والأطباء الإسرائيليّين الإطار المفاهيمي والمنهجي لزملائهم غير الإسرائيليّين، وخضعوا لتدريب مهني مماثل، إلا أنهم تأثروا بالأفكار الصهيونية

---

[188]. المرجع السابق، ص 641.

[189]. يُنظر: Hirsch، Zionist Eugenics، مرجع سبق ذكره، ص 596-598.

[190]. المرجع السابق، ص 600.

التي توغلت في نشاطهم العلمي. هذه التحيزات، لم تكن نتيجة لسياسة متعمدة تحددها سلطات "الدولة"، في الواقع، بل كانت متجذرة بعمق في اللاوعي، لدى هؤلاء العلماء، عمليًا.[191] فالباحثين الإسرائيليّين، بشكل عام، حذرين على عدم صياغة استنتاجات، من شأنها، أن تتناقض مع الرواية الصهيونية المقبولة، لذا، سعوا إلى التوصل إلى استنتاجات تؤيدها.[192] بحيث أن الأفكار الصهيونية، قد تغلغلت بقوة في مقالات المؤلفين، إذ تظهر التأثيرات الصهيونية في كتاباتهم. ويمكن القول أن الأطباء، ركزوا على العوامل الاجتماعية والتاريخية أكثر من علماء الوراثة، وبذلوا المزيد من الجهود لتأكيد السرد الصهيوني. فلقد كانت الأفكار الصهيونية، موجودة في كل مكان في المجتمع الإسرائيلي، تتغلغل في العمل العلمي.[193]

يسود الافتراض أن العلاقة القائمة بين البحث والسياسة على صعيد العلوم الدقيقة والمختبرية تعتبر علاقة ضعيفة جدًا. ولكن، بالرغم من ذلك، فقد أوضح مؤرّخو وعلماء اجتماع العلوم، أنه بالرغم من الطابع الموضوعي للعلوم الطبيعية المعتمدة على البحث المختبري، إلاّ أنها تتأثر من مصالح واحتياجات وقيم أيديولوجية وسياسية واجتماعية.[194] يتجلّى تأثير القضايا الاجتماعية والأيديولوجية والسياسية وحتى الثقافية على البحث العلمي بدءًا من الخطوات الأولى للبحث حين يختار الباحث الأسئلة البحثية التي سيتعامل معها.[195]

وتحاجج الباحثة نوريت كيرش (Nurit Kirsh) بأن علماء الوراثة والأطباء الذين أجروا البحوث المتحيزة أيديولوجيًا، علماء جديّين و"أصحاب ضمير". ولم تكن التحيزات نتيجة لسياسة وضعتها السلطات الحكومية

---

[191]. يُنظر: Kirsh، مرجع سبق ذكره، ص 632.

[192]. المرجع السابق، ص 646.

[193]. المرجع السابق، ص 654.

[194]. يُنظر:

Helen E. Longino, *Science as Social Knowledge: Values and Objectivity in Scientific Inquiry* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1999); Robert N. Proctor, *Value-Free Science?: Purity and Power in Modern Knowledge* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1991); Harold Kincaid, John Dupré, and Alison Wylie (eds.). *Value-Free Science: Ideals and Illusion* (New York: Oxford University Press, 2007).

[195]. كيرش وكاتس، مرجع سبق ذكره، ص 414–415.

أو غيرها من السلطات، على غرار التأثير الذي كانت تمارسه الدول الاستبدادية على تطوير العلم في دولها، إذ لم تمول أبحاث الوراثة الإسرائيلية من قبل "الدولة"، ولم تشارك الوكالات الحكومية في الكتابة أو النشر.[196] ولكن الرواية الصهيونية قد تغلغلت بقوة في وعي الباحثين لدرجة أنهم لا يحتاجون إلى توجيه من قبل السلطات أو الحركة الصهيونية، بل أصبحوا جزءًا من عملية بناء الوعي نفسه، وأصبحوا منساقين مع توجهات الحركة الصهيونية و"الدولة العبرية" والمشروع الصهيوني الاستعماري الاستيطاني، ككل. وبناء على ما يطرحه غرامشي، فإن السيطرة التي تمارسها الدولة على مواطنيها تكون ذات شقين، السيطرة المباشرة، وغير المباشرة، وهذه الأخيرة تكون فاعليتها أكبر وتتم عبر سيطرة الأفكار والرواية الرسمية، وانتشارها بين المؤسّسات والأفراد بواسطة ما سمّاه غرامشي "الإقرار". فقد أقر المؤلفين والباحثين الصهيونيّين بالرواية والادعاءات الصهيونية.

لقد برهنت كتابات وأفكار منظري الصهيونية على أهمية العلم والعلوم المختلفة، الطبيعية والتكنولوجية والإنسانية، في مسعى الحركة الصهيونية في بناء المجتمع اليهودي. وتبنى الفكر الصهيوني بعض أوجه الخطاب والمفاهيم العلمية التي كانت سائدة في أوروبا، بعد عصر التنوير والحداثة الأوروبية، بعد أن نشأت الحركة الصهيونية، كحركة "قومية" استعمارية، وبدأت الخطوات العملية بغية تحقيق مشروعها الصهيوني الاستعماري الاستيطاني في فلسطين. وتراوحت أهمية الفكر العلمي لدى مؤسّسي وقادة ومنظري الحركة الصهيونية، باختلاف توجهاتهم وأعمالهم، لكن هذه الأهمية كانت بارزة وواضحة في فكر حاييم وايزمن، الرئيس الأول "للدولة العبرية".

3-2. مفهوم العلم وأهميته لدى حاييم وايزمان: تشابك وتمازج العلم والسياسة

يمثل حاييم وايزمان، الحالة النموذجية، لقادة الحركة الصهيونية ومنظريها، من خلال ربطه وتمازج العلم مع السياسية في فكره، ومعتقداته ووعيه وعمله. إذ يعتبر وايزمان من الشخصيات الصهيونية المركزية التي

[196]. يُنظر: Kirsh، مرجع سبق ذكره، ص 654-655.

أسّست لمنهج دمج العلم مع السياسة، وكانت الفكرة والأيديولوجية الصهيونية محفورة بأحرف "علمية" في ذهنهم، واحتل العلم وأهمية العلوم، مكانة أساسية وركيزة مركزية في فكرهم وعملهم. كما يجب علينا فهم شخصية وايزمان، على صعد مختلفة ثقافية وفكرية وعلمية وأيديولوجية وسياسية، نظريًا وعمليًا معًا، والأهم، كونه، يمثل شخصية حداثية، عملت على بناء وتحديث المجتمع اليهودي من منطلقات علمية/حداثية. يعمل أصحاب الشخصيات الحديثة لتحديث مجتمعهم، ومن الخصائص العامة للشخصية الحديثة: "الإيمان بقدرة العلم على حل مشكلات الحياة وتوظيف العقلانية والمعرفة العلمية عند مواجهة الصعاب والابتعاد عن التفسيرات الغيبية أو الاستسلام للقضاء والقدر؛ والاهتمام باكتساب المعارف العلمية".[197] وهذه الصفات المميزة، للشخصية الحداثية، نجدها، بكل وضوح، في شخصية وايزمان.

عمل حاييم وايزمان في حقلي الكيمياء والكيمياء الحيوية في بريطانيا بعد عام 1906، ونادى بالاستيطان العملي في "أرض إسرائيل"، ورفض الاستيطان خارج "أرض إسرائيل".[198] وبدأ اهتمام وايزمان بعمليات التخمير (Fermentation)، بالدرجة الأولى، في أعقاب زيارته لفلسطين في عام 1907، إذ لاحظ ضرورة بناء قاعدة علمية وتكنولوجية لصناعة الأغذية المعتمدة على المحاصيل الزراعية التي تنتجها المستوطنات الصهيونية في فلسطين، كمساهمة لتعزيز القاعدة الاقتصادية لهذه المستوطنات. ومن الجدير بالذكر، أن أبحاث وايزمان بعمليات التخمير، اضطرته إلى توسيع آفاقه في مجال البكتيريا، الأمر الذي ساهم بصورة، كبيرة جدًا، في تحقيق أكبر وأشهر إنجاز كيميائي له، ألا وهو إنتاج مادة الأستون بصورة صناعية، وهي مادة حيوية جدًا لصناعة مادة الكوردايت (Cordite) المتفجرة، من خلال فصل بكتيريا معينة (أطلقت على اسمه لاحقًا: Clostridium Acetobutylicum Weizmann) واستخدامه في تفاعل كيميائي. باستطاعة هذه البكتيريا أن تحلّل مادة النشا المستخرجة من الذرة والبطاطا ونباتات أخرى إلى المركبات الكيميائية: البوتانول والأستون والإيثانول. ولقد عانت بريطانيا، خلال الحرب العالمية الأولى، من افتقارها

---

[197]. مصطفى التير، "الخصائص العامة للشخصية الحديثة"، في: **الحداثة، دفاتر فلسفية**، مرجع سبق ذكره، ص 14-15.

[198]. الصفحة الإلكترونية الخاصة لحاييم وايزمان التي تظهر في "ديوان رئيس الوزراء في إسرائيل"، [بالعبرية]، يُنظر:
http://www.gdoley-hauma.org.il/Web/He/Presidents/WeizmannH/Default.aspx

لمادة الأستون، لأن غالبية المواقع الطبيعية، التي كان يتم استخراج مادة الأستون منها، واقعة تحت سيطرة القوات الألمانية.[199]

وتجدر الإشارة إلى أن مادة البوتانول، الناتجة عن هذا التفاعل الكيميائي، استخدمت بعد وقت قصير خلال الحرب في صناعات أخرى مختلفة، كصناعة المطاط الصناعي وصناعة دهون السيارات. إن توصّل وايزمان إلى طريقة لصناعة مادة الأستون عبر تفاعل كيميائي قد منحه مكانة مرموقة جدًا بين صنّاع القرار البريطانيّين. وقد استغل ذلك لتعزيز المصالح الصهيونية، وتتوّج ذلك بدفعه لاستصدار "وعد بلفور". وقد جاء في "مذكرات الحرب" لرئيس حكومة بريطانيا (1916–1922)، لويد جورج، أن مصدر "وعد بلفور" يعود إلى رغبته، حتى قبل أن يترأس الحكومة، بمكافئة حاييم وايزمان على مساعدته الثمينة للحصول على مادة الأستون خلال الحرب. وهي قصة يتناولها المؤرخون، وبغض النظر عن كونها حقيقية أم مجرد تهويلاً من قبل لويد جورج،[200] كما يعتقد وايزمان نفسه حين يذكر في مذكراته هو "أن التاريخ لا يتعامل وفق مصابيح علاء الدين".[201]

إن مزاولة وايزمان العلوم والأبحاث العلمية قد فتحت أمامه أبواب العمل السياسي والعمل الدبلوماسي، إذ عززت أبحاثه العلمية موقعه لدى بريطانيا الاستعمارية، ولاحقًا، لدى الحركة الصهيونية نفسها، فقد سعى إلى استخدام العلوم في نشاطاته الصهيونية وفي محاولته تعزيز الاستيطان في فلسطين.

يشير الباحثان نوريت كيرش وشاؤول كاتس بأن الفصل الحاد، الذي لطالما تشبّث به وايزمان، بين نشاطه الأكاديمي وبين نشاطه السياسي، إنما هو فصلاً وهميًا: "فعلى أرض الواقع، حين كان يلبس وايزمان ثوب المختبر لم يتخلّ عن ثوب القيادة الصهيونية. إن القضايا السياسية والدبلوماسية التي احتلت مكانة مرموقة

---

[199]. كيرش وكاتس، مرجع سبق ذكره، ص 416–418.

[200]. المرجع السابق، ص 418–419.

[201]. مقتبس لدى يهودا راينهرتس، "حاييم وايزمان: علم في خدمة السياسة"، **زمانيم** (مجلة)، عدد 20 (1986): 4–17. [بالعبرية]. مقتبس لدى المرجع السابق، ص 419.

عنده، قد دخلت معه إلى المختبر وبلورت القضايا التي بحثها والقرارات التي اتخذها بشأن إدارة أبحاثه". ويكشف الباحثان عن أن البعد التطبيقي لنتائج الأبحاث التي كان يقوم بها وايزمان قد احتل مكانة الصدارة بوصفه مبدأ موجّهًا، وإنْ كان ليس الوحيد، لاختيار مجالات ومواضيع البحث. فقد تناول وايزمان مواضيع بحثية تتمتّع بأبعاد تكنولوجية من شأنها المساهمة في تعزيز الاستيطان الصهيوني، وتحسين المكانة الاستراتيجية للحركة الصهيونية في العالم، والمساهمة في النشاط العسكري لبريطانيا في الحرب العالمية الأولى، والنشاط العسكري للحلفاء في الحرب العالمية الثانية.[202]

في سياق الجدل حول إقامة الجامعة العبرية قبل تأسيسها في أعوام 1913–1914، قال وايزمان: "هناك لحظات في حياة الشعوب، وكذلك في حياة الشعب اليهودي، تشكل المدرسة فيها خطوة سياسية ... كما أن علينا أن نفتح عيون السكان العرب. إن العرب الذين تجمعهم معنا علاقات قربى سيتفهمون رسالتنا ويتحولون لأصدقائنا".[203] كما يضيف في سياق آخر، "عملت واجتهدت، طوال حياتي، لتحويل العلم والأبحاث إلى أساس في مجتمعنا القومي، ولكن، عرفت أنه بجانب العلم، يوجد هناك قيم من خلالها فقط يمكن لنا من خلالها أن نرتقي إلى الإنسانية، وهي قيم العدالة والاستقامة والسلام والأخوة".[204]

لقد شدد وايزمان على أهمية الصناعة، وعلاقتها الجذرية مع العلم والعلوم، ودورها في بناء المجتمع، وأهميتها في سياق تبوّؤ مكانة عالمية للمجتمع اليهودي، في معرض خطابه في حفل خريجي الجامعة العبرية في تل أبيب في عام 1936. فقد تناول قضية العلم والصناعة، والأهمية المرجوة من استخدام العلم في الصناعة وأهميتها لبناء "الوطن القومي":

---

[202]. المرجع السابق، ص 413–415.

[203]. يهودا راينهرتس، "وضع أساسات الجامعة العبرية في القدس – دور حاييم وايزمان (1913–1914)"، **مجلة كتدرا**، عدد 46 (1988): ص 131. [بالعبرية]

[204]. حاييم وايزمن، "خطاب في اللجنة التأسيسية، 14 شباط 1949"، في: **حاييم وايزمان – الرئيس الأول – مختارات من خطابات، أرشيف الدولة، القدس**، ص 521، في: الصفحة الإلكترونية الخاصة لحاييم وايزمان التي تظهر في "ديوان رئيس الوزراء في إسرائيل"، [بالعبرية]، يُنظر:
http://www.gdoley-hauma.org.il/Web/He/Presidents/WeizmannH/Default.aspx

لا توجد [لدينا]، في هذه الأيام، قدرة على تنظيم الصناعة بحيث تستطيع أن تنافس الصناعة الدولية دون أساس علمي. هناك حاجة ملحة أن يجتمع رجال العلم الموجودين في البلاد مع رجال الصناعة ضمن لجنة خاصة بقيادة الجامعة العبرية، على غرار اللجنة العلمية الصناعية في إنكلترا، بهدف معالجة المشاكل العلمية الخاصة بالصناعة، بحيث يستفيد العلم والصناعة من ذلك. قال حكماؤنا: "إن لم يوجد قمح، لا يوجد توراة"، ولكن الآن الصيغة المعاكسة هي الأساس، الآن، التوراة هي الأساس في كل الأمور العملية وكلاهما مرتبطان مع بعضهما. لا تطور وحداثة خاصة في أرض إسرائيل دون العلم. وهذا ربما الشرط الأهم لإعطاء دفعة جديدة لأساساتنا العلمية، ولربطهم بشكل جريء مع الصناعة.

ويضيف:

تغلب الشعب الهولندي، في حربه القاسية ضد الطبيعة، بمساعدة العلم. نحن نأمل، بمساعدة العلم، أن نتغلب على عدة عقبات، وسيعرف شعب الكتاب، بكل تأكيد، كيف يقدس وظيفة العلم، وأن يستخدمه في بناء بلاده.[205]

كذلك، فقد صرّح وايزمان أمام زملائه في الحركة الصهيونية أنه يمكن لأبحاثه في الكيمياء، أن تساهم في بناء قاعدة اقتصادية له، تتيح له فرصة بذل جهود أكبر في المشروع الصهيوني.[206] ففي عام 1934، تم تدشين مركز أبحاث في رحوفوت باسم "دانيل زيو"، الذي أسّسه وايزمان، وكان مديره الأول لهذا المركز، ولاحقًا سمي بمعهد وايزمان. وأدخل الأبحاث العلمية، في مجالات الزراعة، والبيولوجيا، بالإضافة إلى الكيمياء، باعتبارها، أهداف وغايات المعهد.[207]

---

[205]. حاييم وايزمان، "العلاقة ما بين النظري والعملي: خطاب في حفل خريجي الجامعة العبرية، في تل أبيب، 19 شباط 1936"، في: **حاييم وايزمان حول الجامعة العبرية**، مرجع سبق ذكره، ص 36–37. [بالعبرية]

[206]. كيرش وكاتس، مرجع سبق ذكره، ص 416.

[207]. الصفحة الإلكترونية الخاصة لحاييم وايزمان التي تظهر في "ديوان رئيس الوزراء في إسرائيل"، مرجع سبق ذكره.

ركّز وايزمان على أهمية العلوم، والعلوم المتعلقة بالكيمياء بشكل خاص، لكنه أولى أيضًا أهمية كبرى أخرى للعلوم الزراعية التي ستساهم في الرقي باليهودي الجديد، إذ كان من أهداف وايزمان، تحويل اليهودي المنفي إلى عامل زراعي، لكن لأن اليهودي المنفي كان يعمل في المهن المالية لا يمكنه العمل في الزراعة، لذلك كانت فكرة وايزمان تطوير الزراعة لتصل إلى مستوى اليهودي الرفيع لا العكس:

> ما هو الشكل الذي سيحققه التقدم الزراعي، ما هي طريقة عمله؟ اليهودي قادر على أن يصبح مزارع، شرط أن يتم الأخذ بعين الاعتبار الطرق العلمية للوصول إلى مستوى عال من الكمال. لا نستطيع أن نخفض قدرات اليهودي الذي لديه قدرات علمية عالية مقارنة مع الفلاح الروسي، بل علينا رفع الزراعة إلى مستوى اليهودي.[208]

لقد آمن بن غوريون في قوة أسطورة وايزمان؛ وفي يوم وفاة وايزمان، عام 1952، قدم رئيس الوزراء إلى مجلس الوزراء، معرضه الخاص من أسطورة وايزمان والحاجة إلى تخليد الذكرى. وركّز، بشكل خاص، على الدور المتكامل للعلوم في صهيونية وايزمان وإنجازاته السياسية. وأعلن أنه "بعد هيرتسل لم يبرز أحد مقارنة به"، أي بوايزمان، وأعلن الحاجة إلى تأليف "كتب كاملة" حول أهمية وايزمان. وأوضح أن مكانة وايزمان مستمدة من حقيقة أنه "حمل على رأسه اثنين من التيجان؛ تاج القيادة السياسية وتاج الدراسة، كان قائد الأمة ورجل العلم العظيم". ومثلما حصل وايزمان على "اعتراف عالمي" بالتاريخ اليهودي، فقد "استولى لنفسه على مكان مجد في العالم العلمي". إلا أن العمل السياسي الصهيوني الذي قام به وايزمان ومساعيه العلمية لم تكن منفصلة لدى بن غوريون، بل كانت مترابطة ومتصلة ومستمدة من مصدر واحد: "الروح اليهودية". وبالتالي، قدم رئيس الوزراء وايزمان للعالم بوصفه رمزًا للجوهر اليهودي، للصهيونية القائمة على العلم والدولة.[209]

---

[208]. يُنظر: Funkenstein، مرجع سبق ذكره، ص 342-343.

[209]. يُنظر: Renton، مرجع سبق ذكره، ص 32-33.

لقد لعب حاييم وايزمان دورًا أساسيًا ومحوريًا في تبنّي الفكر العلمي، وتأسيس المنهج العلمي، لدى الحركة الصهيونية والمجتمع اليهودي وللكيان لاحقًا. فقد جمعت مبادئه بين النظري والعملي، ومزجت ما بين السياسة والعلم في إطار الأيديولوجيا الصهيونية. لقد استطاع أن يورث إرثه هذا إلى قادة وأعضاء الحركة الصهيونية، الذين استخدموه، بوعي أو دون وعي، مؤيدين أو معارضين، لكنهم، جميعهم، أيقنوا بأن العلم سيكون السبيل، الأول والأهم، في تحقيق أهداف المشروع الصهيوني الاستعماري الاستيطاني.

الفصل الرابع

الجامعة العبرية/اليهودية في القدس:

التأسيس، الأقسام، الخلافات والسياقات

ارتبطت فكرة إنشاء جامعة عبرية في القدس، أو مدرسة يهودية عليا، بالأهداف الصهيونية الأساسية التي سعت الحركة الصهيونية إلى تحقيقها، والتي تمثلت بإيجاد "وطن قومي" لليهود؛ واختراع وخلق "قومية يهودية"؛ وصناعة وإنتاج اليهودي الجديد؛ وبناء مجتمع جديد حداثي، يلبي طموحات الحركة الصهيونية.

وقد تمازجت فكرة إنشاء جامعة يهودية، مع أهمية الاعتماد على العلوم التي تبنتها الحركة الصهيونية، في أواخر القرن التاسع عشر، في سعيها لجعل أهدافها حقيقية على الأرض، فكانت الجامعة تحقيقًا للفكر الصهيوني الذي ارتكز على العلم والعلوم، وأصبح يولي أهمية أساسية للعلوم بغية تحقيق الأهداف العامة والخاصة للصهيونية.

لقد كانت الحركة الصهيونية، بجميع تياراتها ورموزها، واعية لأهمية البحث العلمي وتعلّم أبناءها للمشروع الصهيوني، فوقفت على رأس الجامعة العبرية، واستطاعت من خلالها العمل على إيجاد السبل التي تهيئ للمجتمع الناشئ حديثًا تقدمه وتطوره. كما أنها، ومنذ البداية، ربطت "الحاجات القومية" بالتعليم العالي والجامعات، ارتباطًا وثيقًا، لا ينفصل، فكانت الجامعة العبرية عبارة عن الوعاء الذي احتوى على الحاجات القومية الصهيونية، وأصبحت الجامعة و"الحاجة القومية اليهودية الصهيونية" عبارة عن تعبير واحد لا يتجزأ.

وقد لعب العديد من منظري ورموز الحركة الصهيونية أدورًا مختلفة، في سعيهم لجعل إقامة الجامعة، أمرًا واقعيًا، وحدثًا تاريخيًا فارقًا في "التاريخ اليهودي"، وكان من أبرزهم، حاييم وايزمان، الذي هيمنت أفكاره على الرؤية الشاملة لإقامة مؤسّسة تعليمية يهودية عليا في فلسطين.

4-1. تأسيس الجامعة العبرية

مرت عملية إنشاء وتأسيس الجامعة العبرية/اليهودية، في القدس، بعدة مراحل تاريخية، بدءًا من الفكرة العامة لتأسيس مدرسة يهودية عليا، في القرن التاسع عشر، مرورًا بقرارات المؤتمرات الصهيونية المختلفة الداعمة لها، والخلافات حول طبيعتها وأهدافها، وصولاً إلى الخطط التنفيذية والعملية التي تبنتها وأقرتها المؤتمرات الصهيونية، من إقامة حجر الأساس عام 1918، إلى افتتاحها عام 1925.

وكانت قد بدأت الفكرة، في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، لدى العديد من مؤسّسي ومنظري الحركة الصهيونية، أمثال هرمان شابيرا، ومناحيم أوسيشكين، ومارتن بوبر، إلا أنها قد تبلورت، بشكل جدي وعملي وحقيقي، على يد حاييم وايزمان، الذي يعتبر مؤسّسها الحقيقي، والذي هيمنت أفكاره ورؤيته على طابع الجامعة.

سيتناول هذا الفصل جزأين، الأول، نبذة عن المراحل التاريخية ضمن ثلاثة مراحل: مرحلة ما قبل التأسيس؛ مرحلة التأسيس، ومعاهد وأقسام الجامعة العبرية الأساسية التي بدأت بها. والجزء الثاني، سيبحث في النقاشات والجدالات الصهيونية حول الجامعة العبرية وطبيعتها وأهدافها وأدوارها.

4-1-1. مرحلة ما قبل التأسيس

لقد كانت فكرة تأسيس جامعة "يهودية–قومية"، والتي تعود بداياتها، إلى مطلع سنوات الثمانينات من القرن التاسع عشر، مرتبطة بـ"مشروع التجميع"، وهو مشروع "يتمحور في جمع الملكيات الثقافية الخاصة بالأمة،

وتوضيبها وحفظها". وهو مشروع نتاج الصهيونيّين المؤمنين بأن صلب المشروع الصهيوني، يكمن في خلق الهوية الثقافية وجمعها. وعلى غرار عروض أخرى كهذه، "دمج المشروع في داخله بين حركة التنوير الأوروبية وروح الرومانسية وبين الصبوة للأممية والمصالح العينية الخاصة بمجموعات إثنية".[210]

يشير الكتاب السنوي للجامعة العبرية لعام 1937، أن فكرة إقامة جامعة يهودية، تعود إلى تسفي هرمان شابيرا (1840–1898)، أستاذ الرياضيات اليهودي في جامعة هيدلبرغ، الذي نشر سلسلة من المقالات خلال العامين 1881–1883، حول فكرة إقامة جامعة يهودية. وطرح شابيرا الفكرة، مرة أخرى، في إطار المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897، إلا أن فكرته لم تلق استحسانًا من المؤتمرين بسبب انشغال المؤتمر بقضايا التأسيس والتنظيم.[211]

لقد أعطى شابيرا تعبيرًا واضحًا حول تأسيس الجامعة العبرية وأهميتها، ولكن الموت حصده قبل أن يستطيع صياغة فكرته بطريقة عملية. وفي عام 1901، رُفع للمؤتمر الصهيوني الخامس مقترح ينص بموجبه أنه يتعيّن على المؤتمر أن يلقي على عاتق اللجنة التنفيذية واجب بحث مسألة تأسيس مدرسة تعليم يهودية عليا، وهو المقترح الذي تم التصديق عليه وقبوله كأحد قرارات المؤتمر.[212] طرح هذه الفكرة وعمل عليها العالم اليهودي والسياسي وأول رئيس لـ"دولة إسرائيل" حاييم وايزمان، وأعلن هيرتسل، تبني اللجنة التنفيذية للمؤتمر اليهودي الفكرة.[213] وقد أبدى هيرتسل اهتمامًا كبيرًا بهذه الخطة، وخطى الخطوات الأولى بغية الحصول على رخصة من قبل الحكومة التركية.[214]

---

[210]. غيش عميت، **بطاقة ملكية: تاريخ من النهب والصون والاستيلاء في المكتبة الوطنية الإسرائيلية**، ترجمة علاء حليحل (رام الله: مدار، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2015)، ص 29–30.

[211]. مصطفى، مرجع سبق ذكره، ص 34.

[212]. حاييم وايزمان، "حول فكرة الجامعة العبرية وعلى سبل تحقيقها: من خطابه في المؤتمر الصهيوني الحادي عشر، فينا، 8 أيلول 1913"، في: **حاييم وايزمان حول الجامعة العبرية**، مرجع سبق ذكره، ص 7–8. [بالعبرية]

[213]. مصطفى، مرجع سبق ذكره، ص 34.

[214]. وايزمان، "حول فكرة الجامعة"، مرجع سبق ذكره، ص 7–8.

كان قد بدأ وايزمان العمل على بلورة فكرة إقامة مدرسة تعليم يهودية عليا من مكان إقامته في فينا، وقد شاركه في ذلك، العالم اليهودي في حقل العلوم الإنسانية مارتن بوبر (1878–1965)، وانضم إليهما الشاعر والأديب اليهودي بارتولد فايبل (1875–1937). ويبدو أن هذا الجمع بين وايزمان وبوبر لم يكن "طارئًا، بل كان يقصد فيه المزج بين العلوم الطبيعية التي يمثلها وايزمان، وبين العلوم الإنسانية التي يمثلها بوبر، وكلاهما خير ممثل لهذه الحقول بين صفوف اليهود في العالم، علاوة على أن وايزمان يمثل البعد السياسي والقومي للفكرة، بينما يمثل بوبر البعد المعرفي والفلسفي لها". وقد جمعتهم فكرة الجامعة اليهودية والإيمان بأن المشروع السياسي اليهودي لا يكتمل دون هذه المؤسّسة. قام الثلاثة، عام 1902، بكتابة كتيب باللغة الألمانية بعنوان: "مدرسة يهودية عليا" (Judischen Hochschule)، يشرحون فيه الفكرة وخطتهم لإقامة جامعة يهودية: "وما يميز الكتاب، دمجه بين البعدين النظري والتطبيقي، فإلى جانب مبررات الفكرة وأهميتها، تمت كتابة خطة مفصلة لتنفيذها، وهو يشبه إلى حد كبير كتاب دولة اليهود لهيرتسل، في دمجه بين النظري وبين التطبيقي المفصل".[215]

لقد تناول الكتاب واقع اليهود في مؤسّسات التعليم العالي في أوروبا، في القرن التاسع عشر، والممارسات المقيدة التي تفرضها على قبول اليهود لمقاعد الدراسة، واعتبر أن الهدف من هذه الممارسات "تقليص" النخبة اليهودية، من خلال تقديم عينة من قوانين الجامعات التي حددت نسبة قبول اليهود للدراسة الجامعية، وتأثير تلك القوانين على حياة اليهود في أوروبا في جميع النواحي، الصناعة والتجارة والزراعة والمهن المدينية والاجتماعية. وتناول المؤلفون النتائج الإيجابية لفكرة إقامة "مدرسة يهودية عليا":

> والملاحظ في عرضهم أنهم لا يتحدثون عن تأثير محلي لفكرة الجامعة على المجتمع اليهودي الاستيطاني في فلسطين، بل على تأثيرها على اليهود في العالم، وقدرتها على المساهمة في سد الاحتياجات والنواقص الناتجة عن القوانين المقيدة التي فرضتها الجامعات ومؤسّسات التعليم على اليهود في أوروبا. [إذ] يطرح الكتاب نظرة عالمية للجامعة اليهودية تتجاوز الحدود الجغرافية

---

[215]. مصطفى، مرجع سبق ذكره، ص34.

لفلسطين، والتي تعتبر نظرة طموحة في سياق تاريخ كتابتها في العام 1902، وهي تشبه النظرة السياسية الطموحة لهيرتسل في كتابه "دولة اليهود"، والذي صدر في العام 1896. ولا نبالغ في طرح المقولة، أن جوهر ادعاء "دولة اليهود"، عاد على ذاته في كتاب "مدرسة يهودية عليا" عام 1902، مع الفرق أن الأول طرح المسألة اليهودية سياسيًا، واقترح حلاً سياسيًا لها على شكل دولة لليهود (وليست يهودية)، والثاني طرح مسألة اليهود الثقافية، وطرح حلاً ثقافيًا على شكل مؤسّسة أكاديمية يهودية عالمية (ليست لليهود فقط).[216]

ويوضح المؤرّخ يوسف كلاوزنر، الذي استوطن فلسطين عام 1919، ويعتبر من مؤسّسي الجامعة العبرية في القدس، وانضم إلى هيئتها التدريسية، ومجمع اللغة العبرية ووقف على رأسه، ومؤسّس الموسوعة العبرية ومحرّرها الرئيس، ودرَّس الآداب العبرية في الجامعة العبرية لسنوات طويلة: أن هناك ضرورة ملحة للإسراع في إنشاء هذه الجامعة لسببين رئيسين: الأول، تتعاظم محاولات التضييق على الطلاب اليهود في الجامعات، في غرب أوروبا، وعدم قبولهم للدراسة؛ والثاني، تأسّست في عام 1909 أولى المدارس الثانوية اليهودية في يافا والتي تعتمد اللغة العبرية كلغة تدريس. وبعد "شهرين أو ثلاثة أشهر" سوف يتخرّج أول فوج فيها. ماذا سيفعلون حينها؟ لن يستطيعوا استكمال دراساتهم في جامعات خارج فلسطين، لأن اللغة العبرية غير معتمدة في أي بلد آخر. بينما إذا أكملوا الدراسة في جامعة تعتمد العبرية كلغة التدريس، ويسافرون خارج البلاد "في بيئة غير عبرية، فلن يكونوا مستَعبَدين لبيئة غير يهودية، بل يحاربوها ويسعون إلى استعبادها لمصلحتهم".[217] لكن، في الواقع، لم تستوعب الجامعة الكثير من الطلاب اليهود من المجتمع الاستيطاني في فلسطين، بل استوعبت، أساسًا، طلابًا يهودًا من الخارج.[218]

---

[216]. المرجع السابق، ص 35.

[217]. كلاوزنر، مرجع سبق ذكره، ص 1-2.

[218]. مصطفى، مرجع سبق ذكره، ص 48.

بينما الجامعة العبرية نفسها، في الكتاب السنوي للجامعة العبرية لعام 1937، "أرجعت سبب إقامتها إلى قوتين امتزجتا معًا، هما: النهضة الإبداعية لشعب إسرائيل من جهة، والضغط عليه من الخارج من جهة أخرى (أي اللاسامية). ولم تذكر الجامعة الحركة الصهيونية كعامل دافع لإقامتها، ولكنها ذكرتها كإطار تم من خلاله تنظيم هذه الفكرة".[219] لكن هذا، ليس صحيحًا ودقيقًا، فالدوافع من إقامة الجامعة تتعدى هاتين "القوتين"، إذ كان من أهم الدوافع، تمثيل الجامعة للإطار "القومي اليهودي" كما رأته الحركة الصهيونية، والذي ركز عليه حاييم وايزمان، كثيرًا، بالإضافة إلى أسباب ودوافع أخرى، أرادها وايزمان والصهيونية من وراء إنشاء الجامعة العبرية، والتي سنناقشها لاحقًا. كما أن ما تطرحه الجامعة في كتابها، لا يتفق مع ما قد أوضحه المؤرّخ يوسف كلاوزنر سابقًا، والذي يتفق، أيضًا، مع بعض غايات وأسباب وايزمان من الجامعة العبرية.

وقد قدم ملحق كتاب وايزمان وبوبر وفايبل، "مدرسة يهودية عليا" (1902)، الخطة العملية – التنفيذية لإقامة الجامعة، أطلق عليها "الخطة المؤقتة لإقامة مدرسة عليا يهودية"، والتي بدأت بعرض هدف الجامعة الذي يتمحور حول تأهيل الشباب اليهودي في الحقول المعرفية العليا مع التشديد على الدراسات اليهودية والمواضيع التقنية، وقد وضع الثلاثة، جدولاً ماليًا دقيقًا، يوضح تكاليف إقامة الجامعة، إذ وصلت تكاليف إقامتها ومجمل مصروفاتها إلى (5,473,700) مارك ألماني.[220]

وجاء دور خطة الجامعة، في المؤتمر الصهيوني الحادي عشر (8 أيلول/سبتمبر 1913، فينا)، وعرضها مناحيم أوسيشكين، الذي أهتم بمسائل تربوية وتثقيفية، ونادى بالسيطرة العبرية على الجهاز التعليمي في "أرض إسرائيل"، وعليه بدأ وايزمان، بعرض بنود الخطة. وكان، أحيانًا، سياق التفكر للادعاءات وحتى صياغة وايزمان، مشابهة بطريقة عرض مداخلته في عام 1902، التي هدفت إلى إقامة مدرسة يهودية عليا، ولكن يوجد، أيضًا، فروقات واضحة تتراءَ للعين. في خطابه أمام المؤتمر (وكذلك أيضًا في عام

---

[219]. المرجع السابق، ص 33–34.

[220]. المرجع السابق، ص37.

1902)، قدم مداخلة مفادها أن اللاسامية تمنع الطلاب والمتعلمين، خاصة في روسيا، من أن يتم قبولهم في الجامعات. ولكن، هذه المرة، لم يركز على الموضوع كثيرًا كما في الماضي. يمكن أنه لم يرد أن يضع الأعضاء اليهود الروس في وضع غير لطيف، والذي قد ينشأ في حال هاجم مباشرة سياسات حكوماتهم. والأهم من ذلك، هي حقيقة أن إعلان عام 1902، كان يرى في "أرض إسرائيل" واحدة من بين أماكن ممكنة لإقامة الجامعة إلى جانب إنجلترا وسويسرا. في خطابه أمام المؤتمر لم يتم ذكر أي مكان آخر غير "أرض إسرائيل".[221]

وكان قد ورد في كتابه، "مدرسة يهودية عليا" (1902)، بالنسبة لمكان الجامعة:

> سيكون حل مشكلة مدرسة عليا يهودية إذا استطعنا إقامتها في أرض إسرائيل ... وهكذا، نكون قد وضعنا أساس الخطة الكبرى للبيت القومي، وهذا الأساس لن يكون أخلاقيًا وعلميًا وثقافيًا فحسب، بل اقتصاديًا أيضًا ... لأن ذلك سيعزز ثقة يهود العالم بإمكانية إقامة وطن قومي.[222]

واقترح الثلاثة أنه في حالة تعثر إقامتها في فلسطين، فإنه لا مانع من إقامتها، مؤقتًا، في أوروبا (إنجلترا أو سويسرا)، على أن يتم نقلها فيما بعد إلى فلسطين، ولم يتم الإشارة إلى القدس كمكان مفضل بالنسبة إليهم، حيث لا يذكرون اسم مدينة أو مكان محدد يرغبون بإنشاء الجامعة فيه. واقترح هيرتسل بعد تقديم خطتهم إلى المؤتمر الصهيوني، في 1902، على السلطان العثماني إقامة جامعة يهودية في القدس، بحيث يستطيع طلاب غير يهود من مختلف أنحاء السلطنة الدراسة فيها أيضًا، ولكن لم تنجح محاولات هيرتسل لإقناع السلطان العثماني بهذا الاقتراح، و"يمكن القول إنها كانت المرة الأولى التي يطرح فيها اسم القدس كمكان للجامعة العبرية أو اليهودية في فلسطين".[223]

---

[221]. راينهرتس، "وضع أساسات الجامعة"، مرجع سبق ذكره، ص 132–133.

[222]. مصطفى، مرجع سبق ذكره، ص 36–37.

[223]. المرجع السابق، ص 37–38.

لقد تبنى المؤتمر الصهيوني الحادي عشر (1913)، فكرة إقامة الجامعة العبرية، وطلب من اللجنة التنفيذية تشكيل لجنة للتحضير لإقامة جامعة عبرية في القدس، وكان مقر اللجنة من مدينة برلين ووقف على رأسها أوتو فاربورغ، أستاذ البيولوجيا اليهودي من ألمانيا. واستطاعت اللجنة جمع تبرعات، تمكنت من خلالها من شراء أراضٍ وأبنية على جبل الصوّانة (جبل سكوبس)، التي أقيمت عليها البنايات الأولى للجامعة، التي ما زالت قائمة حتى اليوم، ونجحت اللجنة في جذب شخصيات يهودية مهمة لفكرة الجامعة وفي مقدمتهم الثري اليهودي إدموند روتشيلد، الذي سيصبح عضوًا في المجلس الإداري للجامعة.[224] وفي بداية نيسان 1914، أعلن أرثور روبين أنه بدأ بشراء أراضي على جبل الصوّانة باسم ديفيد يلين وماغنس ووايزمان.[225]

شارك وايزمان، مع عدد من الصهيونيّين، في العمل على إنشاء الجامعة، وبدأت كوادر تعمل على ذلك من لندن والقدس. فقد تولى وايزمان، في لندن، العمل في إطار المنظمة الصهيونية هناك، وتمت، في العام 1920، إقامة "اللجنة الاستشارية للجامعة العبرية" برئاسة البارون روتشيلد. وسافر وايزمان مع ألبرت آينشتاين، عالم الفيزياء اليهودي الألماني، في العام 1921، إلى الولايات المتحدة للعمل من أجل الجامعة، وتم تأسيس "لجنة الأطباء اليهود في أمريكا"، التي أخذت على عاتقها، أيضًا، مهمة تشييد كلية الطب، وتأسيس علم الأحياء الدقيقة. وبدأ وايزمان تأسيس معهد الكيمياء في الجامعة، بالإضافة إلى نشاطه لتجنيد الدعم المالي والسياسي للجامعة.[226]

لقد تلاقت جهود وايزمان مع عدد من الصهيونيّين الآخرين، أمثال أوتو فاربورغ، ومارتن بوبر، ومناحيم أوسشكين، وآينشتاين، مع جهود المؤتمرات الصهيونية واللجان التنفيذية، في تأسيس وبلورة الفكرة العملية لتأسيس جامعة يهودية في القدس، والتي قد طرحت على يد هرمان شابيرا. ولم تعد، الفكرة، مجرد فكرة، تدور في أذهان الصهيونيّين، بل أصبحت واقعًا تم العمل على تحقيقها على أرض فلسطين.

---

[224]. المرجع السابق، ص 38.

[225]. راينهرتس، "وضع أساسات الجامعة"، مرجع سبق ذكره، ص 145.

[226]. مصطفى، مرجع سبق ذكره، ص 39.

وكانت المرحلة التاريخية الأولى، ما قبل تأسيس الجامعة العبرية، والفكرة الأساسية لإنشاء الجامعة، مرتبطة بالمشروع الصهيوني، في السياق التاريخي العام في أوروبا في نهاية القرن التاسع عشر، الذي كان يمنع اليهود ويضع قيودًا على دخول الطلاب اليهود الجامعات. كما كانت فكرة إنشاء جامعة عبرية يهودية، مرتبطة بالمشروع الصهيوني الأساسي، في إقامة "وطن قومي يهودي"، واعتبرت الجامعة من "المؤسّسات القومية" الواجب إنشاؤها، لتعزيز فكرة إقامة "الوطن المستقل" سياسيًا وثقافيًا. وشارك رموز الصهيونية، في ذلك الوقت، بالإضافة إلى المؤتمر الصهيوني والمنظمة الصهيونية، العمل على تنفيذ خطة إقامة وتأسيس جامعة يهودية في فلسطين.

4-1-2. مرحلة التأسيس

قام "الوطن القومي اليهودي" في فلسطين، في مطلع العشرينيات من القرن العشرين، بخطوة مهمة على صعيد استقلاله في ميادين التعليم والثقافة، وذلك عندما افتتحت، في الأول من نيسان/أبريل 1925، الجامعة العبرية على جبل الصوّانة في القدس، بحضور بلفور، الذي أعلن افتتاحها، وشخصيات عدة أخرى. وكان وايزمان قد عمل جاهدًا لتأسيس هذه الجامعة، التي وضع حجرها الأساس عام 1918.[227] وعقد حفل افتتاح الجامعة العبرية، يوم الأربعاء، الساعة الثالثة إلا ربعًا في الأول من نيسان/أبريل عام 1925، بعد اكتمال بناء المعاهد الثلاثة: اليهودية، الكيمياء، علم الأحياء الدقيقة.[228] ولقد تم تدشين الجامعة العبرية، أكثر من مرة، فقد كان كلما زار القدس أحد من كبار اليهود، يحتفل الصهيونيون بها أمام هذا الزائر.[229]

وقد حضر عدد كبير، نسبيًا، من الوفود حفل الافتتاح الرسمي عام 1925. وقد تم دعوة عدد من العرب، أيضًا، لحضور الافتتاح، إلا أنه لم تنجح جميع محاولات الحركة الصهيونية بالنسبة لحضور العرب، إذ

---

[227]. جريس، الجزء الثاني، مرجع سبق ذكره، ص 184.

[228]. مصطفى، مرجع سبق ذكره، ص 40.

[229]. "الجامعة العبرية: كلمة خيالية"، **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 765-8، 31 آذار 1925، ص 2.

حضر ممثلان فقط عن الجامعة الأمريكية في بيروت والجامعة المصرية (جامعة القاهرة حاليًا التي تأسّست في ذات العام).

فقد ذكرت "النشرة الفلسطينية" أن عدد ممثلي الجامعات الذين حضروا حفلة افتتاح الجامعة العبرية في القدس 52، وأن عدد برقيات التهاني التي جاءت من جميع أنحاء العالم 240.[230] ووفقًا لـ "الشورى" فقد دعت الجامعة العبرية في القدس سعادة الأستاذ أحمد زكي باشا لحضور حفلة افتتاحها ولكنه أهمل الدعوة.[231] وروت، أيضًا، أن الجامعة دعت بعض أفاضل المصريّين وأعلنتهم أن نفقات الذهاب والإياب والإقامة على حسابها.[232] ونشرت "فتى العرب"، بتاريخ 22 آذار/مارس، أن وزارة المعارف في بغداد، تلقت من الجامعة العبرية دعوة للاشتراك في حفلة افتتاح الجامعة اليهودية التي تقرر افتتاحها لدى وصول اللورد بلفور إلى فلسطين. وتجمع صحف العراق الصادرة في 21 آذار/مارس على وجوب رفض هذه الدعوة من قبل وزارة معارف العراق لمراعاة "شعور العرب الفلسطينيّين".[233]

وذكرت جميع الصحف اليهودية في فلسطين، وتناقلت ذلك الصحف الفرنسية، أن الجنرال سرايل سيحضر حفلة تدشين الجامعة العبرية، فأذاعت شركة "هافاس" الفرنسية البرقية التالية: "ذكرت بعض الصحف الفرنساوية أن الجنرال سرايل، المفوض السامي لفرنسا في سوريا، سيزور القدس في أول ابريل بمناسبة الاحتفال بافتتاح الجامعة العبرية. إن هذا الخبر مختلق لغاية سياسية".[234] كما نفت صحيفة "فلسطين" حضور عدد من أعيان فلسطين حفل افتتاح الجامعة:

> يسرنا أن نعلن أن ما ذكرناه عن حضور الشيخ خليل أفندي الخالدي حفلة افتتاح الجامعة العبرية، كان غير صحيح، فقد جاءنا من القدس ونابلس، أن فضيلته لم يحضر هذا الاحتفال أو غيره. وقد

---

230. "أخبار صهيونية"، **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 767–10، 7 نيسان 1925، ص 2.
231. "زكي باشا يرفض دعوة الجامعة العبرية"، **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 765–8، 31 آذار 1925، ص 4.
232. "أسلوب الدعوة"، **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 765–8، 31 آذار 1925، ص 4.
233. "العراقيون والجامعة"، **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 765–8، 31 آذار 1925، ص 4.
234. "كيف يكذبون"، **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 765–8، 31 آذار 1925، ص 5.

قرأنا في جريدة الأردن أن الشيخ يونس الخطيب أبرق إلى اللجنة التنفيذية، ينفي خبر وجوده في تلك الحفلة، وإنما يقال إن الذي حضرها هو الشيخ محمود الخطيب.[235]

لقد استخدم الصهيونيون، لهذه "الحفلة"، كل وسائط البروبغاندا المعروفة وغير المعروفة، فأذاعوا خبرها في جهات العالم الأربع، ودعوا لحضورها كل الجامعات في العالم، وأذاعوا خبر وصول بلفور بالتلغراف الأثيري ... وقد وصلت بهم "الوقاحة" فوق دعوة العرب الفلسطينيّين إلى دعوة المجمع العلمي السوري والجامعة المصرية والجامعة الأمريكية في بيروت، للاشتراك في حفلة افتتاح جامعتهم. إذ وافقت الجامعة المصرية على إرسال ممثل لها بأمر من ملك مصر، وخدعوا الجامعة الأمريكية فقررت إرسال من يمثلها، ورفض المجمع العلمي في دمشق الدعوة. وقد نشرت الجرائد الصهيونية خبر قبول الجامعة المصرية والجامعة الأمريكية لها، واعتبرت قبولهما دليلاً على عدم مشاطرتهما لأهل فلسطين في شعورهم. وقد أرسلت الجمعية الإسلامية المسيحية الفلسطينية والشبيبة العربية، برقيات الاعتراض إلى الحكومة المصرية والجامعة الأمريكية. وكان رد الجامعة الأمريكية في بيروت: "أنها في قبولها الدعوة نظرت إلى المشروع من وجهة علمية بقطع النظر عن الأجناس والأديان والأحزاب". وفيما جاء في برقيات الاعتراض من جمعية المتخرجين في يافا، "إن افتتاح الجامعة العبرية لا يقصد منه غرض علمي محض وإنما هو مظاهرة صهيونية سياسية كما يتضح من أقوال جرائدهم وزعمائهم".[236]

وكان هناك تبرعات "سخية" من عدد من اليهود الصهيونيّين حول العالم، للجامعة العبرية، إذ قامت الحركة الصهيونية، بتمهيد الطريق أمام عدد من اليهود للتبرع للجامعة. فقد أشارت النشرة الفلسطينية:

أن اللجنة التنفيذية الصهيونية، في أمريكا، قررت فتح اكتتاب بمبلغ مليون دولار ليقدم هدية للجامعة العبرية. وأن المستر سلمون روزنبلوم، من بتسبرغ، تبرع للجامعة بربع مليون دولار.

---

[235]. "تصحيح خبر"، **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 767–10، 7 نيسان 1925، ص 5.

[236]. "افتتاح الجامعة اليهودية"، **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 765–8، 31 آذار 1925، ص 2.

وقالت، أيضًا، أن المدعو فيليب واتنبرغ، تبرع بمائة ألف دولار لبناء معهد آينشتاين في الجامعة المذكورة.[237]

سيطرت "الرؤية القومية" الصهيونية والنموذج الألماني على تطلعات ورؤى الجامعة العبرية، بحيث تأسّست الجامعة وفقًا لغايات الحركة الصهيونية وأهداف وايزمان، والتأكيد على أهميتها في المشروع الصهيوني "القومي" الاستيطاني، وبناء "الوطن القومي اليهودي"، وإنتاج اليهودي الجديد، والعمل على تحقيق احتياجات المجتمع اليهودي الاستيطاني في فلسطين. وبنيت الجامعة بناء على أهمية توظيف العلوم والإنتاج العلمي والبحثي والمعرفي، في تأسيس المجتمع وتطوره وتقدمه. وتشاركت المؤسّسات العلمية المختلفة، والمؤسّسات الصهيونية، في فلسطين، في تحقيق تلك الأهداف والغايات.

ففي أعقاب ولادة الفكرة القومية في أوروبا، في القرن الثامن عشر، وفي عهد محاولات تأسيس وتحقيق الوحدة الألمانية، في القرن التاسع عشر:

> ساهمت الجامعات الألمانية ومفكروها البارزون في تحريك الحس الوطني والوعي القومي الألماني، إذ كانت هذه الجامعات، إحدى المزايا المشتركة للمجتمع الألماني على الرغم من التجزئة والتمزق السياسي. وقد قدم عمانوئيل كانط (1724–1804) أول الأفكار في هذا الشأن ممثلة بفكرة (حق تقرير المصير) الذي جعل منه "خيرًا سياسيًا أسمى"، فقد مهد بذلك لظهور أول وأهم أسس نشوء المستوى الوجودي السياسي للقومية في أوروبا. وتلقت الأمة الألمانية من على منابر جامعة بينا (جامعة فريدريش شيلر لاحقًا) الدعوة القومية التي كان يوهان جوتليب فخته (1762–1814) أبرز أعلامها، الذين وظفوا تلك المنابر لخلق الإحساس بالانتماء القومي لدى الألمان، وإنضاج وعيهم بهذا الانتماء، عبر تبشيره بالشخصية والهوية الألمانية المميزة، والرسالة

---

[237]. "أخبار صهيونية"، **فلسطين** (صحيفة)، مرجع سبق ذكره، ص 2.

الإنسانية السامية التي لا بد للألمان من حمل مسؤوليتها، لاعتقاده أنهم الأمة الوحيدة المؤهلة لتحقيق النهضة الإنسانية الجديدة.[238]

وقد بدأ دور الجامعة في البحث العلمي في الجامعات الألمانية، في نهاية القرن الثامن عشر، ومطلع القرن التاسع عشر، وكان ذلك، مع بداية الإصلاح الذي حدث في جامعة هامبولدت (Hamboldt). وقد كان هناك عوامل اجتماعية هي التي أدت إلى هذا التوجه لدى الجامعات الألمانية، من أهمها:

تبلور فكرة القومية الألمانية بعد توحيد ألمانيا، مما دفع الجامعات الألمانية، دعمًا للوحدة، إلى العمل على إحياء الثقافة الألمانية، والعمل على انتشارها، ولهذا اتجهت إلى الاهتمام بالدراسات الإنسانية والفلسفية؛ كذلك، سعت الحكومة الألمانية، منذ نشأتها، إلى ضرورة تبني سياسة التخطيط والبحث العلمي، وانعكس هذا على الجامعات من خلال تبنيها لهذه السياسات المتجهة للبحث العلمي، ولهذا لم تنعزل الجامعات الألمانية عن بقية مؤسّسات المجتمع، بل سعت لاتخاذ زمام المبادرة، وخلق نوع من التعاون المستمر بينها وبين العديد من المؤسّسات الاجتماعية التي تشارك في تحديث المجتمع الألماني وتطويره، وأصبحت للجامعات مكانتها العلمية والمجتمعية، التي غيرت من مفاهيم القادة السياسيّين نحو الجامعة وأساتذتها ودورها الإيجابي في المجتمع.[239]

لقد تم وضع أهداف الجامعة العبرية في دستورها، والتي من خلالها، يمكننا أن نستدل على غاياتها، كما تراءت في أعين واضعي هذا الدستور: الأول، تعزيز العمل لتطوير العلم من خلال إعطاء فرص للبحث في كل فروع العلوم الإنسانية والطبيعية، وأن تشكل مركزًا للعلوم اليهودية، ولتطوير اللغة العبرية؛ الثاني، استخدام كل طرق التوجيه الأكاديمي لتطوير التربية العامة والمهنية للطلبة؛ الثالث، المساعدة في تطوير "أرض إسرائيل"، من خلال البحث العلمي المتعلق بالمشاكل التكنولوجية التي تؤثر على الزراعة والصناعة

---

[238]. علي عباس مراد وعامر حسن فياض، **القومية والأمة: مدخل إلى الفكر السياسي القومي** (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2017)، ص 138-139.

[239]. يوسف سيد محمود، **أزمة الجامعات العربية** (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2008)، ص 30-31.

والصحة العامة، الخ؛ الرابع، أن تشكل في "أرض إسرائيل" بعثة جامعية لتعليم البالغين. وهدف الجامعة، من تعليم البالغين، هو بمثابة اهتمام لإقامة مستوى ثقافي وروحاني، ملائم، للاستيطان اليهودي في "أرض إسرائيل".[240]

وأثناء وضع البحث العلمي، كهدف أولي للجامعة، يمكننا أن نرى في ذلك، احتذاءً بنموذج الجامعة الألمانية، إذ إن التشديد على البحث العلمي كان مرتبطًا بـ"الأيديولوجية القومية"، والتي كان وايزمان هو من بين حامليها. ولقد استوجبت الرؤية أهداف الجامعة الأربعة في دستور الأساس حول الطاقات الكامنة في الجامعة في القدس، اعتبار البحث كهدف رئيس ومركزي للجامعة. فقد توحدتا الجامعة الألمانية و"الأيديولوجية القومية" كمثال بالغ لهذا التوجّه، واحتل التعليم بناء عليه مكانًا ثانويًا. إن لمأسسة البحث أهمية عليا، وهي التي سوف تحدّد مستوى ومكانة الجامعة. فقد تم تحديد التعليم في الدستور، بشكل عام جدًا، أثناء التشديد على الطلاب "الذين تأهلوا كما ينبغي" في مراحل دراساتهم السابقة. وبذلك، أصبح لزامًا الاهتمام بدرجات التعليم الثانوي في "أرض إسرائيل". إن الهدف والغاية الصهيونية من الجامعة، هو المساعدة في تطوير البلاد والاستيطان. إن معاهد الكيمياء وعلم الأحياء الدقيقة، اللذين شكلا باكورتها، يؤهلاها للعب هذا الدور. وبمرور الوقت، ستزداد وتقوى العلاقة بين الجامعة وبين المركز الزراعي القائم بجانب المنظمة الصهيونية العالمية و"التخنيون" في حيفا. وسيشكلون معًا البنية التحتية للبحث العلمي العملي، والذي من شأنه أن "يخدم بشكل نافع سكان البلاد والدول المجاورة".[241]

كما تأسّست الجامعة العبرية في فترة الاستعمار البريطاني، استنادًا إلى نموذج "جامعة دون طلاب"، كإطار يتشكّل من مراكز أبحاث متعدّدة تركّز على البحث العلمي،[242] وهذا عملاً بالتصنيف الذي قام به ويفر (.K

---

[240]. بتصلال برشاي، "الجامعة العبرية في القدس، 1925–1935"، **مجلة كتدرا**، عدد 53 (1990): ص 110–111. [بالعبرية]

[241]. المرجع السابق، ص 110.

[242]. مصطفى، مرجع سبق ذكره، ص 205.

Weaver)، لمراكز الأبحاث. إذ قام بتصنيفها بناء على نمط عملها من جهة، وطريقة تجنيد الموارد للقيام بعملها من جهة أخرى، ومنها، "جامعات دون طلاب"، وهي:

> مراكز بحث يعمل بها باحثون من المؤسّسات الأكاديمية، وتحصل على تمويلها من القطاع الخاص، وتنتج أبحاثًا أكاديمية خالصة، وتخضع أبحاثها للمعايير العلمية الأكاديمية المجردة، ولكن ما يميزها عن أبحاث الجامعة التقليدية هو أن أبحاثها تتمتّع بطابع تطبيقي وعلاقتها المباشرة مع أصحاب اتخاذ القرار.[243]

ووفقًا لويفر، هناك نوعان آخران، الأول يسمّى "مؤسّسات التعاقد البحثي" (Contract Research Organization)، وهي "تعمل مع باحثين من المؤسّسات الجامعية، ولكنها تعمل بناء على التعاقد مع الوزارات والمؤسّسات الحكومية أو مع القطاع الخاص، لا يملك الباحثون في هذه المراكز استقلالية في تحديد الأجندات البحثية ونشر نتائج أبحاثهم". ويكمن الفرق بين النمط الأول والثاني، أن الأول ينتج أبحاثًا دون أجندات مسبقة، بل يحدّدها بنفسه وباستقلالية، بينما الثاني، يتعاقد مع باحثين على القيام بأبحاث بناء على أجندات بحثية محدّدة مسبقًا من الجهة الممولة سواء أكانت حكومية أم خاصة. أما النوع الآخر، فهو "مؤسّسات المرافعة" (Advocacy Tank)، وهي:

> مراكز بحثية، تقوم بخدمة مجموعات أيديولوجية أو مصالح، وتقوم على نشر أفكارها بين الجمهور، لا يعمل في هذه المراكز باحثون أكاديميون فقط، وإنما باحثون من مهن وخلفيات مهنية ووظيفية أخرى، تطمح هذه المراكز إلى التأثير على أصحاب القرار والسياسات بشكل مباشر وفوري.[244]

ويبدو أن الجامعة العبرية، أنشئت عند تأسيسها على النمط الأول، إلا أنها تحولت، وبسرعة إلى الدمج بين الأنماط الثلاثة: فهي كانت "جامعة دون طلاب"؛ وأبحاثها ليست مستقلة، بل موجهة وبناء على أجندات

---

[243]. المرجع السابق، ص 201.

[244]. المرجع السابق، ص 201–202.

الحركة الصهيونية ومؤسّساتها؛ وكذلك، كانت تعمل على نشر أيديولوجية ورؤية الحركة الصهيونية، في مساعيها لإنتاج اليهودي الجديد واستعمار فلسطين، واختراع القومية اليهودية، بالإضافة إلى أن العديد من الباحثين، كانوا يشغلون مناصب أخرى في المؤسّسات الصهيونية. وهذا ما لاحظناه من خلال الفصول السابقة، وما سنراه ويتضح لنا بصورة أكبر لاحقًا.

توجد للجامعة العبرية ثلاث هيئات، كما هو موضح في دستور الجامعة المؤقت، من عام 1926–1935، وهي: مجلس الأمناء، الذي يضم أشخاص من داخل إسرائيل وخارجها؛ والمجلس الأكاديمي، المكوّن من يهود من دول مختلفة؛ واللجنة التنفيذية لمجلس الأمناء. وتدار الجامعة من قبل مجلسين، مقرّهما خارج فلسطين، ولكن توجد في القدس لجنة تنفيذية لمجلس الأمناء مكوّنة من محافظ الجامعة، واثنان، على الأقل، من أعضاء مجلس الأمناء "المقيمين" (المستوطنين) في "أرض إسرائيل".[245]

لقد "نمى صرح الجامعة بسرعة كبيرة، وبدأ اسمها يعلو في سماء المؤسّسة الأكاديمية العالمية، وذلك بفضل الأسماء العالمية التي شغلت عضوية مجلس الأمناء للجامعة، ومنهم: ألبرت آينشتاين، سيغموند فرويد، جيمس روتشيلد، حاييم وايزمان، ورئيس الجامعة يهوذا ماغنس".[246] تحوّلت الجامعة العبرية، بعد قيام "إسرائيل"، إلى واحدة من أهم المؤسّسات البحثية في "إسرائيل"، إلى جانب معهد وايزمان، و"التخنيون"، و"وحدة سلاح العلم"، التي أقيمت عام 1948 قبل الحرب، والتي تعتبر جزءًا من الشعبة العلمية في "منظمة الهاغاناه" التي أعاد تأسيسها بن غوريون عام 1947.[247]

هيمنت الجامعة العبرية على المشهد الأكاديمي الإسرائيلي، في العقد الأول، الذي أعقب قيام "إسرائيل"، "وساعدها على ذلك مكانتها الخاصة في النظام السياسي المركزي وخاصة لدى بن غوريون". علاوة على ذلك، "فقد كان انفرادها من بين المؤسّسات الموجودة (التخنيون ومعهد وايزمان) في تدريس وإجراء الأبحاث

---

[245]. برشاي، مرجع سبق ذكره، ص 108.

[246]. مصطفى، مرجع سبق ذكره، ص 48.

[247]. المرجع السابق، ص 52.

في حقلي العلوم الإنسانية والاجتماعية، عاملاً حاسمًا، في تفردّها". فقد أنتجت الجامعة سُبلاً خاصة بها في هذه العلوم، فمثلاً، أسّست الجامعة "علم الاجتماع المقدسي" الملتزم بالتوجه القومي الصهيوني، وقد انطلقت "هذه المنظومة من دراسة إسرائيل، كعملية طبيعية لبناء دولة قومية، ودرست المجتمع الإسرائيلي من خلال النظرية الوظيفية في علم الاجتماع، والحركة الصهيونية، كحركة تحرر قومي. وكذلك الأمر في التاريخ، والدراسات اليهودية، فقد أنتجت الجامعة منظومات معرفية سميت منظومات الجامعة العبرية".[248]

وعارضت الجامعة العبرية أية محاولة لإقامة جامعة أخرى في إسرائيل، وظهرت معارضتها ضد المحاولة الحثيثة لإقامة جامعة في تل أبيب. لم تكن المؤسّسات الموجودة – خاصة التخنيون ومعهد وايزمان – تشكّل تحديًا للجامعة العبرية، فهي مؤسّسات تبحث في العلوم الطبيعية والتكنولوجية، بينما تميزت الجامعة العبرية عنهما بتدريسها العلوم الاجتماعية والإنسانية، كما أن جامعة بار إيلان التي أقيمت في العام 1955، وهي المؤسّسة الجامعية الأولى التي أقيمت بعد قيام "الدولة العبرية"، لم تشكّل تهديدًا وتحديًا جديًا للجامعة العبرية، فهي أقيمت كجامعة دينية، على نمط الجامعات الكاثوليكية في الغرب التي لم تهدد الجامعات العلمانية.[249]

كانت مرحلة تأسيس الجامعة وافتتاحها، عام 1925، نقطة فارقة في عمل الحركة الصهيونية، في سعيها لاستيطان فلسطين، وإقامة "الوطن القومي" وبناء "الدولة اليهودية"، ومثلت الجامعة العبرية الصرح والمكان المثالي لتكثيف الاستيطان وبناء المجتمع اليهودي الوليد. وكان ذلك من خلال المعاهد والكليات الأساسية الأولى التي أنشأتها الجامعة.

---

[248]. المرجع السابق، ص 56–57.

[249]. المرجع السابق، ص 57.

4-1-3. معاهد وكليات الجامعة العبرية الأولى

سبق إنشاء وإقامة الجامعة، تأسيس عدد من المعاهد والمراكز التي مهدت الطريق لإنشاء الجامعة وافتتاحها عام 1925، بما يتلائم مع رؤية الجامعة وأهدافها، وبما يتوافق مع الخطوط العريضة التي حدّدتها ورسمتها الحركة الصهيونية، وشدّد عليها وايزمان لـ"بناء الوطن القومي اليهودي" وإعادة إنتاج اليهودي الجديد.

وكان وايزمان وبوبر وفايبل قد اقترحوا في كتابهم "مدرسة يهودية عليا" (1902) تشكيل الجامعة كمجموعة من المعاهد والكليات التالية: قسم الدراسات العامة، الفلسفة، العلوم السياسية، التربية والدراسات اليهودية؛ قسم الرياضيات والعلوم الطبيعية، وتنضم إليه مدرسة لمعلمي الموضوع؛ مدرسة البناء لتأهيل المخطّطين؛ مدرسة المهندسين لتأهيل مهندسي البناء والشوارع والطرق وسكك الحديد وقنوات المياه والجسور؛ المدرسة التقنية الإلكترونية لتأهيل مهندسي الماكينات والكهرباء؛ مدرسة الكيمياء؛ مدرسة التحريش والزراعة، وتأهيل مهندسي الزراعة.[250] لكن، في المراحل الأولى، تم تأسيس وإنشاء عدد مختلف من المعاهد والكليات. فإلى جانب معهد الدراسات اليهودية ومعهد الكيمياء وقسم علم الطفيليات، الذين أقيموا قبل تأسيس الجامعة، أضيف مركز لدراسات الشرق عام 1926، ومركز لدراسة طبيعة "أرض إسرائيل" عام 1926، ودائرة النظافة البيتية والبيئية (Hygiene) عام 1926، ومركز للرياضيات عام 1927.[251]

4-1-3-1. كلية العلوم الإنسانية ومعهد الدراسات اليهودية

يقول أهرون تشخنوبر، الحاصل على جائزة نوبل للكيمياء، عام 2004، من معهد "التخنيون":

> دون علوم إنسانية ويهودية متطورة، لن يكون هناك علم نوعي أيًا كان في دولة إسرائيل. لا الفيزياء، ولا الكيمياء، ولا الرياضيات، ولا الطب. لكي ننمو، فإن العلوم الطبيعية، تحتاج إلى تغذية من العلوم الإنسانية – الأخلاق، الفلسفة، الأدب، التاريخ واليهودية.[252]

---

[250]. المرجع السابق، ص 37.

[251]. برشاي، مرجع سبق ذكره، ص 114.

[252]. مصطفى، مرجع سبق ذكره، ص 125.

لذلك، فقد كان من أهم المعاهد والكليات التي أسستها الجامعة العبرية/اليهودية، كلية العلوم الإنسانية ومعهد الدراسات اليهودية، الذي كان أول معهد تأسس في الجامعة العبرية، فمنذ البداية، شدّد وايزمان في الكتاب، "مدرسة يهودية عليا" (1902)، على أهمية العلوم اليهودية وأهمية الجامعة لحقل الدراسات اليهودية. فقد اعتبر مؤلفو الكتاب:

> أن إقامة مؤسّسة يهودية عليا، ستكون مركزًا لكل علماء اليهود في العالم، الذين لا يستطيعون العمل بسبب القوانين واللوائح المقيدة المفروضة عليهم، وذلك سوف ينتج مركزًا يهوديًا علميًا مميزًا، ولن تحل فائدته على الباحثين أو المعرفة عمومًا فحسب، بل على حقل الدراسات اليهودية أيضًا. حسب رأيهم، فإن حقل الدراسات اليهودية مبعثر في جامعات أوروبا، ويشتغل فيه "الأغيار" (بتعبيرهم)، بينما سوف تخصص المؤسّسة اليهودية، مكانة خاصة، لهذه العلوم، وستشكل انطلاقة مهمة للدراسات اليهودية.[253]

بدعم من القائد السياسي في الحركة الصهيونية مناحيم أوسيشكين، بدأ وايزمان العمل على إقامة كلية العلوم الإنسانية والدراسات اليهودية في العام 1922، وكان ماغنس، الذي سيصبح أول رئيس للجامعة، أحد أعضاء لجنة العمل على إقامة الكلية. أتممت اللجنة بناء معهد الدراسات اليهودية، وعقدت أول اجتماع لهيئته العامة في لندن عام 1924، ليسبق المعهد الجامعة من حيث التأسيس، فقد تم افتتاحه في كانون الأول/يناير عام 1924، وعمل فيه ثلاثة أساتذة. يحمل ذلك رمزية كبيرة لأهمية الدراسات اليهودية في فكرة الجامعة العبرية، وفي فكر مؤسّسي الحركة الصهيونية.[254] فقد اعتبرت المؤسّسة الأكاديمية الإسرائيلية مجال الدراسات اليهودية "من المجالات المهمة في مسيرتها الأكاديمية والبحثية، وقد حقّق هذا المجال البحثي والدراسي إنجازات كبيرة في دراسة التوراة، والتلمود، والشريعة، والتاريخ اليهودي".[255]

---

[253]. المرجع السابق، ص 36.

[254]. المرجع السابق، ص 39–40.

[255]. المرجع السابق، ص 150.

جاء عند الباحث ديفيد مايرز، إنه عند افتتاح معهد الدراسات اليهودية، كانت قد "طفت التوقعات بإحداث تغيير ثوري في الدراسات اليهودية". ويضيف معلّقًا: "لكن اللغة التي أُستخدمت للإمساك باللحظة التاريخية كانت محملة بالتصوّرات الدينية، ولم يكن الأمر صدفة: فقد عُرض المعهد، كمؤسّسة علمية خالصة إلى جانب عرضه كمركز ديني، وترنح رؤساؤه بين ولائهم للتقاليد الدراسية الأوروبية وبين ولائهم للمشروع القومي–الصهيوني في فلسطين/أرض إسرائيل".[256]

لقد كانت أهمية الدراسات اليهودية ودراسة التوراة وكل ما يتعلق بها، موجودة في الفكر الصهيوني، وهي حاضرة في التصور الصهيوني للجامعة العبرية، وهي مستمدة من التصور التوراتي القديم، ويتضح ذلك، من خلال خطاب "الشاعر القومي" حاييم نحمان بياليك (زيتومير في روسيا، 1873–1934)، في حفل افتتاح الجامعة العبرية في القدس:

> لقد اكتسب مفهوم التوراة من الشعب مستوىً لا حد له من التعظيم، فقد كانت التوراة لهم حياة أخرى ذات مضمون أسمى وأكثر روحانية، أضيفت إلى الوجود العلماني، إن لم تكن، قد حلّت محلّه، وأصبحت التوراة مركز أسرار الأمة وتطلعاتها المشروعة ورغباتها وهي في المنفى. إن القول بأن "إسرائيل والتوراة شيء واحد" لم يكن مجرد تعبير، فغير اليهودي لا يتمكن من تقدير مفهوم "التوراة" بكل أهميته القومية، لأنه لا يمكن التعبير عنه بشكل مرضٍ بأية لغة أخرى. فمضمون هذا المفهوم التوراتي ومدلولاته، تشمل أكثر من "دين" أو "معتقد" وأكثر من "أخلاق" أو "وصايا" أو "تعليم"، وأنه ليس مجرد مجموع لجميع هذه الأمور، ولكنه شيء يتخطاها إلى البعيد. أنه مفهوم كوني، لا يدرك العقل كنهه، فالتوراة هي أداة الخالق، بها ولأجلها خلق الكون. وأنها أقدم من الكون، أنها أسمى فكرة وروح حية في العالم، من دونها، لم يكن من الممكن أن يوجد العالم، وحتى ليس له الحق في أن يوجد. "دراسة التوراة أهم كثيرًا من بناء الهيكل"، "معرفة التوراة تحتل مرتبة أسمى من الكهنوتية أو الملكية"، "إنها التوراة فقط التي تسمو بالإنسان فوق جميع

---

[256]. عميت، مرجع سبق ذكره، ص 30.

المخلوقات" (جميع العبارات المقتبسة، هنا، هي تلخيص لوجهة نظر التلمود، وهي مأخوذة منها ومن مصادر موازية لها).

ويضيف:

لقد تأسّست المدرسة اليهودية الابتدائية بعد تهديم القدس، بفترة وجيزة، وقد استمرت حتى يومنا الحاضر. وكان من نتيجة هذا المراس الطويل، أن اكتسبت الأمة، نوعًا من الحاسة السادسة، لكل ما يتعلق باحتياجات الروح، هي حاسة مرهفة تكون عادة أول ما يتأثر لما يحدث، هي حاسة موجودة لدى كل فرد. ليس هناك يهودي واحد إلا ويخاف أن يصدر أحد مرسومًا قاسيًا يقول: "بأن لا يشغل اليهود أنفسهم بالتوراة". حتى أفقر وأوضع رجل في إسرائيل، ضحى من أجل تعليم أبنائه، وأنفق على ذلك ما يعادل نصف أو أكثر من نصف دخله. وقبل أن يطلب اليهودي إشباع رغباته المادية، يصلي يوميًا ويقول: "امنحنا اللهم المعرفة والفهم والإدراك اليهودي".[257]

لقد ازدهرت العلوم الإنسانية في "المنفى" اليهودي في العالم، قبل الصهيونية، ثقافيًا، وأقيمت الجامعة العبرية لإحيائها في "أرض إسرائيل".[258] لذلك، كانت العلوم الإنسانية، الأساس، الذي قامت عليه الجامعة العبرية، ولها مكانة خاصة في الذاكرة التاريخية اليهودية.[259] إذ ظهرت الجامعة العبرية، خلال فترة الاستعمار البريطاني:

كحاملة للواء العلوم الإنسانية، فقد ركزت على هذا الحقل المعرفي بشكل كبير، على الرغم من أن أحد مؤسّسيها الكبار، وايزمان، كان كيميائيًا. [إذ] تميزت الجامعة، في عقودها الأولى، بتشديدها على العلوم الإنسانية، مع إعطاء أهمية خاصة للعلوم الأخرى، التي اعتبرتها مفتاح الدخول إلى عقل المجتمع اليهودي الاستيطاني. ولكن ظلت الجامعة، خلال فترة الانتداب البريطاني، مركزًا

---

[257]. حاييم نحمان بياليك، "بياليك يتحدث عن الجامعة العبرية: كلمة ألقيت في حفل افتتاح الجامعة العبرية في القدس، في الرابع من كانون الثاني (يناير) 1925"، في: أنيس صايغ (إعداد)، **الفكرة الصهيونية**، مرجع سبق ذكره، ص 174-175.

[258]. مصطفى، مرجع سبق ذكره، ص 150.

[259]. المرجع السابق، ص 26.

معرفيًا، للعلوم الإنسانية، اليهودية منها خاصة، كما أن رئيسها وعمداءها، جاؤوا من العلوم الإنسانية. وكان أكثر من نصف الطلاب في الجامعة (1935–1947)، درسوا في كليات العلوم الإنسانية، وخاصة الأدب العبري والدراسات اليهودية.[260]

هذا يظهر أهمية الدراسات اليهودية، والعلوم الإنسانية بشكل عام، في الفكر الصهيوني الأول، ولدى مؤسّسي الجامعة العبرية، والذين أسسوا معهد الدراسات اليهودية، والذي كان نابع، بالأساس، من أهمية العلوم اليهودية، لدى منظري الصهيونية الأوائل، فقد كانت العلوم اليهودية محور النقاشات السابقة لتأسيس الحركة الصهيونية والجامعة العبرية. ولكن الأهمية البالغة لهذا الحقل المعرفي تكمن في أنه يقف خلف السعي نحو طمس الهوة الزمانية (2000 سنة) التي تفصل بين حقبة الهيكل اليهودي وبين نشوء المشروع الصهيوني، وذلك لخلق تصوّر أن المشروع الصهيوني ما هو إلاّ استكمالاً للمشروع اليهودي القديم كما يستشف من كلمة بياليك.

4–1–3–2. معهد الدراسات الشرقية وعلوم الشرق

كان المعهد الثاني، الذي تمتّع بأهمية كبيرة ضمن أهداف وفكر الحركة الصهيونية، هو معهد الدراسات الشرقية وعلوم الشرق، والذي أخذ واستمد طابعه من الاستشراق، إذ اعتمدت عليه الحركة الصهيونية، ولاحقًا "الدولة العبرية" في تكريس استيطان واستعمار فلسطين واختراق سكانها.

لقد دُشن معهد علوم الشرق في الجامعة العبرية، عام 1926. ويشير تاريخ تأسيس المعهد، إلى جانب كونه المعهد الثاني الذي تأسّس ضمن العلوم الإنسانية بعد تدشين معهد الدراسات اليهودية عام 1924:

إلى الأهمية التي أولاها له رؤساء الجامعة وإلى مركزيته لدى الجيل الأول من مثقفي ودارسي الجامعة العبرية، وقد تأكدت هذه الأهمية، أيضًا، من حقيقة أن اليهود لعبوا، في القرن التاسع عشر، دورًا مركزيًا في الدراسات العربية والإسلامية. وحتى أواخر سنوات الأربعينيات من القرن

---

[260]. المرجع السابق، ص 46–48.

العشرين، حافظ المعهد، على غرار الجامعة العبرية برمتها، على قسط كبير من الاستقلالية الذاتية المؤسّساتية والبحثية: فقد نُظر إلى المعهد على أنه مؤسّسة بحثية وعلمية، وتركز في دراسات الشرق الأوسط والبحث على الموروث الإسلامي إبان العصور الوسطى واللغة العربية الكلاسيكية. تركزت الدراسات الاستشراقية الأكاديمية في البلد في هذا المعهد، وقد سيطر عليه أساتذة تلقوا تأهيلهم الفيلولوجي (اللغوي) في الجامعات الألمانية، إذ لم يستند مطلبهم بالاعتراف بهم كمختصين في المسائل العربية على معرفة الأصلانيّين، بل على جهدهم المعرفي.[261]

فقد كان "معهد الدراسات الشرقية" من بين أبرز المعاهد التي أنشأتها الجامعة، في بداية عهدها، و"الذي نشط، أساسًا، في مجال دراسة العرب وتاريخهم وتراثهم". وتغير اسمه، عام 1962، إلى "معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية". و"يتضح من إحصاء السكان العام الذي أُجري في فلسطين عام 1931، أنه وُجد، آنذاك، في البلد 2216 يهوديًا يعرفون العربية، مقابل 19 عربيًا يعرفون العبرية".[262]

خلافًا لغيش عميت بشأن استقلالية الجامعة ومعهد علوم الشرق، فإن كون المعهد ينتج الدراسات الاستشراقية، هذا بحد ذاته يعتبر مؤشرًا على عدم استقلالية المعهد والجامعة العبرية. كذلك، فإنه تظهر، بشكل واضح، النزعة الاستشراقية في تحليله ورأيه، وتحديدًا في قوله: "إن اليهود لعبوا، في القرن التاسع عشر، دورًا مركزيًا في الدراسات العربية والإسلامية"، والتي تتفق مع رؤية الاستشراق الأوروبي الغربي.

لقد تزايدت، منذ الثلاثينات، الأصوات التي طالبت المعهد بتغيير طابعه وغاياته؛ ووُجه جل النقد إلى الانشغال الزائد بـ"الجانب السلمي" وإهمال "دراسات الشرق المعاصر". وقد قُدم تقرير لجنة الرقابة في الجامعة إلى رئيس الجامعة حاييم وايزمان في عام 1934، ووجه النقد إلى المعهد لأنه "لا يضع نصب عينيه أي غاية، باستثناء غاية وحيدة، وهي منح الطلاب صورة بشأن الثقافة الإسلامية في الماضي". وأضاف التقرير:

---

[261]. عميت، مرجع سبق ذكره، ص 104.

[262]. جريس، الجزء الثاني، مرجع سبق ذكره، ص 184.

إن أرض إسرائيل اليهودية محاطة بالعالم الإسلامي من كل جهاتها، ولذلك، فإن التعرف المعمق على هذا العالم، يحمل أهمية قصوى من أجل تطور البلد اقتصاديًا وسياسيًا. من أجل هذه الغاية، لن تفي بالغرض أبحاث في الشعر الجاهلي أو أبحاث في المؤرخين العرب القدامى، بل ما سيفي بالغرض، هو البحث في العالم المسلم الحي. فالجغرافيا وعلم اللهجات والتجارة فيه تكتسب أهمية لا تثمن بالنسبة ليهود أرض إسرائيل، قياسًا بالفن وعلوم الآثار الإسلامية. باختصار، يجب بلورة معهد علوم الشرق على شاكلة مؤسّسات مشابهة في باريس وبرلين ولندن، بحيث ينكشف الطالب، هناك، على الشرق الحي وليس على الميت فقط.[263]

لقد كانت النزعة الاستشراقية للحركة الصهيونية وأجهزتها واضحة جدًا، فقد سعت، من خلال معهد الدراسات الشرقية، إلى دراسة "الشرق" والعرب بما يتلائم مع رؤيتها حول "الشرق" والعرب، وعملت على تجنيد المعهد وباحثيه لأجندة الحركة الصهيونية الاستعمارية الاستشراقية، التي تمثلت في بسط هيمنتها على الفلسطينيّين والعرب في الدول المجاورة.

يخبرنا عميت أن النزاع حول غايات المعهد خلال سنوات الأربعينيات اشتد "وبلغ ذروته بعد إقامة دولة إسرائيل". ويضيف:

وخلال بضع سنوات، ومن أواخر سنوات الأربعينيات وحتى منتصف سنوات الخمسينيات، لاءم المعهد نفسه للواقع الجديد. وقد لوحظ التغيير، من ضمن سائر الأمور، في الانصراف، تدريجيًا، عن نموذج المعهد العملي النقي، وفي بلورة نموذج جديد من المهنية الرسمية، التي سعت للدمج بين التدريس والبحث وبين تأهيل الموظفين والمستشرقين وأفراد قوى الأمن في مجالي العربية والإسلام. ومنذ ذلك الوقت فصاعدًا، كانت للمعهد غايتان مركزيتان: البحث في ثقافة وتاريخ

[263]. عميت، مرجع سبق ذكره، ص 104-105.

الشعوب المسلمة؛ ودعم احتياجات الدولة السياسية والأمنية، التي كانت بحاجة إلى جسم كبير وذكي ليراقب ما يحدث في المجتمعات العربية الكبيرة والأكثر تعقيدًا من القرى.[264]

أضيف إلى المعهد، في عام 1949، التدريس الممنهج لـ"مهنة الشرق الأوسط المعاصر"، فقد جاء في محضر جلسة اللجنة التنفيذية للجامعة، بتاريخ 9 تموز/يوليو 1949، ذكر برنامج تعاوني بين المعهد وبين وزارة الخارجية:

يذكر العميد أن معهد دراسات الشرق، كان مقصرًا في مجال التدريس حول الشرق الأوسط المعاصر. ومع قيام الدولة، اشتدت الحاجة إلى استكمال التدريس في المعهد المذكور بأقصى سرعة، وذلك بما يخص الحياة المعاشة الراهنة للعرب في الدول المجاورة، ونحن نريد تصويب هذا الأمر بدعم من وزارة الخارجية.[265]

حذر أوريئيل هد، من أبناء الجيل الأول لمدرسي معهد علوم الشرق، في محاضرة ألقاها في أيار/مايو 1952، من تبني معتقدات استشراقية:

منذ فترة طويلة ونحن نلاحظ في معسكرنا – وربما أن هذا تعاظم في السنوات الأخيرة، النزعة الخطيرة لتبني الإرث الأوروبي المستخف بجيراننا، وتبني موقف باطل من الناحية الأخلاقية وغبي من وجهة نظر مستقبلنا في هذه المنطقة. وأضاف هد: أن وظيفة قسم الدراسات شرق الأوسطية الجديد، تكمن في العثور على المسار الأمثل الممتد بين العمل العلمي والبحثي وبين تأهيل الموظفين والدبلوماسيّين والصحافيّين والمدرسين الذين يستعدون للعمل الفعلي في نطاق دول الشرق.[266]

---

[264]. المرجع السابق، ص 105.

[265]. المرجع السابق.

[266]. المرجع السابق، ص 105–106.

وبعد حوالي العقد على ذلك، أشارت الجامعة العبرية بأن الكثيرين من طلاب المعهد، "يعملون في وزارة الخارجية وفي ديوان رئيس الحكومة وفي وزارات حكومية ومكاتب عامة أخرى، كمختصين لشؤون الشرق الأوسط والشؤون العربية".[267]

لقد انتصرت الحركة الصهيونية في توجيه معهد الدراسات الشرقية، بما يخدم أهدافها الاستعمارية، ونجحت في تطويع المعهد بما يخدم غاياتها، وعلى الجانب الآخر، ساهم المعهد بشكل رئيسي في دعم احتياجات الحركة الصهيونية، وتلبية مطالبها الصهيونية الاستعمارية الاستشراقية. وكانت عملية تأسيس وإنشاء هذه المعاهد، جزءًا من الجدالات والخلافات حول طبيعة وماهية الجامعة العبرية، ودورها في المشروع الصهيوني الاستعماري الاستيطاني. إذ لعبت هذه المعاهد وأولوياتها دورًا حيويًا في الصراعات والتناقضات حول الجامعة وأهدافها بين أقطاب الحركة الصهيونية وبين رموز الجامعة العبرية أيضًا.

وقد كان حاييم وايزمان، الشخصية المركزية والحالة "الجامعة" لهذه الآراء المتعدّدة، إذ تلاقت عنده جميع الغايات والأهداف من جميع التيارات والشخصيات الصهيونية. وقد هيمنت آراؤه وغاياته للجامعة العبرية على شكلها وطبيعتها، ولعب دورًا محوريًا ومركزيًا وحيويًا في تأسيس وتشكيل الجامعة العبرية بشكلها الذي كانت عليه بداية على أقل تقدير.

4-2. الجامعة العبرية في فكر حاييم وايزمان

مثلت الجامعة العبرية/اليهودية، أهمية كبرى وأساسية، لدى حاييم وايزمان في منهجه ورسمه للمشروع الصهيوني في فلسطين. وكانت الجامعة العبرية، عند تأسيسها عام 1925، وخلال فترة الاستيطان قبل تأسيس "الدولة العبرية" وبعدها، وحتى في الوقت الحالي، ثمرة أفكار ورؤية وايزمان للجامعة من حيث طبيعتها وشكلها، ودورها وغاياتها في المشروع الصهيوني الاستعماري الاستيطاني. ونستدل على ذلك، من

---

[267]. المرجع السابق.

خلال خطاباته العديدة في المؤتمرات والاجتماعات الصهيونية، وفي خطته لإنشاء "مدرسة يهودية عليا"، وفي كتاباته ورسائله.

وكانت شخصية وايزمان الحداثوية، العلمية والسياسية، الذي كرس نفسه لخدمة المشروع الصهيوني الاستعماري، شخصية يمكن استحضارها وربطها بما طرحه دوركهايم بشأن مسألة تقسيم العمل في المجتمعات وأهميتها للنظام الاجتماعي ولتأسيس المجتمعات الحديثة.

تشكّل مسألة تقسيم العمل أحد أهم القواعد الأساسية للنظام الاجتماعي. بخصوص شخصية كشخصية وايزمان، يقول دوركهايم:

> لكي نناضل ضد الطبيعة، نحتاج إلى أن نملك مزيدًا من القدرات المفعمة بالحيوية، وأن ننشر مزيدًا من الطاقات المنتجة، إننا نرغب في أن تكون نشاطاتنا مركزة بدلًا من أن تكون مبعثرة على امتداد حيز واسع. مكتسبة بالتكثيف ما فقدته بالاتساع، ونحن ننظر بحذر إلى أولئك الرجال الموهوبين، المتقلبين الذين يستسلمون لكل أشكال العمل، الرافضين لاختيار دور خاص، ولتكريس أنفسهم له. ونشعر بالفتور تجاه أولئك الرجال الذين يكون شاغلهم هو تنظيم قدراتهم وصقلها، ولكن من دون وضعها في استخدام خاص، أو التضحية بأي منها، وكأن على كل منهم أن يكون مكتفيًا بذاته، مشكلاً عالمه المستقل، ويبدو لنا أن حالة كهذه من الانعزال وعدم الحسم، هي حالة لا اجتماعية نوعًا ما. إننا ندرك الكمال في الرجل الكفء، الرجل الذي يسعى لا لأن يكون كاملاً، ولكن لأن يكون منتجًا، الذي له عمل جيد محدّد يكرس نفسه له، وينفذ مهمته، حارثًا حقله الوحيد.[268]

وقد تمثلت غايات وايزمان من بناء الجامعة العبرية في عدد من الأهداف، وتلخصت في: مكان يخدم الاحتياجات العملية لبناء "الوطن القومي"؛ وأن تكون ملاذًا للمثقفين اليهود الذين تم حظر دخولهم إلى

---

[268]. دوركهايم، مرجع سبق ذكره، ص 64.

جامعات أوروبا الشرقية؛ ومكان لتدريب العلماء على بناء "الوطن القومي"؛ ورأى في الجامعة، مستوى يمكن لليهود من خلاله، أن يصبحوا قوة سياسية حقيقية في "الشرق الأوسط"؛ إضافة إلى رؤية وايزمان بشأن "الاحتلال العلمي" بوصفه بديلاً حقيقيًا للدراسة التقليدية للتشريع الديني اليهودي، التوراتي والتلمودي، الذي يجسد تفرّد "إسرائيل" برأيه وبرأي العديد من القيادات الصهيونية العلمانية والمتدينة على حد سواء. تحدث وايزمان في خطابه الشهير، في احتفالات تأسيس الجامعة العبرية، عام 1925، عن الجامعة المستقبلية بوصفها "معبدًا متجدّدًا" يخلف الهيكل الأول والثاني في العصور القديمة.[269] وتتضح تلك الغايات والأهداف، في خطاباته وأقواله وكتاباته وأعماله، منذ أن بدأ بالعمل على إقامة "مدرسة يهودية عليا"، مرورًا بتأسيسها، وحتى وفاته عام 1952.

فقد حدّد وايزمان غاية الجامعة في كلمته ضمن أعمال المؤتمر الصهيوني الخامس (عام 1902) بوصفها ملاذًا لليهود الذين منعوا من دخول جامعات أوروبا:

> حضرات المؤتمرين، في أعقاب كلمات بوبر، لم يبق عليّ إلا أن أضع اقتراحًا واحدًا ووحيد يتعلق بتأسيس مدرسة تعليم يهودية عليا. وأنا افترض أنه، قبل سنة أو سنتين، كانت تبدو مسألة كهذه على أنها كماليات في أعين الكثيرين، إن لم تكن أمرًا زائد عن اللزوم. ولكن، اختلف الزمن وأصبحت المسألة، حاليًا، تحاكي اللحظة، وكذلك، فإن القاطنين في روسيا يشعرون جدًا بنقصان مدارس التعليم العليا المتاحة أمام الشباب اليهودي. إن وضع الشباب اليهودي، آخذ بالسوء من يوم إلى آخر. ويصب تدفق الشباب الصغير من روسيا ورومانيا، سنة بعد سنة، في جامعات غرب أوروبا، وحاليًا حتى هذه الجامعات، تغلق أبوابها، أكثر فأكثر، أمام التواقين للعلم. ومن هنا،

---

[269]. يُنظر: Funkenstein، مرجع سبق ذكره، ص 343. بهذا الخصوص، يُنظر رسالة وايزمان إلى زوجته فيرا عندما كانت في مدينة كان، بتاريخ 13 آذار/ مارس 1913، حيث يخبرها إنه ينوي استخدام تعبير "الهيكل الثالث" بغية تسويق فكرة إنشاء الجامعة بين الجاليات اليهودية. لقد توقفت عند هذه الرسالة ضمن البند الحالي لاحقًا.

فإن الحاجة إلى مدرسة تعليم يهودية عليا، دون أدنى شك، تكبر وتصبح ملحة يومًا بعد يوم. علينا نحن الصهيونيون أن نتدخّل هنا أيضًا.[270]

كرّر هذه الغاية من الجامعة العبرية في خطابه أمام المؤتمر الصهيوني الحادي عشر (عام 1913):

لقد بدأت تنتشر، قبل عشر سنوات تقريبًا من ذلك ظاهرة حرمان الطلاب اليهود القادمين من روسيا من استكمال تعليمهم في المعاهد والمدارس العليا في دول وسط أوروبا. ومنذ ذلك الوقت، بدأ الوضع يتدهور، أكثر فأكثر، سنة بعد سنة، حيث أصبح يقف الطلبة اليهود، في كل مكان تقريبًا، أمام أبواب موصدة. وفي ظل هذه الحقيقة، وصل حال رواد المدارس العليا، في أوروبا الشرقية، بالانهيار. وكان كل مراقب يتتبع تطور الأمور، مؤخرًا، قد وصل إلى الاستنتاج التالي: إن غالبية الشعب اليهودي العظمى، والتي لم تبن لنفسها، حتى الآن، قوة روحانية بدرجة كافية، سيخرج في المستقبل من داخله قوة روحانية بدرجة غاضبة جدًا، وسيكون عاجزًا عن إقامة الانتلجسيا (طبقة المثقفين) المطلوبة لقيام الطاقة القومية.

ويضيف:

إن النتائج الخطيرة لهذا الوضع والتي تظهر لليهودي – الذي يعيش في ظل شروط قاهرة وضائقة اقتصادية مهددة، وأحيانًا في ظل يأس وظلمة حالكة – لا يمكن وصفها. إن الضائقة الروحانية للشعب اليهودي تعتبر تراجيديا لا مثيل لها. تتمثّل إحدى النتائج الصعبة في رؤية تيار الإبادة الجماعية لشبابنا في روسيا. هذا الشباب، حظي بحق دخول مؤسّسات التعليم العليا مقابل خيانته للأمة اليهودية والكذب العلني. لكن، أبناءهم وأحفادهم لأولئك الذين ضحوا بأنفسهم على مذبح الدين اليهودي، وقبلوا على أنفسهم الظروف الصعبة بسبب إيمانهم واحترامهم لقوميتهم، لم يعودوا يقفون أمام ضغط الشتات.[271]

---

[270]. حاييم وايزمان، "الحاجة لبناء مدرسة تعليم يهودية عليا، من خطاب وايزمان في المؤتمر الصهيوني الخامس، في بازل، سويسرا، 1902"، في: **حاييم وايزمان حول الجامعة العبرية**، مرجع سبق ذكره، ص 5. [بالعبرية]

[271]. وايزمان، "حول فكرة الجامعة"، مرجع سبق ذكره، ص 11–12.

وفي إحدى لقاءاته مع البارون روتشيلد، في سنة 1914 لإقناعه بشأن ضرورة الاستثمار والتبرّع السخي لإقامة الجامعة، قال له وايزمان، إنه ليس لديه الحق بأن يحرم الشباب اليهودي، الذي يتوق للجامعة من هذا الأمل: إذا فعل ذلك، سيرتد الآلاف إلى المسيحية بسبب اليأس.[272]

إلا أن وايزمان قد أكدّ بصورة بالغة كذلك، في معرض خطابيه في المؤتمرين الصهيونيّين الخامس عشر والحادي عشر، وفي لقائه مع البارون روتشيلد، على "الطاقة القومية والقوة الروحانية للشعب اليهودي" التي ستظهر وتنطلق من رحم المعاناة التي يعيشها اليهود في "الشتات والمنفى" حين تقام الجامعة العبرية في القدس. ورأى في هذه الجامعة العقبة الرئيسة أمام اليهود من الارتداد عن دينهم و"قوميتهم" وستكون بمثابة الحصن الذي سيحفظ دينهم ويصون "قوميتهم".

كان وايزمان، في تحضيره لخطابه في المؤتمر الصهيوني الحادي عشر مدركًا لأهمية هذا الخطاب، وكان يبحث عن ما يمكن أن يُوحد الصهيونيّين، ويجعل خطابه فعالاً وذو تأثير، فكانت الجامعة العبرية هي المدماك الذي ارتكز عليه، إذ وصفها واعتبرها بأنها "الهيكل والمعبد الثالث" لتسويق الفكرة الصهيونية ككل وأهمية فكرة إنشاء الجامعة خصوصًا. وكان هذا الإدراك حاضرًا بشدة في رسائله إلى زوجته فيرا. كتب هذه الرسالة حين كانت مقيمة في مدينة كان، بتاريخ 13 آذار/مارس 1913، وجاء فيها ما يلي:

> حتى أنا ينتابني إحساس بأنني في خضم معركة كبرى، كل عصب من أعصابي متوترًا، وكل خلية وكل إحساس من أحاسيسي موجه، وقد استيقظ بداخلي إحساس بالمسؤولية الكبرى تجاه الخطاب الذي عليّ أن أضعه ... وهذا الشعار الوحيد حسب رأيي الذي من شأنه أن يحظى بتعاطف: الجامعة العبرية – الهيكل الثالث (الجامعة الصهيونية على جبل صهيون).[273]

وكانت المعاهد الرئيسة والكليات الأساس، التي رأى وايزمان أنه يجب البدء بها، هي: كلية طب والعلوم الطبية، وكلية فلسفة، ومعاهد للدراسات الاستشراقية والدراسات اليهودية، وكلية حقوق، بالإضافة إلى العلوم

---

[272]. راينهرتس، "وضع أساسات الجامعة"، مرجع سبق ذكره، ص 143.

[273]. المرجع السابق، ص 126.

والدراسات الزراعية، وعلم الآثار. وقد أوضح مهمات كل كلية ومعهد، والأسباب التي دفعته لاختيار هذه الكليات بعينها، بغية بناء "الوطن القومي اليهودي" وتقدمه.

صاغ وايزمان المسودة الأولى لخطة الجامعة، في آذار/مارس 1913. واقترح في رسالة إلى مناحيم أوسيشكين، بتاريخ 25 آذار/مارس 1913، أن تشمل الجامعة، في البداية، مدرسة للطب وكلية للفلسفة، والتي من شأنها أن تضم قسم دراسات الشرق وقسم للدراسات اليهودية (هبرايكا Hebraica)، وكلية للحقوق تكون تابعة للعلوم السياسية. وعاد وعرض خطته هذه، بشكل مفصل أكثر، أمام ماغنس، والتي كانت مشاركته بالخطة ضرورية حسب وايزمان. كان ماغنس هو حلقة الوصل الرئيسة بين وايزمان وبين النخبة العليا اليهودية في أمريكا، وكان ايزمان قد تلقى استشاراته قبل أن يخطو أي خطوة في خطته. إن تأثير ماغنس على وايزمان معروف،[274] ويمكن تلمسه من رسالة وايزمان إلى اللجنة التنفيذية المصغرة للحركة الصهيونية، بتاريخ 12 حزيران/يونيو 1913: "من المفهوم أن علينا أن نؤكد أن الهدف النهائي هو الجامعة، ولكن سنبدأ بالمعاهد، الأسهل من ناحية التطبيق والإنجاز، ربما مثل معهد الآثار وكلية الحقوق، وإذا أمكن مدرسة متواضعة للطب كذلك".[275]

ووصف خطة الجامعة، في طور البداية، في مقالته "حول الجامعة العبرية" (1917–1918): على النحو التالي:

أولاً: كلية دراسات الطب مع كل أقسامها ومؤسّساتها المرتبطة بها، المختبرات والعيادات. وبعيدًا عن المهمات الاعتيادية المنوطة بمركز تعليمي كهذا، فإنه يمكن أن يكون أيضًا، مصدرًا وعاملاً هامًا، في تحسين الوضع الصحي للبلاد وسكانها، وأن يساعد جدًا في الحرب ضد الأمراض الخاصة السائدة في هذه البلاد؛ ثانيًا: قسم لدراسات الفلسفة، أو بعبارات أخرى، الدراسات اليهودية (كلية الآداب). يجب أن يكون هناك مهمة مزدوجة لمركز التعليم هذا، وستكون إحدى مهماته،

---

[274]. مع وجوب الإشارة إلى اختلافات وايزمان مع ماغنس، المشار إليها في الفصل القادم.

[275]. راينهرتس، "وضع أساسات الجامعة"، مرجع سبق ذكره، ص 127–128.

توفير تعليم عام وواسع في حقل الأدب وعلوم اللغات وعلمي الاجتماع والاقتصاد. أما المهمة الثانية فتتمثّل في دراسة اليهودية، وهذا يشمل، بطبيعة الحال، دراسات وأبحاث في تاريخ العبرية، في اللغة، وفي الأدب القديم والحديث؛ ومنذ بداية تأسيس الجامعة العبرية، يجب أن نولي مكانة هامة لتأسيس محطة تجارب زراعية، محطة تجارب كهذه من شأنها أن تتوسّع وتتحوّل إلى قسم خاص بالدراسات الزراعية.[276]

وكذلك، أشار وايزمان في خطابه أثناء وضع حجر الأساس (عام 1918) إلى طبيعية الأقسام العلمية التي ستركز عليها الجامعة العبرية، وبشكل خاص، أوضح أهمية علم الآثار "للوطن القومي اليهودي"، الذي يشكّل بُعدًا أو مجالاً حيويًا للفكر الصهيوني:

يوجد فروع علمية تتناسب بشكل خاص مع جامعتنا العبرية، بعيدًا عن الأقسام والمعاهد الثابتة في أي جامعة حديثة: أبحاث في علم الآثار التي ستلقي الضوء على الكثير من ألغاز مصر واليونان، وستعود علينا بثمار كثيرة التي سنجنيها في بلاد الأولين. ستولي جامعتنا مكانًا هامًا لهذا الحقل العلمي.[277]

إن تركيز وايزمان على العلوم الزراعية والعلوم الطبية، إنما يعزّز، فكرة أن المشروع الصهيوني، في اعتماده على العلوم، قد انطلق من أهمية العلوم التقنية والزراعية في بناء المجتمعات، كما كانت ممثلةً أيضًا في كتاب "دولة اليهود" لهيرتسل، وهي من أهم الجوانب الهامة للاستيطان: تأمين البيئة الصحية والبعد الاقتصادي الغذائي للمستوطنين. كذلك، فقد أولى وايزمان أهمية بالغة لعلم الآثار والدراسات الأثرية والتاريخية والدراسات اليهودية، وذلك لتعزيز أسطورة "الحق التاريخي" على فلسطين من جهة وتعزيز نهضة اليهودية بوصفها ثقافة تاريخية جامعة لجميع اليهود أينما كانوا وليست ثقافة دينية بالضرورة. وهذا يعزّز

---

[276]. حاييم وايزمان، "حول الجامعة العبرية، القدس (1918/1917)"، في: **حاييم وايزمان حول الجامعة العبرية**، مرجع سبق ذكره، ص 23–24. [بالعبرية]

[277]. وايزمان، "أثناء وضع حجر الأساس"، مرجع سبق ذكره، ص 28.

كذلك أهمية ثالوث علم الوراثة والدراسات اليهودية وعلم الآثار في الفكر الصهيوني الذي يمثله وايزمان، والذي كرسه من خلال عمله في إنشاء هذه الجامعة، وعمله الآخر، السياسي، في الحركة الصهيونية، والذي سوف يتعزّز أكثر فأكثر في الحركة الصهيونية لاحقًا.

كان التركيز على أهمية الزراعة، في معرض المشروع الصهيوني، لدى وايزمان، ولدى العديد من الصهيونيّين والحركة الصهيونية، من الرؤية التي تجسد أن الزراعة تعمل على ثلاثة أمور مركزية، الأول تحديث المجتمع واعتماده على نفسه غذائيًا؛ والثاني تعزيز الجانب التوراتي بوصفها "أرض الحليب والعسل"؛ والثالث تعزيز علاقة اليهود بالأرض من خلال العمل بها ومعرفة نباتاتها وجغرافيتها وفلاحتها. مع العلم أنه قد تم افتتاح ثلاث كليات في الجامعة العبرية، في بداية تأسيسها، الدراسات اليهودية وعلم الأحياء الدقيقة والكيمياء، وليست بينها كلية للزراعة، إذ لاحقًا، بعد تأسيس الجامعة العبرية بسنوات، تم افتتاح كلية زراعة، وذلك بسبب أنه كانت توجد مدارس زراعية ومراكز بحث متخصّصة في المجال الزراعي قبل إنشاء الجامعة العبرية. على سبيل المثال، أقامت المنظمة اليهودية الفرنسية "جميع بني إسرائيل أخوة" (Alliance Israélite Universelle) المدرسة الزراعية اليهودية العليا الأولى "مكفيه يسرائيل" في سنة 1870 في الجهة الشرقية لمدينة يافا على أرض واسعة تبلغ 3,000 دونم (ولا تزال المدرسة قائمة إلى يومنا هذا وتعرّف نفسها على أنها مدرسة للعلوم الطبيعية والتكنولوجيا الحيوية الخاصة بالقضايا الزراعية).[278] كذلك، أنشأت "مهاجرة يهودية" من سويسرا (حنة ميزل شوحاط) في سنة 1911 مدرسة لتأهيل النساء للعمل الزراعي في إحدى المستوطنات اليهودية المحيطة ببحيرة طبريا إلاّ أن السلطات العثمانية أغلقتها عند اشتعال الحرب العالمية الأولى ولم تفتح أبوابها بعدها. وفي سنة 1922 أنشأت مدرسة "فيتسو غان فنوف" على أرض تبلغ 63 دونمًا لتأهيل النساء للعمل الزراعي على أراضي قرية ملبس قضاء يافا (حاليًا مدينة

[278]. الصفحة الإلكترونية الرسمية للمدرسة، يُنظر: http://www.mikveisrael.org.il.

بتح تكفا).[279] إلاّ أن كلية الزراعة التي افتتحتها الجامعة العبرية تميّزت بكونها تربط الحقل الزراعي ببقية العلوم الطبيعية ومجال الصناعة وغيرها من الكليات والمعاهد الأخرى.

تحقّق حلم وايزمان في عام 1925 من خلال الإعلان عن إقامة الجامعة العبرية في القدس، ألقى وايزمان خطاب في حفل افتتاحها.[280] ومما جاء فيه:

> قد ابتدأنا ببعض مؤسّسات للأبحاث العالية والعلوم التي تصلح لها فلسطين بوجه خاص. فالبناء الذي نقف أمامه، الآن، هو بناء حقير، لم يتسع لغير ثلاثة فروع؛ وهي الكيمياء وعلم الميكروبات والأبحاث اليهودية والشرقية، وقبل الانتهاء من هذه الحفلات، سنضع حجر أساس فرع الطبيعيات والرياضيات باسم آينشتاين.[281]

أكد وايزمان على الدوام على أمر أساسي يتلخّص بأن تكون الجامعة في القدس مركزًا للدراسات اليهودية، وذلك ضمن إطار أوسع هو العلوم الإنسانية: "هناك قيمة كبرى روحانية وأخلاقية وحتى سياسية، في إقامة مدرسة عليا عبرية لتعليم اليهود، لأجلنا، ولأجل الأمة أجمعين"، (من أقوال وايزمان عام 1936). وكانت "الأهمية القومية" بالغة الأهمية له وتتجسّد في أن تكون اللغة العبرية هي لغة التدريس المعتمدة في الجامعة، إلى جانب تطوير هذه اللغة ودفعها إلى الأمام بما يتناسب وأهداف الجامعة.[282]

يبدو واضحًا، من خطابات وايزمان، ارتباط العلوم مع الصهيونية في فكره ووعيه. كما يبدو واضحًا، كذلك، ارتباط العلوم والإنتاج المعرفي للجامعة مع الاستعمار الصهيوني، من خلال الأقسام الأولى التي افتتحتها الجامعة، أي الأبحاث الشرقية، والأبحاث اليهودية، فهي، أيضًا، بالإضافة إلى تعزيز "الفكر القومي اليهودي"، تعزز هذه الأبحاث والأقسام وتكرس فكرة "الشعب اليهودي" و"القومية اليهودية"، وأحقيتها في

---

[279]. موشي سميلانسكي، **فصول في تاريخ الاستيطان – الجزء الخامس** (تل أبيب: دفير، 1959). [بالعبرية]

[280]. الصفحة الإلكترونية الخاصة لحاييم وايزمان التي تظهر في "ديوان رئيس الوزراء في إسرائيل"، مرجع سبق ذكره.

[281]. "الخطب التاريخية في افتتاح الجامعة العبرية: خطاب الدكتور وايزمان"، **فلسطين** (صحيفة)، **السنة التاسعة**، عدد 767–10، 7 نيسان 1925، ص 3.

[282]. برشاي، مرجع سبق ذكره، ص 110.

إقامة "وطن قومي" في فلسطين، من منطلق ديني وقومي وعلمي، حسب الفكر الصهيوني وتفكير وايزمان نفسه.

لقد أشار وايزمان إلى أهمية الجامعة في المشروع السياسي، في العديد من خطاباته، فقد ركز على أهمية دورها في تعزيز ومد جسور العلاقات مع العرب والأتراك، بما يخدم المشروع الصهيوني، وتأهيل كوادر تساعد، العرب وتركيا، وكذلك، إضافة إلى مساهمتها في عملية بناء "الوطن القومي اليهودي". وإذ ما استندنا إلى نظرية دوركهايم شأن تقسيم العمل، ينتج بأن كل ذلك يساهم بشكل أساس في عملية تشكيل وتماسك المجتمع الاستيطاني. وكما سيتوضّح أن ذلك يساهم كذلك في مكانة وإضفاء الشرعية على المشروع الصهيوني برمّته. فقد أوضح وايزمان، ذلك، في عرضه لبنود خطة إقامة الجامعة العبرية، في معرض خطابه أمام المؤتمر الصهيوني الحادي عشر (8 أيلول/سبتمبر 1913) في فينا:

> ما هي الفرص التي سيجدها خريجو الجامعة أمامهم؟ تركيا والشرق كله ميدان عمل واسع. سوف تكبر قدرة هذه البلاد على الاستيعاب مع تطور هذه البلدان، ومع موائمة التعليم لمتطلبات الشرق والسوق. سيكون خريجي جامعتنا خيرة روادنا ورائدينا من الناحية المادية والأخلاقية، وسنزوّد تركيا بالأشخاص المؤهلين الذين تحتاجهم. الجامعة التي ستقبل طلابًا من السكان الأتراك والعرب ستساعد على وضع أساسات لعلاقات أفضل مع جيراننا، وهذا سيؤثر على الأهمية السياسية الكبرى للجامعة.[283]

ركز وايزمان على أهمية العلم والتعلم وتطوير العلم من الناحية الأكاديمية ليتسنّى للجامعة حجز مكانة على الساحة العالمية ومنافسة الجامعات الأوروبية. إلى جانب الاهتمام الكبير بتعليم اليهود، نظريًا وعمليًا، فقد شدّد كذلك على الجمع ما بين العمل والعلم، إذ إنه كان يسعى لأن تكون الجامعة العبرية لكافة الشرائح والطبقات، ويتعلم فيها الجميع، العامل والطالب، في ذات الوقت. وكانت هذه الغاية واضحة، في خطابه في

---

[283]. راينهرتس، "وضع أساسات الجامعة"، مرجع سبق ذكره، ص 133–134.

المؤتمر الصهيوني الحادي عشر، وكذلك في خطابه أثناء وضع حجر الأساس وفي خطاب افتتاح الجامعة العبرية عام 1925.

جاء في معرض خطابه ضمن أعمال المؤتمر الصهيوني الحادي عشر (1913):

> ستكون مكتبتنا القومية حجر زاوية هام في بناء مدرسة التعليم العليا، حتى في وقت المستقبل حين ستتطور فيه الجامعة إلى مؤسّسة تعليمية حقيقية؛ فإنه يتوجب عليها أن تملأ مكانة هامة في البلاد. وهي يجب أن تكون مثالاً للمدارس العليا الحداثية في أوروبا، مؤسّسة تقدم أفضل الدروس والتعليم.[284]

وفي خطابه، أثناء وضع حجر الأساس، يقول:

> دعوني أشير إلى إنجاز هام لجامعتنا هذه، تتمتّع الجامعة العبرية بالمستوى العلمي الأعلى. ولكن يجب، في نفس الوقت، أن يكون الدخول إليها بمتناول يد كل شخص من جميع الطبقات. يجب على العامل اليهودي والمزارع اليهودي أن يجدوا هنا الطريق لاستكمال وإتمام تعليمهم في أوقات فراغهم. إن أبواب المكتبات وغرف المحاضرات ومختبراتنا يجب أن تُفتح أمام الجميع، وهكذا، فإن الجامعة سوف تلقي بتأثيرها الأفضل على الأمة بمجموعها. إن نواة المكتبة (لاحقًا المكتبة الوطنية)، أصبحت جاهزة، وعمليات جمع أفضل الكتب في روسيا وباقي الدول جارية على قدم وساق. نحن ننوي إقامة مكتبة جامعية، ونشر كتب جامعية خلال وقت قصير بعد الحرب. إن التجهيزات التي يجب أن نقوم بها كثيرة ومتنوعة. جزء منها جاري، وجزء آخر، مثل البناء نفسه، يجب تأجيله، بكل تأكيد، حتى انتهاء الحرب وحلول السلام.[285]

---

[284]. وايزمان، "حول فكرة الجامعة"، مرجع سبق ذكره، ص 17.

[285]. حاييم وايزمن، "خطاب وضع حجر الأساس للجامعة العبرية، 24 تموز 1918"، في: **حاييم وايزمن – الرئيس الأول – مختارات من خطابات، أرشيف الدولة، القدس**، ص 146–148، في: الصفحة الالكترونية الخاصة لحاييم وايزمن التي تظهر في "ديوان رئيس الوزراء في إسرائيل"، [بالعبرية]، يُنظر:
http://www.gdoley-hauma.org.il/Web/He/Presidents/WeizmannH/Speeches/2839.aspx

ومن المثير الإشارة إلى أن "المكتبة الوطنية الإسرائيلية" كان اسمها السابق بعد افتتاح الجامعة العبرية: "دار الكتب للأمة اليهودية وللجامعة العبرية"، كما يتضح من ترويسة الرسالة المعروضة:

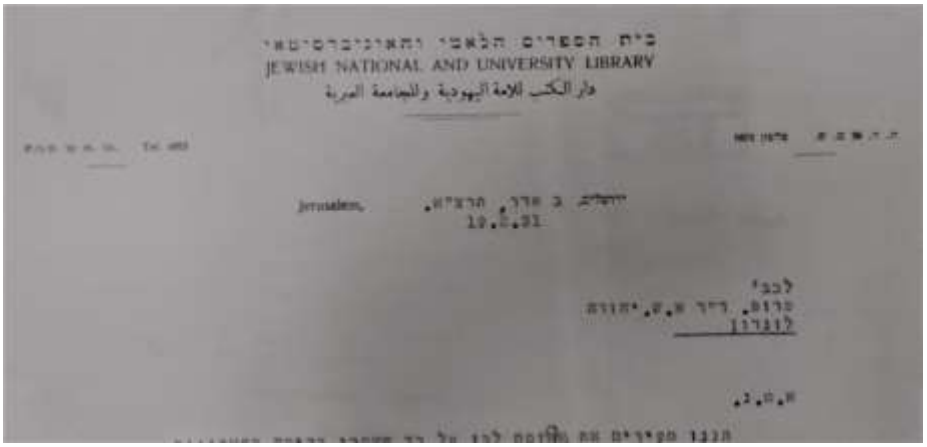
בית הספרים הלאומי והאוניברסיטאי
JEWISH NATIONAL AND UNIVERSITY LIBRARY
دار الكتب للأمة اليهودية وللجامعة العبرية

المصدر: رسالة متوفرة في أرشيف المكتبة الوطنية الإسرائيلية لا تحمل أي رقم أرشيفي معين حصلت عليها من أمينة مجموعة الإسلام والشرق الأوسط في المكتبة الوطنية الإسرائيلية السيدة راحيل يوكليس.

وجاء في معرض خطابه في حفل افتتاح الجامعة (1925) وفق ترجمة صحيفة "فلسطين" ما يلي:

> قد قدمت المكتبة القومية اليهودية لهذه الأقسام المختلفة 90 ألف مجلد مع مجموعة من الآثار الشرقية، وعما قليل، سنشيد بناء لهذه المكتبة. نعم إن البناء سيكون حقيرًا إذا قابلناه بدور الكتب الفخمة وأبراجها ومعارض الفنون وما تحتوي عليه من التحف في الجامعات الأخرى القديمة في أوروبا وأمريكا، ولكننا نعتقد أن هذه الجامعة، ستبلغ مع الوقت، في داخلها ومظهرها الخارجي، الشأن الذي يستحقه موقعها العجيب في جماله وتقاليده ... إنه لا تزال توجد شقة (مشقة) طويلة أمام الجامعة لتحقّق آمال مؤسّسيها وتضارع جامعات الغرب، فيجب عليها أن تكتسب حسن السمعة وتبني شهرتها بما تضيفه إلى العلم والمعارف المشتركة.[286]

[286]. "الخطب التاريخية ... وايزمان"، **فلسطين** (صحيفة)، مرجع سبق ذكره، ص 3.

نستدل على أهمية الجامعة، في فكر وايزمان، من خلال عدد من الخطابات، ونستطيع أن نستدل من أين أتت فكرة إنشاء "مؤسّسة تعليمية يهودية عليا"، إذ كان منوط بالجامعة أن تكون مكانًا لمد الجذور والتعبير عن ثقافة اليهود، وتشكّل نقطة جامعة لتيار "الصهيونية الجامعة" الذي وضعه وايزمان، وعامل مساهم أساس في الاستيطان، إذ دون مؤسّسات "سيادية" لن يكون هناك استيطان فعلي على الأرض. فقد أطلق وايزمان، في معرض خطابه ضمن أعمال المؤتمر الصهيوني الثامن (لاهاي، 19–21 آب/أغسطس 1907) شعاره المشهور حول "الصهيونية الجامعة" (Synthetic Zionism) بوصفه تيارًا جامعًا لكل التيارات الصهيونية: السياسية والعملية والثقافية والروحانية، والذي أصبح، منذ ذلك الحين، شعار أكثرية الصهيونيّين:

> إن نشاطنا الدبلوماسي مهم، ولكن الانجازات الفعلية في فلسطين ستزيده أهمية. وإذا استطعنا الدمج بين المدرستين الصهيونيتين (الديبلوماسية–السياسية والعملية) نكون قد اجتزنا العقبة الرئيسة، لأنه حتى لو حصل الصهيونيون على امتياز للاستيطان في فلسطين، فلن يكون لهذا الامتياز أي قيمة فعلية إذا لم يرتكز على أرض فلسطين نفسها، وعلى سكان يهود، تمتد جذورهم عميقًا في تلك الأرض، وعلى مؤسّسات ينشئها أولئك السكان ولمصلحتهم.[287]

وأشار في خطابه، عام 1914، أمام عدد من الطلبة اليهود في ألمانيا، إلى أنه "نحتاج، من أجل التحقيق الناجح لفكرة الجامعة العبرية إلى ثورة في الرؤية الصهيونية للعالم".[288] وكذلك، أوضح في مقالته "حول الجامعة العبرية" (1918/1917)، إلى أن فكرة تأسيس جامعة عبرية في القدس:

> فورًا ودون تأخير، قد ترك انطباع لدى أوساط معروفة، أن هذا يعتبر محاولة لاختزال كل الصهيونية في المجال الثقافي، وتحويل الصهيونية السياسية إلى صهيونية روحانية، بالمعنى الضيق للكلمة، هذه فكرة زائفة. حضرتنا وأصدقائي المقربين، ننتمي إلى قاعدة "الصهيونية

---

[287]. جريس، الجزء الأول، مرجع سبق ذكره، ص 208–209 (مع إدخال بعض التغييرات الطفيفة على الترجمة).

[288]. حاييم وايزمان، "خطاب إلى الطلبة اليهود: من خطاب في الاجتماع الثالث للطلبة اليهود (هاحفير) في مدينة هايدلبرغ – ألمانيا، 6 حزيران 1914"، في: **حاييم وايزمان حول الجامعة العبرية**، مرجع سبق ذكره، ص 19. [بالعبرية]

الجامعة"، والتي توحد المهمات الرئيسة: السياسية؛ والاستيطانية؛ والثقافية. وعليه فإننا نعتقد، وبشكل خاص، أن تأسيس الجامعة هو أمر لا يجب تأجيله.[289]

إن إقامة الجامعة في القدس، والتي كانت غايتها، من بين جملة الغايات التي ذكرناها أعلاه، هو تركيز الطاقات الفكرية المكنوزة داخل "الشعب اليهودي"، كانت بالنسبة لوايزمان، بمثابة انضمام "الشعب اليهودي" لشعوب العالم في العمل في حقل الثقافة والعلم، وبمثابة بطاقة دخول إلى عائلة الشعوب من خلال هذه الطريق التي بدت ممكنة له، أي: "تطبيع الشعب اليهودي" – تحويله إلى شعب كبقية الشعوب الأخرى.[290] لقد مثلت الجامعة العبرية بالنسبة لوايزمان الباب الذي من خلاله يستطيع "الشعب اليهودي" و"الأمة اليهودية" دخول العالم، ومن خلال ربطها بالصهيونية الجامعة التي نادى بها وأسسها، يستطيع "الشعب اليهودي" و"الأمة اليهودية"، تحقيق أمانيهم في إقامة "وطن قومي" لهم، في فلسطين، بشكل حقيقي وعملي.

في المحصلة، استنادًا إلى جميع ما سبق، ومن خلال جميع خطابات وكتابات وايزمان، نستطيع أن نوجز ونقول بخصوص فكرة وايزمان لإنشاء الجامعة العبرية إنه حمل هدفين رئيسين يشوبهما بعض التوتّر. الهدف الأول، مساهمة الجامعة بشكل رئيس في البناء العملي على الأرض وتحويل اليهودي الجديد إلى عامل جدي وكفؤ لاستعمار الأرض وبناء "الوطن القومي"؛ والثاني، السعي إلى تحويل الجامعة العبرية صرحًا علميًا أكاديميًا وتطويرها لمنافسة الجامعات الأوروبية لتصبح مؤسّسة أكاديمية بامتياز.

وكانت التحديات الكبيرة حاضرة خلال جميع مراحل تأسيس الجامعة العبرية، وأبرز هذه التحديات، تمحورت في النقاشات والجدالات حول طبيعة الجامعة وأهدافها ودورها وموقعها في المشروع الصهيوني. فقد كانت تمثل الجامعة أهمية كبرى لدى الحركة الصهيونية، بمختلف تياراتها وقادتها ورموزها، ولدى مشروعها الاستعماري الذي من ناحية، كان يتطلب مؤسّسة – من بين جملة المؤسّسات الأخرى – معرفية تعليمية

---

[289]. وايزمان، "حول الجامعة العبرية"، مرجع سبق ذكره، ص 21.

[290]. برشاي، مرجع سبق ذكره، ص 110.

متماهية مع هذا المشروع وتخدمه، ومن ناحية أخرى، الاستناد إلى العلوم والإنتاجات المعرفية المجردة، مما جعل التناقضات حول الجامعة، تأخذ حيزًا مهمًا في عملية تأسيسها.

4-3. جدالات وخلافات داخل الحركة الصهيونية حول الجامعة

مرّت عملية إنشاء وتأسيس الجامعة العبرية/اليهودية في القدس بعدة مراحل جدلية وفكرية ضمن الحركة الصهيونية. كانت هذه المراحل نتاج عملية طويلة ومعقدة من النقاشات والخلافات بين أقطاب الحركة الصهيونية وجمهورها وفيما بينهم من جهة، وبين مؤسّسي ورموز الجامعة من جهة أخرى.

تمحورت الخلافات والجدالات والآراء حول العديد من القضايا، منها طبيعة الجامعة، وأهدافها وغاياتها وأدوارها، واستقلاليتها، وموقعها ضمن المشروع الصهيوني الاستعماري الاستيطاني والمشروع الثقافي، وضمن "المشروع القومي اليهودي"؛ بالإضافة إلى اختلافات إدارية وتقنية، تخص عملية كيفية إدارة الجامعة، وطبيعة وتركيبة وأدوار المجالس، الإدارية والأكاديمية، ومجلس الأمناء المسؤولة الفعلية عن الجامعة على كافة المستويات.

فقد رافقت إنشاء الجامعة العبرية/اليهودية في القدس عدة مستويات من التوترات والجدالات، تمثّل الأول في دور الجامعة ومكانتها ضمن المشروع الاستعماري الاستيطاني الصهيوني؛ وتمثّل المستوى الثاني في طبيعة الجامعة: جامعة تقليدية لتدريس الطلاب، أم مجموعة من مراكز الأبحاث التي تركز على البحث وإنتاج المعرفة؛ أما المستوى الثالث، فتمثل في طبيعية وماهية الكليات والمعاهد التي يجب أن تحتويها الجامعة العبرية.

على المستوى الأول، كان هناك خلاف بين جناحين، الأول تمثله الجامعة بكوادرها وطواقمها، والثاني الحركة الصهيونية بجميع تياراتها. أما على المستوى الثاني، فكان الخلاف داخل تيارات ورموز الحركة الصهيونية نفسها، فقد أراد وايزمان من جانب واحد أن تتكوّن الجامعة من عدة مراكز للأبحاث، بينما على

الجانب الثاني، أراد فلاديمير زئيف جابوتنسكي والحركة التصحيحية، أن تتشكّل الجامعة من مجموعة من الكليات والمحاضرين وجمهور الطلاب. أما على المستوى الثالث، فقد كانت الخلافات ما بين العديد من رموز وتيارات الحركة الصهيونية، وايزمان وجابوتنسكي وماغنس وبيرل كاتزنلسون، ورموز التيار العمالي الصهيوني.

كذلك، نشهد توترات فرعية داخل كل مستوى من حيث أهداف الجامعة وأهميتها لدى المشروع "القومي" الصهيوني. وقد تمثّلت هذه التوترات، تحديدًا، داخل التيار العمالي الصهيوني، في العلاقة بين العامل اليدوي والعامل الفكري؛ والالتزام بالأهداف القومية على حساب الطموح الشخصي للباحثين والمحاضرين في السعي نحو مكانة أكاديمية، وحدود الحرية الأكاديمية ضمن إطار "حركة قومية أيديولوجية".

فلم تكن الحركة الصهيونية، بتياراتها وأطيافها المختلفة، وبقياداتها وزعمائها، موحدة في نظرتها وتفكيرها تجاه فكرة إنشاء جامعة عبرية/يهودية في القدس. وكان لهذه الجدالات والخلافات تأثيرها على فكرة إنشاء الجامعة وتطورها في سياق المشروع الصهيوني الاستعماري الاستيطاني، وعلى المجتمع اليهودي الاستيطاني، وفي علاقاته الداخلية مع الحركة الصهيونية ورموزها ومؤسّساتها، والخارجية، مع الاستعمار البريطاني ورموزه ومؤسّساته.

4-3-1. خلافات: الغاية، التمثيل وطبيعة الجامعة – البحث في مقابل التدريس

تمحورت بداية الجدالات والنقاشات حول طبيعة الهدف العام الذي من أجله يجب إنشاء الجامعة العبرية، وتتلخص هذه النقاشات حول معضلة مركزية ألا وهي: هل تنبع أهمية التعليم من أجل التعليم ذاته وأهمية تأسيس جامعة أسوة بجامعات العالم، أم تنبع هذه الأهمية من أهداف المشروع الصهيوني واستخداماته للمعرفة العلمية. وظهرت معضلة إضافية تتلخّص في تمثيل الجامعة، هل يتعيّن أن تمثّل الجامعة كافة "الشعب اليهودي" بجميع أماكن تواجده، أم يجب أن تمثل فئة المستوطنين في فلسطين فقط.

وفق غيش عميت، فقد تميزت إقامة الجامعة العبرية بالتوترات: "فمنذ البداية، سعى مؤسّسو الجامعة لإقامة مؤسّسة علمية من الطراز الأول، وفق نموذج الجامعات الأوروبية من القرن الثامن عشر، إلا أنه نُظر إلى الجامعة، في الوقت ذاته، على أنها رمز للنهضة القومية اليهودية وكمؤسّسة تدفع قدمًا المصالح الصهيونية".[291] ويضيف مهند مصطفى قائلاً: إنه كان "يتصارع توجهان على موضوع إقامة الجامعة، وتعبر هذه التوجهات، أيضًا عن توجهين نظريّين في دراسة الأكاديميا، عمومًا، والجامعات، خصوصًا. وهو ما عرف بصراع "السهل والجبل"، الجبل الذي تمثله الجامعة العبرية، والسهل الذي تمثله الحركة الصهيونية برموزها في ذلك الوقت".[292]

نظر التوجه الأول إلى الجامعة على أنها جامعة عالمية، عليها أن تكون جزءًا من عملية التنافس العالمي على إنتاج المعرفة، واعتبروا الجامعة العبرية، المزمع إقامتها في فلسطين، جامعة لكل أبناء وبنات "الشعب اليهودي" في العالم، وليس لليهود المقيمين في فلسطين فقط، وعليها أن تمثل إشعاعًا فكريًا للثقافة اليهودية والمعرفة اليهودية في العالم. وقد مثلت الجامعة والطاقم الأكاديمي والإداري فيها، هذا التوجه، إذ أرادوا للجامعة أن تكون مركزًا فكريًا يهوديًا. أما التوجه الثاني، فاعتبر أن على الجامعة أن تخدم الأهداف السياسية للمجتمع الاستيطاني اليهودي في فلسطين، من خلال إثراء رموزه الوطنية مثل الزراعة والاستيطان، بمعنى أن على الجامعة أن تكون جزءًا من المشروع السياسي القومي، وكان التيار العمالي الصهيوني بصورة خاصة أكبر ممثل هذا التوجّه.[293]

فقد قام الاغتراب بين "الجبل" – جبل الصوّانة – وبين "الوادي" – مرج ابن عامر– (السهل) ليس فقط على الاختلاف في المواقع السياسية، بل على الشعور الحدسي بأن الجامعة كمؤسّسة، وجمهور محاضريها وطلابها، لا تعمل بالضرورة بدافع ولاء راسخ للقضية الصهيونية، ولا لليشوف ومصالحه بشكل أوسع. وكان

---

[291]. عميت، مرجع سبق ذكره، ص 30.

[292]. مهند مصطفى، "مقالة زئيف جابوتنسكي "رأي خاص" التي يعارض فيها فكرة إقامة الجامعة العبرية"، **قضايا إسرائيلية** 13، عدد 51 (2013): ص 121–122.

[293]. المرجع السابق.

كاتزنلسون ورفاقه – رموز التيار العمالي الصهيوني – يعون جيدًا حدود فلسطين، كرقعة بعيدة، على هامش التطورات الثقافية العالمية. رغم ذلك، أوحى مطلبهم بالالتزام التام للمشاركين في مشروع الجامعة اعتباره أهم مسعى "للشعب اليهودي" وأن يعبّروا عن استعدادهم لتكريس جل حياتهم لهذا المشروع.[294] أجمعت جميع التيارات والجهات المختلفة، بما في ذلك الحركة الصهيونية ككل، وتحديدًا التيار العمالي الصهيوني، والعاملين في الجامعة بجميع هيئاتها الإدارية والأكاديمية، ووايزمان، وحتى جابوتنسكي، على أن تُمثّل الجامعة كافة "الشعب اليهودي". وقد عبّرت الجامعة عن هذا الإجماع ضمن كتابها السنوي، لعام 1939، بالكلمات التالية: "الجامعة العبرية في القدس هي الجامعة الوحيدة التي أنشأها شعب إسرائيل لنفسه، ولذلك، فإنها لا تسعى لخدمة الاستيطان في أرض إسرائيل فقط، بل (لخدمة) كل الشعب اليهودي برمته".[295]

كان للاختيار بين تطوير أكاديميا معترف بها دوليًا، أو الانكباب على حاجات فلسطين والمشروع الصهيوني، تداعيات مهمّة على الصعيد المؤسّساتي والشخصي للباحث. على الصعيد الشخصي، كان الباحث الذي تدفعه الرغبة في نشر مقالة علمية في مجلة بلغة أجنبية، حتى يحصل على سمعة دولية، يستجيب لحاجات أخرى غير حاجات المجتمع الذي يعيش فيه. قال كاتزنلسون بهذا الخصوص: "لا يوجد ما هو أكثر مأساوية من حالة المثقف (اليهودي) في فلسطين، فهو يخلق جوًا لا صدى له ولا استجابة عامة له". نتجت حالة الاغتراب هذه – المسافة بين المثقف ومجتمع "اليشوف" – من حقيقة أن "العلم الذي لا يخدم المجتمع والناس، قد يكون مهمًا بذاته، لكنه لا يمكنه الادعاء أنه مهمّ لنا، لذلك لا يمكن توقّع أن نقدّره ونعجب به إذا كان مغتربًا عن مشروعنا". لذلك، من اختار أن يكون محل تقدير دولي، فقد اختار الانفصال عن المجتمع الذي يشكّل جزءًا منه. أما على الصعيد المؤسّساتي، فقد تأكّد ضمن أولويات

---

[294]. يُنظر: Shapira، مرجع سبق ذكره، ص 188–189.

[295]. الجامعة العبرية، **الجامعة العبرية في القدس: تشكلها ووضعها** (القدس: الجامعة العبرية، 1939)، ص 16 [بالعبرية]. مقتبس لدى عميت، مرجع سبق ذكره، ص 195.

الجامعة الجمع بين كون الجامعة العبرية نسخة من المؤسّسات في الخارج – "جامعة كوزموبوليتية"، أي جامعة عالمية، كما أسماها كاتزنلسون، وجامعة محلية تكيّف نفسها وفق احتياجات البلد وسكّانه.[296]

وكانت توجد، أيضًا، اختلافات وجدالات حول طبيعة وماهية الجامعة وشكلها، مكان لتدريس الطلاب أم مجموعة من مراكز ومعاهد أبحاث، هذا من جانب، ومن جانب آخر، خلاف حول طبيعية الكليات الأولى التي يجب البدء بها، بالإضافة إلى علاقتها مع الحركة الصهيونية، وهذه الخلافات تركزت في أوساط الحركة الصهيونية نفسها، وبالتحديد بين وايزمان وجابوتنسكي، كما برز خلاف بين ماغنس وجاوتنسكي من جهة أخرى. ومن جهة ثالثة، كانت توجد خلافات بين كاتزنلسون، ورموز التيار العمالي الصهيوني، وبين وايزمان وماغنس. فقد:

> أثار الإعلان عن تأسيس الجامعة العبرية، بشكلها الذي كان في العام 1925، نقاشًا (حادًا) داخل الأوساط اليهودية والصهيونية، وظهر في الأساس توجهان من هذه المسألة، توجه مثّله وايزمان وأحاد هعام ورئيس الجامعة ماغنس، وتوجه آخر مثّله جابوتنسكي مؤسّس الصهيونية التصحيحية.[297]

لكن، وجدت خلافات جذرية عميقة ما بين وايزمان وبين أحاد هعام على المستوى العملي، إذ ربط وايزمان بين الجامعة وبين الفكر الاستعماري القومي، بينما ربط أحاد هعام بين الجامعة وبين الجانب القومي الديني والجانب الروحاني الثقافي وتجاهل الجانب الاستعماري والاستيطاني. وحتى هناك اختلاف بين ماغنس من جانب، وبين وايزمان من جانب آخر، فوايزمان عمل على إقامة الجامعة لتحقيق "الاحتياجات القومية" للمجتمع اليهودي، ورأى الجامعة ضمن المشروع الصهيوني المتكامل والجامع، وأنها تحقّق أهداف المشروع الصهيوني، بينما لم يعتقد ماغنس ذلك، إذ إنه أقرب إلى مدرسة أحاد هعام في بلورة الجامعة بوصفها "صرحًا معرفيًا يهوديًا عالميًا".

---

[296]. يُنظر: Shapira، مرجع سبق ذكره، ص 189.

[297]. مصطفى، المؤسّسة، مرجع سبق ذكره، ص 40.

انتقل ماغنس، نهائيًا، إلى فلسطين عام 1922، لكي يكرس جهوده لإقامة الجامعة العبرية. فاتصل بجابوتنسكي الذي طالب بإقامة "جامعة شعبية، تستهوي جماهير الشعب اليهودي وتجتذبها"، على غرار الكلية الأمريكية في بيروت، وتكون مؤلفة من كليات ثلاث: الفلسفة والطب والتجارة. لكن، تصوّر ماغنس الجامعة، كمؤسّسة للتعليم العالي تهتم باليهودية، والآداب والعلوم، والجمع بينهما بالنسبة لليهود والعالم.[298]

وتتضح الخلافات بين وايزمان وماغنس، بخصوص أولويات الجامعة بالنسبة للكليات والمعاهد الأولى، في رسالة أرسلها وايزمان إلى ماغنس (بتاريخ 19 نيسان/أبريل 1913)، جاء فيها: "سواء من وجهة نظر عملية أو من وجهة نظر سياسية، يبدو لي أن علينا أن نبدأ بمدرسة للطب ومدرسة للحقوق، إذ تلائم كلتاهما احتياجات تركيا والشرق". أمتعظ ماغنس من سلم أولويات وايزمان، لذا ردّ على وايزمان (بتاريخ 25 أيار/مايو 1913): "كبداية، علينا أن نختار بالشيء الذي يبدو للوهلة الأولى أقل عمليًا، ولكنه فعليًا هو الشيء الأكثر عمليًا، وهو إنشاء مدرسة يهودية لتدريس علم الآثار، والذي من شأنه أن يتطور إلى مدرسة في العلوم الإنسانية (Geisteswissenschaften)، بحيث تُدرَّس من وجهة نظر يهودية".[299]

أما على مستوى موقع الجامعة في المشروع الصهيوني، فقد كانت المشكلة الأولى التي نتجت عن الاجتماعات الأولى لأعضاء مجلس الأمناء، ماهية العلاقة بين الجامعة وبين المنظمة الصهيونية العالمية، وذلك، من بعد أن كانت الجامعة مؤسّسة مستقلة. برز في هذا الصدد تباين في الآراء بين وايزمان وبين ماغنس. كان وايزمان من أصحاب الرأي الذي يقول إنه يجب على المنظمة الصهيونية أن تفرض إشرافًا على الجامعة بسبب دورها القومي والتربوي: "سواء كونها رأس حربة على صعيد التعليم العبري في أرض إسرائيل، أو بسبب كونها مؤسّسة تعمل للارتقاء بالاستقلالية الروحانية والثقافية لليشوف اليهودي في أرض إسرائيل تحت الحكم الانتدابي". بينما ادعى ماغنس أنه "بسبب كون الجامعة مؤسّسة مستقلة، فإنها يجب أن

---

[298]. أنيس صايغ (إعداد)، **الفكرة الصهيونية**، مرجع سبق ذكره، ص 316–317.

[299]. راينهرتس، "وضع أساسات الجامعة"، مرجع سبق ذكره، ص 127.

تكون حرة من تأثير المنظمة الصهيونية على بنيتها وسياساتها. فإشراف المنظمة الصهيونية على الجامعة، من شأنه، أن يحوّل الجامعة إلى جامعة من نمط جامعة الدولة والتي قد تهدّد حرية العلم".[300]

رُفعت مسألة العلاقة بين الجامعة وبين المنظمة الصهيونية أمام المؤتمر الصهيوني الرابع عشر، الذي عقد بعد أشهر قليلة من افتتاح الجامعة، واتخذ قرار ينسجم مع موقف وايزمان الثابت. حدّد القرار أنه يجب على دستور الجامعة أن يؤكد على أنه ستكون للمنظمة الصهيونية تأثيرات حاسمة على الهيئات الإدارية للجامعة. حدّد دستور الجامعة عملاً بذلك أن المنظمة الصهيونية ستمثل نصف أعضاء مجلس الأمناء. وقرّر المؤتمر الصهيوني، بما يخص إدارة الجامعة، أن مكان إقامة مجلس الأمناء يكون، بداية، خارج البلاد، بينما ذراعها التنفيذية تكون داخل البلاد. وبناء على ذلك، تم تحديد وظائف إدارة الجامعة في البلاد بشكل عام جدًا في الدستور، وتم التشديد على أن وظيفتها كذراع تنفيذي.[301] كان مقر مجلس الأمناء في الولايات المتحدة، وتمتّع بتأثيرات على عمل الجامعة وشكلها، من حيث هي معهد للأبحاث أم مكان لتدريس الطلاب، إذ شكّلت الجامعة كفضاء لمعاهد ومراكز للأبحاث وللعلوم المختلفة في بداياتها، وهو الأمر الذي فتح باب الخلاف الأساس بين وايزمان وجابوتنسكي.

لخّص يوسيف شيخطمان، الفرق بين وايزمان وبين جابوتنسكي، بأن الأول، كان ينظر إلى الجامعة بوصفها مؤسّسة تمثّل اليهودية، بينما كان الثاني يركّز على الطالب اليهودي.[302] كما لخص يوسف كلاوزنر، أستاذ الأدب العبري في الجامعة العبرية، والذي شارك في التحضير لافتتاح الجامعة عام 1925، الفرق بين توجهي وايزمان وجابوتنسكي:

> كان هناك توجهان حول هذه المسألة، طالب التوجه الأول بأن تكون الجامعة العبرية، جامعةً، ككل الجامعات، وتعمل على التدريس والبحث على حد سواء. ولكن، كان هناك توجه ثانٍ، والذي

---

[300]. برشاي، مرجع سبق ذكره، ص 111–112.

[301]. المرجع السابق، ص 112–113.

[302]. مصطفى، المؤسّسة، مرجع سبق ذكره، ص 41.

نادى به أحاد هعام ووايزمان. اعتقد أحاد هعام أن إقامة جامعة ككل الجامعات، لن تعطي احترامًا للشعب الإسرائيلي، بحيث لا يملك اليهود إمكانية أن يجذبوا إلى الجامعة مفكرين لامعين في العلوم الطبيعية أو العلوم الإنسانية العامة، يكون بمقدورهم تقديم تجديدات كبيرة واكتشافات مهمة، وبذلك يزيدون من شرف شعب إسرائيل في العالم، بل ستكون لنا جامعة صغيرة وفقيرة، وذلك الأمر غير مستحسن. وبناءً عليه، طالب أحاد هعام بفتح الجامعة للدراسات اليهودية والعلوم الإنسانية التي لها علاقة بفكر شعب إسرائيل، ففي الدراسات اليهودية يمكن لمفكرينا التجديد وإعطاء الاحترام لشعب قديم يملك ثقافة راقية، وفقط بعد سنوات، عندما يحين الوقت، ستكون جامعة حقيقية ... أما وايزمان، فاعتقد أنه يجب تأسيس معاهد للبحث في القدس وليس كليات لغرض التدريس، وكونه متخصصًا في الكيمياء فقد اهتم كثيرًا بافتتاح معهد للكيمياء.[303]

أما جابوتنسكي، الذي درس في كلية الحقوق في جامعة روما، فقد تأثر بأفكار أستاذه أنطونيو لابريولا في الفلسفة والاجتماع، وهو الأستاذ الذي تحوّل لاحقًا إلى أحد منظّري الفكر الفاشي، وأخذ عنه النظرة الواحدية التي تعتبر النظرية والتطبيق وحدة لا تتجزأ، فطبقها بدوره على الصهيونية. عكف جابوتنسكي على إعداد خطة شاملة لعبرنة التعليم اليهودي بأكمله وفي سائر أماكن تواجد اليهود في العالم. وأيد فكرة قيام الجامعة العبرية كجزء لا يتجزأ من مفهومه للنشاط الثقافي الصهيوني، فأصبح عضوًا في لجنتها التحضيرية عام 1913. ثم اختلف مع وايزمان حول طبيعة الجامعة، وأتهم وايزمان بالسعي لإنشاء "معهد للبحوث" بدل "جامعة" أو "معهد للتعليم العالي" يُعنى بتقديم حل لقسم كبير من الشباب اليهودي الذي حيل بينه وبين دخول الجامعات الروسية أو الأوروبية الغربية. في مقابل ذلك، يقول إن وايزمان كان يريد جامعة بوصفها "مجموعة من معاهد البحوث، يعمل فيها العلماء ويسعون للحصول على جائزة نوبل!".[304]

ويطلعنا مصطفى على أنه عندما:

---

[303]. مصطفى، المؤسّسة، مرجع سبق ذكره، ص 41–42.

[304]. أنيس صايغ (إعداد)، **الفكرة الصهيونية**، مرجع سبق ذكره، ص 427–429 (مع إدخال بعض التغييرات على الترجمة).

بدأت الجامعة العبرية، مشوارها، كإطار لمجموعة من مراكز الأبحاث، وليس كجامعة تقليدية مع كليات وطلاب وطاقم محاضرين، أثار ذلك معارضة كبيرة داخل الحركة الصهيونية، ومن بينهم، جابوتنسكي، الذي عارض إقامة الجامعة على هذا النمط. وتنبع معارضة جابوتنسكي من تخوفه أن تكون الجامعة العبرية مركزًا روحانيًا يهوديًا، على غرار الصهيونية الروحانية التي نظر لها أحاد هعام، وليس جزءًا من الصهيونية السياسية الفاعلة على الأرض. أراد لها جابوتنسكي، أن تكون مؤسّسة تعليم عالٍ تؤهل النخب وأصحاب المهن الذين يمكن أن يكونوا عونًا للمشروع الصهيوني. لهذا السبب، أعتبر جابوتنسكي أن جامعة تعني وجود طاقم محاضرين وطلاب، وعلى المحاضرين أن يكونوا متخصّصين في مجالاتهم وأن يتحدثوا اللغة العبرية.[305]

وقد عبر جابوتنسكي عن موقفه من الجامعة، في مقالة، نشرها بعنوان "رأي خاص"، تمثل موقف التيار الصهيوني التصحيحي من الجامعة العبرية في بداية طريقها.[306] ومما جاء في هذه المقالة:

أضع اليوم، جانبًا، الخلاف حول مسألة هل يمكن ويجب البدء بتأسيس الجامعة بإقامة معاهد أبحاث. إضافة إلى ذلك، أنا لا أرفض، رفضًا قاطعًا، الادعاء بأن معاهد الأبحاث هي شيء مفيد. ولكن، هناك أمر واضح، ولا يمكن الاعتراض عليه: معهد الأبحاث ليس جامعة، ولا يمكن أن يسمى جامعة. يوجد في لندن معهد ليستر، فيه يعمل العلماء في مجال البحث، ويتوصلون أحيانًا إلى اكتشافات؛ ولكن لا أحد يربط بينه وبين جامعة لندن. ويوجد في باريس معهد باستير، وهو معهد قائم بذاته، وجامعة باريس هي جامعة مستقلة. حين يؤسّسون معهدًا كهذا، يجب أن يطلق عليه الاسم الملائم، ويجب دعوة الضيوف إلى افتتاح معهد أبحاث وليس إلى افتتاح جامعة؛ فاسم الجامعة يطلق على قرية للطلاب الجامعيّين وليس على مختبر للعلماء أو الخبراء؛ هكذا يفهم الجميع معنى الاسم وفي كل مكان. إن دعوة الناس من كافة أطراف المعمورة إلى

---

[305]. مصطفى، "مقالة زئيف جابوتنسكي"، مرجع سبق ذكره، ص 122.

[306]. المرجع السابق.

افتتاح جامعة في الوقت الذي لا توجد فيه جامعة حتى من حيث المظهر البادي للعيان معناه تضليل الضيوف.[307]

لا تأتي الاختلافات، هنا، بين وايزمان وبين جابوتنسكي، في سياق المناكفات السياسية، بل في إطار "الرؤية القومية" للصهيونية، والجدية في خلق وبناء مجتمع مثالي، إذ يسعى ويطمح الجميع إلى الرقي بالمجتمع اليهودي ورفعه إلى أعلى الدرجات، ولكن كلٍّ حسب وجهة نظره ورؤيته للأمور. لقد كان واضحًا أن رؤية جابوتنسكي مستمدة من تعريف الجامعات في السياق الأوروبي من القرون السالفة (قبل القرن التاسع عشر)، بينما رؤية وايزمان مستمدة أكثر من دور الجامعة القومي في السياق الأوروبي، في القرن التاسع عشر، وتركّز رؤية أحاد هعام على ضرورة إنشاء مركز روحاني وثقافي للـ"شعب اليهودي" في فلسطين لا إطارًا سياسيًا.

وقد نشرت صحيفة "فلسطين"، نقلاً عن صحيفة "الراسفت" الناطقة بلسان تيار "الصهيونية التصحيحية"، التي يحرّرها جابوتنسكي، ما كتبه في 15 آذار/مارس عام 1925، بخصوص الجامعة العبرية:

إن الجامعة اليهودية في القدس كلمة "خيالية"، لا يصح أن تطلق على هذه المؤسّسة التي أُنشأت على جبل الزيتون (الصوّانة) في القدس، لأن الجامعة تؤلّف عادة من عدة مدارس يتردّد عليها الطلاب والأساتذة يتعلمون ويعلمون. ولكن، الجامعة اليهودية في القدس لا تشتمل على شيء من ذلك، وإنما هي عبارة عن مدرسة للعلوم اليهودية التي صار افتتاحها منذ شهرين، ولا يُدرِّس فيها غير أستاذ أو أستاذين.[308]

ويوضح جابوتنسكي، أن الفشل الوحيد، في نجاح الصهيونية المتعددة، هو إنشاء الجامعة كما رآها التيار العمالي الصهيوني، أو بالأحرى كما أرادها وايزمان، وأن هذا الفشل الوحيد، هو مبرر جيد لأعداء الصهيونية وفرصة جيدة للاستمرار في محاربتها وإلغاء وعد بلفور، الذي هو الأساس، في شرعية إقامة

---

[307]. المرجع السابق، ص 122–123.

[308]. "الجامعة العبرية: كلمة خيالية"، **فلسطين** (صحيفة)، مرجع سبق ذكره، ص 2.

"وطن قومي" لليهود. كما شبَّه الجامعة بالقرية الوهمية "القرية البوطيومكينية"، بمعنى أن هناك "وهم" لدى "اليشوف"، بأن لديه جامعة، فالجامعة العبرية بشكلها الحالي، هي فقط لمجرد الاستعراض، وليس لتدعيم "الوطن القومي اليهودي":

> يعتبر هذا الأمر (إنشاء الجامعة العبرية كمعاهد للبحوث) خطيرًا، لأنه يتساوق مع لائحة الاتهام الأساسية، التي يُبرزها ضدنا كل أعداء الصهيونية. كل ذلك الجزء الهائل، وذي التأثير الكبير، في الصحافة الإنجليزية، الذي يطالب يوميًا بإلغاء وعد بلفور، يستند، في الأساس، إلى أمر واحد: كأنما نجاحاتنا في مجال البناء في أرض إسرائيل، هي عبارة عن بريق كاذب، واستعراض لقرى بوطيومكين،[309] وواجهة بناء دون أساسات وحتى دون سقف وأرضية. وهذا لا أساس له من الصحة، ولكن ذلك صحيح في موضوع "الجامعة" للأسف. وبما أنه جرى صرف الانتباه الكبير جدًا بالذات إلى "القرية البوطيومكينية"، فقد حصل أعداؤنا بذلك على تأكيد خطير جدًا لادعاءاتهم المشتركة. من أجل ماذا؟ ومن يحتاج إلى ذلك؟ ألم يكن بالإمكان افتتاح معاهد البحث دون هذه الضجة؟ مرة أخرى، لا يظهر أمامنا مجرد طيش وتهوّر – نحن نواجه هنا ما هو أكثر تعقيدًا، نواجه ترابطًا يشمل الصبيانية المختلطة بالهستيريا، وتفاخرًا وفوضى وانعدام التربية السياسية وشهوة الشهرة. هذا مؤسف ومخجل.[310]

فقد ربط جابوتنسكي، بين الدعوات الموجودة، في بريطانيا، لإلغاء وعد بلفور وبين الجامعة العبرية، إذ اعتبر أن إنشاء الجامعة بهذا الشكل، سوف يعزّز من هذه الدعوات التي تعتبر أن المؤسّسات اليهودية في فلسطين "فارغة المضمون والفاعلية والأهلية لتشكّل بنية تحتية لدولة". واعتبر جابوتنسكي أن، "هذه

---

[309]. "كان غريغوري الكسندروفيتش بوطيومكين، عشيق القيصرة يكتيرينا الثانية، وقد عينته حاكم "روسيا الجديدة" – أقاليم البحر الأسود. زارت يكتيرينا المنطقة، في عام 1787، وقد بنى قرى وهمية ليترك لديها الانطباع الحسن. ومن هنا جاء التعبير "قرى بوطيومكين" أي أشياء لمجرد الاستعراض". وردت هذه المعلومة في: مصطفى، "مقالة زئيف جابوتنسكي"، مرجع سبق ذكره، ص 124.

[310]. المرجع السابق، ص 123.

الادعاءات غير صحيحة ولكنها صحيحة بالنسبة إلى الجامعة العبرية فقط، فهي جامعة بالاسم، ولكنها، في المضمون، بعيدة جدًا، عن هذا المسمّى".[311]

اعتبر جابوتنسكي أن الجامعة، بصيغتها الحالية (1925)، وبالترويج الذي يروّج لها، أنها تصنع الأوهام لدى العالم الغربي بأن هناك جامعة راقية ومهمة في فلسطين، ستخدم مسيرة العلم والعلوم، مما يؤثر على أوضاع المجتمع اليهودي الاستيطاني في سعيه لاحتلال مكانة جديدة في العالم.[312] فقد أراد جابوتنسكي، أن تكون الجامعة العبرية:

> جامعة وطنية، لما لها من دور في بناء الشعوب وهويتها القومية، واستحضر أمثلة لدور الجامعات في الحركات القومية. واعتبر أن إقامة جامعة هي مشروع وطني كبير، يؤثر في التكوين القومي للشعوب ويتأثر بها، وانتقد تسمية إقامة مركزين للأبحاث (كانوا بالحقيقة ثلاثة مراكز) من دون كليات أو طلاب، بجامعة، لأن ذلك لا يحقق حلمًا، ولا يصل إلى مستويات المطلوب من جامعة وطنية.[313]

هنالك إجماع تام بين جابوتنسكي وبين وايزمان بشأن أهمية الجامعة في السياق القومي والسياق الاستعماري الاستيطاني، ولكن يكمن الاختلاف فقط في طبيعية هذه الجامعة وليس في الدور ومكانتها في المشروع الصهيوني الاستعماري الاستيطاني، إذ يؤكّد جابوتنسكي، أيضًا، أسوة بوايزمان، على الجانب العملي، دور وأهمية الجامعة العبرية في "بناء فلسطين" واستعمارها.

برزت الخلافات والتوترات بين كاتزنلسون ووايزمان وماغنس حول دور الجامعة وموقعها في المشروع الصهيوني، وحول الاختلاف الثقافي ما بين يهود شرق وغرب أوروبا، إذ قد تم صياغة وصناعة الثقافة

---

[311]. مصطفى، المؤسّسة، مرجع سبق ذكره، ص 43.

[312]. "الجامعة العبرية: كلمة خيالية،" **فلسطين** (صحيفة)، مرجع سبق ذكره، ص 2 (نقلاً عن جريدة "الراسفت").

[313]. مصطفى، المؤسّسة، مرجع سبق ذكره، ص 43.

اليهودية بصيغتها الصهيونية من طرف يهود أوروبا الشرقية، على عكس الجامعة التي أنشأها يهود أوروبا الغربية، وهيمن عليها النموذج الألماني للجامعات.

سعى كاتزنلسون إلى إنشاء جامعة فلسطينية أصيلة، لا جامعة هي في حقيقة الأمر استنساخًا للجامعة الأوروبية، تأخذ الاحتياجات المحلية بعين الاعتبار عند اختيار حقول البحث والتدريس، وضغط من أجل ضرورة إقامة قسم خاص بالتربية والتعليم وأساليب التدريس. إلا أن آماله قد خابت من النتائج التي تحقّقت، لأن كلية التربية والتعليم، كانت كغيرها، نسخة مطابقة للنموذج الأوروبي السائد، وتفتقد أي ملامح أصالة فيها. كما أنّه أولى إنشاء كلية زراعة أهمية أساسية، إلا أنّه اصطدم مع وايزمان وآخرين حول هذه المسألة، لأنهم أرادوا ضمان مستوىً متقدم من الدراسات النظرية.[314]

لقد عكس عدم رضا كاتزنلسون عن الجامعة والشخصيات المتواجدة فيها، شعور واسع الانتشار بين التيار العمالي الصهيوني والنخبة الثقافية في القدس. غذّت عوامل عديدة هذا الشعور، منها، أن الطابع الثقافي والسياسي لليشوف، صاغه بشكلٍ أساس مهاجرون من شرق أوروبا، في حين أن الجامعة من ناحية أخرى، شكّلها ورثة السياق الثقافي الألماني، وإلى حدٍ ما تلاميذ الثقافة الأنجلو–ساكسونية. عكس هذا النفور بين يهود شرق أوروبا وبين قيادة الجامعة، اختلافات سياسية وثقافية طبيعية. وكانت الاختلافات السياسية، جانبًا واحدًا من الصراع بين النخبة المثقفة في القدس والتيار العمالي الصهيوني.[315]

يتمثل مركز الحياة والإبداع في فلسطين، من وجهة نظر "السهل"، في إنشاء بنية تحتية في فلسطين من خلال تجارب اشتراكية مبتكرة، من خلال تحويل فلسطين إلى مركز للثقافة العبرية. وبدا رضا رئيس الجامعة ليون روث، الذي قال إن الجامعة ينبغي أن تكون "دلالة الحائرين في فلسطين"، متغطرسًا وفي غير محلّه بالنسبة لكاتزنلسون ورفاقه. لأن جبل الصوّانة، لم يكن محوريًا بالنسبة للحياة اليهودية في فلسطين، ولن يصدر الإبداع اليهودي عن هذه المؤسّسة، حصرًا، والتي رفضت التغيير، وكانت ظاهريًا موجّهة أكثر مما

---

[314]. يُنظر: Shapira، مرجع سبق ذكره، ص 189.

[315]. المرجع السابق، ص 190.

هي تتمتّع بالإبداع الروحاني الداخلي. وقد عبّر يشعياهو ليبوفيتش (Isaiah Leibowitz) عن القضية، كما نقلها كاتزنلسون عنه، بقوله: "إلى أي مدى تمثّل الجامعة، كمؤسّسة تمثيلية روحية ... حقيقةً اليشوف؟"، كانت إجابة كاتزنلسون ورفاقه سلبية.[316]

أما بشأن العلاقة بين البحث وبين التدريس في الجامعة، فقد كانت تشكّل محل خلاف بين إدارة الجامعة وبين مجلس الأمناء من جانب، وبين وايزمان وبين جابوتنسكي، من جانب آخر. توجّه وايزمان نحو البحث أكثر من التدريس، إذ رأى إن التدريس ممكنًا فقط بعد إعداد وتطوير مراكز البحث، وإجراء عملية مأسسة للعلوم التي بدأت بها الجامعة، فمن أجل تطوير التدريس وإجراء تعليم جيد وقوي للطلاب يجب بداية تطوير وتقوية معاهد الأبحاث قبل البدء في التعليم المباشر.

أشار قسطنطين زريق إلى هذه المعضلة، بشأن العلاقة بين البحث وبين التعليم في العمل الجامعي بشكل عام بالكلمات التالية:

> يوجد افتراق متباعد بين الجانبين الرئيسيّين من عمل الجامعة: جانب التعليم وجانب البحث؛ فوظيفة الجامعة هي وظيفة مزدوجة. إنها، من جهة، مولجة بتهيئة الأجيال الصاعدة بما تنقل إليها من معرفة، وبما تبذل من جهد في سبيل تنمية مداركها ومواهبها وتكوين شخصياتها، وهي، من جهة أخرى، مسؤولة مع سواها من مؤسّسات البحث عن تقدم المعرفة بالتحقيق والاختبار والاكتشاف. ولا تتم مهمتها إلا إذا وفت كلاً من هذين الجانبين حقه ووفتهما معًا بتناسق وانسجام. فالجامعة التي تحصر جهدها في التعليم فحسب، تتصدّى لجزء من واجبها، بل هي تقصّر عن القيام بهذا الجزء حق القيام، لأن تخلّفها عن البحث والاكتشاف يضعف قدرتها على التعليم ذاته ... فهي إذن، لا ترتفع إلى مرتبة الجامعة الحق ولا تفي بمدلول الاسم الذي تحمله. وكذلك، من ناحية أخرى، الجامعة التي تهمل شؤون التعليم في سبيل البحث، فإنها تغدو نوعًا من أنواع

---

[316]. المرجع السابق، ص 191.

مؤسّسات البحث (research institutes) وأجدر بأن تحمل هذا الاسم وهذه الصفة منها باتخاذ صفة الجامعة التي لا تكتمل إلا بالتعليم والتربية.[317]

كانت هذه الجدلية الإشكالية حاضرة في عمل الجامعة بين البحث والتدريس عند تأسيس الجامعة العبرية، وفي تصوّرات وايزمان حول العلاقة بين البحث وبين التدريس. نشأت فكرة العلاقة القوية بين التدريس وبين البحث في الجامعات الألمانية، والملاحظ في تاريخ دور كل من البحث والتدريس في الجامعات، منذ القرن التاسع عشر، هو ارتباطهما القوي بالتطلعات الاجتماعية والسياسية للمؤسّسات، بل وارتباطهما بالدولة. وبما أن فكرة الجامعة قد نضجت وتطورت، فقد أخذت العلاقة تمايزات مختلفة. وفي أعقاب عصر التنوير، بشّر تطور البحث العلمي التجريبي بفكرة مفادها أن البحث يعتبر جزءًا أساسيًا وجوهريًا من الجامعات:

فالتصوّر الألماني عن الجامعة، الذي نتج عن أفكار ألكساندر فون همبولدت (Alexander von Humboldt)، يرى أن البحث والتدريس متلازمان. أي أن عمل فرق البحث، الذي يتم في مختبر البحث، يكون بقيادة بروفيسور يوجّه البحث، وفي الوقت نفسه، يدرّس الجيل الآتي من الباحثين. ثم غدت فرق الأبحاث هذه قوية جدًا، واجتذبت الباحثين من مناطق بعيدة. وقد عمل هذا التركيز الشديد على البحث في الجامعات الألمانية، إلى تعزيز المفاهيم الاجتماعية والسياسية للحكومة. ثم عملت قيادة الدولة، إضافة إلى ذلك، على ضمان إمكانية تسخير التعليم والبحث لخدمة غاياتها الخاصة.[318]

أرست الجامعات الألمانية أربع أفكار أساسية، في بداية القرن التاسع عشر، "كان لها تأثيرها بعد ذلك على فلسفة التعليم الجامعي حتى الآن"، وهي:

الجامعة مركز البحث العلمي الأكاديمي، والغرض منه البحث عن الحقيقة لذاتها، وإعلانها بصرف النظر عن أي تطبيقات أو فوائد عملية يمكن أن تترتب على الكشف عن هذه الحقيقة؛ العمل،

---

[317]. زريق، "الجامعات"، مرجع سبق ذكره، ص 12-13.

[318]. أنجيلا برو، **تجاوز الفصل بين البحث والتعليم**، ترجمة رفيدا فوزي الخباز (الرياض: مكتبة العبيكان، 2009)، ص 39.

بقدر الإمكان، على الارتقاء بالبحث العلمي من خلال هذه المؤسّسات التي تضم الأساتذة كرواد مع طلابهم، يعملون معًا كفريق من أجل البحث عن الحقيقة لذاتها؛ مفهوم حرية التعلّم (Lernfriheit)، والذي يتضمن حرية الطالب في اختيار مجال الدراسة، وحريته في أن يعيش مستقلاً داخل الجامعة، وحقّه في الانتقال من جامعة إلى أخرى؛ مفهوم حرية التدريس (Lehrfriheit)، والذي يتضمن حرية الأستاذ في الكشف عن الحقيقة، وفي تدريس ما يصل إليه من نتائج من خلال بحثه، دون تسلّط عليه من قبل الدولة أو الحكومة.[319]

يضيف الباحث يوسف السيد محمود أن هذه الأفكار قد انتشرت لاحقًا في الجامعات الأوروبية والأمريكية:

لدرجة أن الجامعات الأمريكية التي أنشئت في نهاية القرن التاسع عشر، ومنها جامعة شيكاغو 1892، حرصت على إظهار اهتمامها بالبحث العلمي والدراسات العليا، إلى حد أن هذا الدور احتل الأولوية الكبرى فيما عداه من اهتمامات أخرى لهذه الجامعات. وأصبح القيام بالبحث، وإنتاج المعرفة من صميم جوهر المهنة الأكاديمية بصفة عامة، كما أصبحت المعاهد رفيعة المستوى في العالم أجمع، هي تلك التي تولي أهمية أكبر لدورها في البحث العلمي، فلقد أضحى يُعتقد أن التدريس الجامعي يكون ذا نوعية عالية، إذا أكد الأساتذة بقوة على الترابط بين عمليتي التدريس والبحث.[320]

ولقد كانت العلاقة بين التعليم/التدريس وبين البحث، في الجامعة العبرية، هي بالأساس، تشبه وحدة التعليم/التدريس والبحث في الجامعات الألمانية، إذ يكمن التعليم في أيدي المعلمين الباحثين. وفيما يخص العلوم الطبيعية، تم الإقرار، من قبل مجلس الأمناء، بأن الدراسة بهدف الحصول على لقب ستطبق عندما تقام دائرة رياضيات وفيزياء وفيها تجهيزات بدرجة معقولة وطاقم ثابت، وعندما يتم تقوية مركز الكيمياء من خلال ضم أستاذ إضافي، وعندما يعاد تنظيم طاقمها ويستكمل على قاعدة دائرة للبحث والتعليم، عندها،

---

[319]. محمود، "أزمة الجامعات"، مرجع سبق ذكره، ص 31.

[320]. المرجع السابق، ص 31–32.

يكون هناك مجال للدراسة بهدف الحصول على لقب في كلية العلوم الطبيعية، ضمن تخصّصات الفيزياء والكيمياء والرياضيات والبيولوجيا.[321]

لقد كانت الجامعة العبرية في حالة صراع، بعد تأسيسها بثلاث سنوات، كمجموعة من مراكز ومعاهد أبحاث، ولم تسع إلى تدريس الطلاب وتخريجهم وحصولهم على ألقاب جامعية. فقد اعترض وايزمان، وبشدة على اعتماد التدريس في الجامعة الفتية، ورأى في ذلك خطوة خطرة لم يحن وقتها بعد. وبحسب رأيه، فإن إنجازات الجامعة خلال ثلاث سنوات من تأسيسها، لا يخول مجلس الأمناء باتخاذ قرارات من شأنها أن تكون ذات أهمية وضرورة لتطور الجامعة ولمستقبل "أرض إسرائيل"، بشكل عام. ويرى أن اعتماد التدريس، استجابة لضغوط خارجية أو داخلية، في الوقت الذي تُعتبر فيه الجامعة في طور البناء سيؤدي إلى تدّني مستوى التدريس ومخرجات عملية التدريس:

> إن مهمة الجامعة، هي خلق أساس متين لتعليم شامل، وأن نعبئها بعلوم أساسية للمستقبل. إن تعليم الطلاب في نطاق واسع، سيكون ممكن فقط بعد أن تتمأسس هذه العلوم، إن الحالة في عام 1928، أي ثلاث سنوات من افتتاحها، هي أن لا أحد من هذه العلوم قد تمأسس بعد. وعلى هذا الأساس الركيك، لا مجال لتطوير عملية التدريس ولا استيعاب الطلاب.[322]

4-3-2. الخلافات الإدارية، واستقلالية الجامعة والعلاقة مع الإجماع الصهيوني

ظهرت قضية الإجماع الصهيوني، واستقلالية الجامعة كقضية مركزية حساسة، في صلب الجدالات والخلافات بين التيارات الصهيونية المختلفة، وبين إدارة الجامعة، وكذلك، داخل التيارات الصهيونية ورموزها. كما كانت النقاشات حول عملية إدارة الجامعة، ومسؤولية وأدوار المجالس المختلفة والمتعدّدة في الجامعة العبرية، تأخذ حيزًا مهمًا آخر في الخلافات والجدالات حول الجامعة العبرية.

---

[321]. برشاي، مرجع سبق ذكره، ص 116.

[322]. المرجع السابق، ص 118-119.

فقد استمرت الصهيونية التصحيحية واليمين بمعارضة الجامعة، وطالبت قياداتها بإقالة كل محاضر لا يلتزم بـ"المشروع القومي" الصهيوني، وخاصة عميد الجامعة شموئيل هوغو برغمان (Hugo Bergman) (براغ، 1883–1975)، ورئيس الجامعة يهوذا ماغنس. كما نشط طلاب الصهيونية التصحيحية في الجامعة وهاجموا "انهزامية" الطاقم الأكاديمي، "وابتعادهم عن الهدف القومي الذي تم تأسيسها من أجله. أما الحركة العمالية فلم تهاجم الجامعة، بل انتقدت الجامعة لعدم مقدرتها على جذب الطلاب اليهود من وسط أوروبا وشرقها"، وإنما اقتصر تأثيرها على أوساط يهود الولايات المتحدة الأمريكية. واعتبر قادة التيار العمالي أن التأثير على الجامعة يجب أن يكون من داخلها لا من خلال "الهجوم عليها من الخارج كما يفعل جابوتنسكي. أي أن يكون بالدخول إلى مؤسّساتها، والتأثير على توجهاتها تجاه المشروع السياسي، وتجاه المجتمع الاستيطاني اليهودي".[323]

إن موقف التيار العمالي الصهيوني، هنا، كما أشار إليه مصطفى، ليس دقيقًا، فقد أشارت أنيتا شابيرا إلى شهادات تفيد أن التيار العمالي ورموزه قد هاجموا المحاضرين الذين لا يلتزمون بالمشروع القومي الصهيوني، وعارضوا تعين رئيس أو عميد للجامعة غير ملتزم بالمشروع الصهيوني، بأهدافه "القومية" أو الاستعمارية والاستيطانية. وقد كانت توجد عدة قضايا رئيسة متفق عليها في الحوار بين قيادة التيار العمالي الصهيوني وإدارة الجامعة: الأولى الالتزام بالمهام "القومية"، على حساب الطموح الشخصي للباحثين والمحاضرين في السعي نحو مكانة أكاديمية؛ والأخرى هي حدود الحرية الأكاديمية ضمن إطار "حركة قومية أيديولوجية".[324] فقد كان مؤسّسو "الدولة" مدفوعين بإحساس قوي بمهمة ورغبة، ليس فقط بإنشاء إطار اجتماعي وسياسي للكيان اليهودي في فلسطين، بل كذلك، تجسيد "روح الشعب" ونظرته للعالم حسب أيديولوجيتهم الخاصة. لكن، يبقى هناك فرق بين الأيديولوجيا والموقف السياسي، في حين طالب بن غوريون وكاتزنلسون بالولاء للأيديولوجيا الصهيونية، فلم يتدخلوا في المسائل المتعلقة بوجهات النظر

---

[323]. مصطفى، المؤسّسة، مرجع سبق ذكره، ص 43.

[324]. يُنظر: Shapira، مرجع سبق ذكره، ص 186.

السياسية اليومية، فقد رفضوا أي علاقة بين السياسة وعمل الباحثين العلمي. عبّر بن غوريون عن ذلك صراحةً في الاجتماع السنوي لأصدقاء الجامعة العبرية عام 1937 بقوله: "يجب أن تكون المؤسّسات العلمية متحرّرة من الميول السياسية، والعلم المتأثر بالسياسة مرفوض ... لكن، الافتقار إلى الميول السياسية لا يعني الافتقار إلى المهمة السياسية، أو إلى المهمة القومية بشكلٍ أدق. ودون هذه المهمة، تصبح الجامعة جسمًا فارغًا".[325]

قاد ترشح برغمان إلى رئاسة الجامعة العبرية (تشرين الثاني/نوفمبر عام 1935) كاتزنلسون، أسوة ببن غوريون كما لمسنا أعلاه، إلى التأكيد على التمييز بين حق العالِم في تبنّي مواقف سياسية، وبين حقه في إنجاز بحث علمي مستقل، وبين التزام الجامعة بوجهة "النظر القومية". انخرط برغمان وكاتزنلسون، منذ عشرينات القرن الماضي، في "حوار ودود" حول "المسألة العربية"، ولكن حدثت حالة استقطاب بينهما على خلفية ثورة البراق (1929)، ففي حين كان كاتزنلسون مقتنعًا، بأن هذه الأوقات تتطلب دفاعًا قويًا عن "اليشوف" والصهيونية ضد الحملة السياسية التي تُشن ضدهم، قرّر برغمان – لنفس الأسباب – أن الوقت حان للتخلّي عن مطلب أغلبية يهودية في فلسطين، ولذلك أزيل من قائمة الإجماع الصهيوني. مع ذلك، عندما هاجمه اليمين عام 1934، قامت صحيفة "دفار" (Davar)، التي أنشأها كاتزنلسون (في سنة 1925)، للدفاع عنه، بالرغم من معارضة كاتزنلسون الصريحة لانتخاب برغمان لرئاسة الجامعة. وقد وضّح موقفه في رسالة موجهة إلى برغمان، وعلى ما يبدو أنها لم تُرسل، يقول فيها: "دافعت عن حرّية الجامعة الأكاديمية بكل ما أملك من جهد، إلى أقصى حد من قدراتي، وصوتت لصالح قبول أساتذة للجامعة، آراؤهم السياسية مخالفة لآرائي. لكنني أميّز بين الدراسة والبحث من جهة، وبين المناصب التي تشكّل تمثيلاً عامًا وقوميًا من ناحية أخرى". أي، ما هو مسموح على الصعيد الفردي الخاص، غير مسموح به على الصعيد العام.[326]

---

[325]. المرجع السابق، ص 191.

[326]. المرجع السابق، ص 192.

وبشكلٍ مشابه، وضّح بن غوريون، في خطابٍ له عام 1937، الإشكاليات المحيطة بواجب والتزام الجامعة "القومي" تجاه وجهة النظر الصهيونية بقوله:

> يتهدّد هذه المؤسّسة اليانعة، التي تزدهر بالضرورة من خلال الطاقات العلمية التي تأتي من الخارج، خطر الانفصال والاجتثاث، بل والاغتراب كذلك. يتحتم على اليشوف، أكثر من أي كيان آخر، أن يرسّخ جذور الجامعة في الوطن، في رغبات اليشوف ومهامه التاريخية.[327]

بعبارات أخرى، يمكن للباحث أو الأستاذ الجامعي العادي، نظريًا، أن يخالف الإجماع الصهيوني، على المستوى الشخصي، وإن كان ذلك ليس متاحًا بالفعل. لكن، من يحتل منصبًا حسّاسًا في الجامعة، الرئيس مثلاً، يجب أن يكون، قلبًا وقالبًا، ضمن الإجماع الصهيوني. وهذا كان متوافق عليه بين أقطاب وتيارات الحركة الصهيونية المختلفة، "العمالية" و"التصحيحية"، و"الصهيونية الجامعة"، التي أسّسها وايزمان.

لقد كانت "الدمقرطة" هي الوسيلة الأساسية التي سعى من خلالها كاتزنلسون وبن غوريون إلى ضمان ولاء الجامعة للمشروع الصهيوني. فقد كان ماغنس "يحكم" الجامعة بوصفه مستشارًا (Chanceller)، وهو أسمى منصب يجمع بين السلطات والمهام الأكاديمية والإدارية، حتى عام 1935، وقام بفرض آرائه السلمية والآحاد هعامية (نسبة إلى أحاد هعام) على الجامعة وتصوّراتها. وتقرّر في الجلسة التاسعة لمجلس أمناء الجامعة، المجلس الذي لعب فيه كاتزنلسون دورًا نشطًا، إلغاء منصب المستشار، وانتخب ماغنس رئيسًا للجامعة بدلاً من ذلك، الأمر الذي يعني تقليص مهامه وسلطاته بصورة بالغة. وأُستحدثت لجنة تنفيذية، مقرها في القدس، كانت تجتمع أسبوعيًا، إلى جانب مجلس الأمناء الذي كان يجتمع كل سنتين مرة في أوروبا، وكانت العضوية فيه غير خاضعة لاعتبارات الحياة بـ"اليشوف" نهائيًا، وتمثّلت النتيجة بتحويل مركز الجامعة من "الشتات" إلى فلسطين. وفي ذات الوقت، فإن إعادة التنظيم "الثوري" لبنية الجامعة الداخلية تأثر بصورة كبيرة إذ تقرّر أن الرئيس والعمداء يتم انتخابهم من الكليات. وأطلق كاتزنلسون على ذلك "تنفيذ مبدأ الانتخاب في كافة دوائر الإدارة الأكاديمية". فقد توقع كاتزنلسون، عندما انتقلت السلطة في الجامعة من

---

[327]. المرجع السابق.

الأوليغارشية (Oligarchy) (حكم الأقلية) الأكاديمية الأجنبية إلى دوائر محلية (في فلسطين)، أن تكون عملية اتخاذ القرار أوسع وأقرب إلى أهداف المشروع الصهيوني، وتحديدًا حين نمت العضوية المتعلمة في فلسطين ضمن هذه الدوائر، الأمر الذي أفضى، كما توقّع كاتزنلسون، إلى تغيير طابع الجامعة بالتدريج.[328]

ولضمان ولاء الجامعة للمشروع الصهيوني، حاول بن غوريون وكاتزنلسون إشراك الأجسام الصهيونية – الوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية – في المسؤولية الإدارية والمالية للجامعة. كانت الغاية من وراء ذلك هو تحرير الجامعة من التبعية المفرطة للمانحين الأجانب، وتوجيهها نحو مواضيع الاهتمام "للحركة القومية".[329]

ويخبرنا مصطفى أن قيادات المجتمع الاستيطاني اليهودي في فلسطين حاولت تعزيز ارتباطها بالجامعة، كجزء من جهودها لتعميق التزام الجامعة بالمشروع الصهيوني. ولفعل ذلك، أقامت هذه القيادات "منظمة محبي الجامعة العبرية" في تل أبيب، والتي زاد عدد أعضاؤها خلال الثلاثينيات والأربعينيات بصورة كبيرة. ويعتقد كل من أوري كوهن ودانا كاتس أن هذه المنظمة تشكّل محاولة من المجتمع الاستيطاني، بمعزل عن تياراته وأطره الحزبية والسياسية، للتواصل مع الجامعة العبرية التي كانت في حالة توتر دائم مع المؤسّسات السياسية والحزبية الصهيونية في فلسطين. أرادت الجامعة في المقابل أن تعزّز شبكة تواصلها مع المجتمع الاستيطاني وخاصة في تل أبيب، التي بدأت تظهر، كمدينة مركزية، ضمن المجتمع الاستيطاني، "ليس على المستوى السياسي والاقتصادي فحسب، وإنما على المستوى الثقافي والمعرفي أيضًا".[330]

ويضيف مصطفى أنه بالرغم من "حالة التوتر السائدة بين الجامعة ومؤسّسات المجتمع الاستيطاني"، فقد تطوّرت الجامعة أيضًا، استجابة لحاجات:

---

[328]. المرجع السابق، ص 193.

[329]. المرجع السابق.

[330]. مصطفى، المؤسّسة، مرجع سبق ذكره، ص 43-44.

مجتمع المستوطنين والتحولات الداخلية التي أنتجتها الهجرات المتعاقبة، علاوة على ازدياد عدد اليهود في فلسطين بين 1930–1935، بشكل مذهل (حوالي 164 ألف يهودي عام 1930 إلى حوالي 355 ألف يهودي عام 1935). فعلى سبيل المثال، افتتحت الجامعة كلية التربية في تشرين الثاني/نوفمبر 1935، كجزء من ازدياد الحاجة التعليمية في مجتمع المستوطنين، وخاصة بعد الهجرة اليهودية الخامسة (كما تسمى في التأريخ اليهودي)، إلى فلسطين، والتي تميز مهاجروها بمستوى تعليمي عالٍ مقارنة مع الهجرات التي سبقتها، فازدادت حاجة مجتمع المستوطنين إلى تأهيل الكوادر التعليمية والتربوية مع ازدياد الإقبال على التعليم الثانوي والعالي، فكانت الجامعة العبرية عنوانًا لتأهيل معلمين لجهاز التعليم الاستيطاني اليهودي في فلسطين، الذي تطور، كمًا ونوعًا، في الثلاثينيات بسبب الهجرات المتعاقبة.[331]

إلى جانب كل ذلك، أقيم فرع لمستشفى هداسا على جبل الصوّانة (سكوبس)، في العام 1939، كجزء من الحرم الجامعي. وقد "عمّق تأسيس المستشفى العلاقة بين الجامعة والمجتمع الاستيطاني اليهودي، وبدأت الجامعة تنغمس أكثر فأكثر بدورها في المشروع السياسي، وجاء ذلك أيضًا بعد أن تم تقييد صلاحيات رئيس الجامعة في أعقاب الإصلاح الإداري في العام 1935". وقد تمت إقامة لجنة تنفيذية للجامعة تتمتّع بصلاحيات واسعة:

ضمت في عضويتها يهودًا من المجتمع الاستيطاني في فلسطين، مثل كاتزنلسون، ورئيس الصندوق القومي اليهودي وغيرهم. ويعتبر أوري كوهن أن حفل التخرج الذي عقدته الجامعة في العام 1936، وكان الحفل الأول الذي أعطيت فيه شهادات نهائية لسبعة عشر طالبًا في العلوم الطبيعية، النقطة التي بدأت فيها عملية ملاءمة الجامعة لاحتياجات المجتمع الاستيطاني اليهودي المحلي.[332]

---

[331]. المرجع السابق، ص 44–45.

[332]. المرجع السابق، ص 45.

لقد مثلت قضية استقلالية الجامعة العبرية، قضية مركزية، في الصراع ما بين إدارة ورموز الجامعة، وبين الحركة الصهيونية، التي حسمت لصالح الحركة الصهيونية، فلم يكن من الممكن أن تسمح الحركة الصهيونية للجامعة، كمؤسّسة معرفية تعليمية بكادرها الإداري والتعليمي وطابعها العام، أن تكون مستقلة في التوجهات والإنتاج المعرفي والبحثي ومنسلخة عن أولويات وأهداف وغايات المشروع الصهيوني.

برزت الخلافات حول كيفية إدارة الجامعة، في السنوات الأولى لتأسيسها، كما ظهرت عدة أحداث تاريخية، أثرت على عمل الجامعة، وتطورها. وشكلت هذه الخلافات الإدارية والأحداث التاريخية، محطة مهمة، في تحول الجامعة إلى شكلها الذي وصلت إليه مع إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين. فقد كان العقد الأول بعد إقامة الجامعة العبرية في القدس، بين عامي 1925–1935، يعج بالتعامل مع مواضيع ومشاكل متعلقة ببنائها، والتي كانت حاسمة فيما يتعلق في تشكيل هويتها وشخصيتها. من هذه الناحية يمكن أن نقسم هذه الفترة إلى ثلاث أجزاء.

الفترة الأولى، 1925–1928: تركز الأمر في مواضيع أولية وأساسية، مثل إقامة الهيئات الإدارية؛ وتحديد مهامهم وصلاحيتهم؛ وسلوك طريقة منهجية؛ وتعين رئيس أكاديمي.[333] أما الفترة الثانية، 1929–1933: فقد حصل فيها حدثان أثرا جدًا على تطور الجامعة. الأول، الأزمة الاقتصادية في الولايات المتحدة، بعد انهيار البورصة عام 1929، والتي أضرت بمصدر أساسي من مصادر تجنيد الأموال الأساسية. وهكذا، وبدلاً من الاجتهاد والعمل في التطوير في هذه السنوات، كانت هناك حاجة ماسة للاحتفاظ بما هو قائم؛ والثاني، صعود هتلر إلى سدة الحكم في ألمانيا (عام 1933)، وما رافق ذلك مع طرد الأساتذة اليهود من الجامعات الألمانية. وهكذا، تسنى تطوير التعليم والبحث في الجامعة من خلال استيعاب رجال العلم اليهود القادمين من ألمانيا، ولهذه الغاية، وجدت، أيضًا، مصادر مالية. في نفس الفترة، طرأ تغيير على علاقة

[333]. برشاي، مرجع سبق ذكره، ص 107.

"اليشوف" اليهودي في البلاد مع الجامعة، فقد شكّلت طلبات "اليشوف" من الجامعة مصدرًا مسرعًا في تطورها.[334]

أما الفترة الثالثة، 1933–1935: فقد كانت الأكثر عصفًا في تاريخ الجامعة، من ناحية التغييرات التي طرأت على إدارتها. ففي ظل الأزمة المالية التي ألمت بالجامعة، وفي ظل الإمكانيات التي توفرت للحصول على طاقة بشرية علمية ولتطوير الجامعة، ظهر سؤال يتعلق بطريق إدارتها. فقد أدى تسلسل الأمور إلى أنه في نهاية عام 1935، عيَّن مجلس أمناء الجامعة لجنة لفحص وضع الجامعة، بهدف إحداث تغييرات في إدارتها، ووضع خطط لتطويرها وتحسينها من خلال استيعاب رجال علم يهود من ألمانيا. وجاء في تقرير اللجنة والذي انتهى في عام 1934، توجيه نقدًا لاذعًا حول طريقة إدارة ماغنس للجامعة. وفي سنوات 1934–1935، تم إجراء تغييرات في البنية الإدارية للجامعة، والذي طال المجال الإداري والمجال الأكاديمي، وفي عام 1935، أقيمت بنية إدارية جديدة للجامعة.[335]

طالبت هيئة التدريس في الجامعة في بداية طريقها تعزيز الجامعة من خلال تعين شخصية مرموقة دوليًا مع سمعة أكاديمية في إدارة الجامعة. وطالب اينشتاين بإقامة دائرة أكاديمية للجامعة، بمعنى أن يكون هناك رئيس إداري ورئيس أكاديمي للجامعة، للحد من سلطة الحركة الصهيونية. وبعد رفض اقتراحه، الذي كان مقبولاً على وايزمان، قدّم استقالته من المهام الإدارية في الجامعة.[336]

عادت قضية العلاقة مع الإجماع الصهيوني، واستقلالية الجامعة، للظهور مجددًا، في الجدالات الصهيونية مع إقامة الكيان الصهيوني عام 1948، إذ أصبحت الحاجة إلى مؤسّسة معرفية تساهم في تحقيق الأهداف الاستعمارية، حاجة أساسية ومهمة، والجديد هنا، أن الجامعة العبرية، نفسها، قد استجابت بسهولة وتماهت

---

[334]. المرجع السابق.

[335]. المرجع السابق.

[336]. المرجع السابق، ص 119–122.

مع المطالب والغايات الصهيونية، ولم تظهر خلافات جذرية عميقة وجدية في هذا الإطار بين الطرفين. فقد:

> التقى وفد من الجامعة العبرية مع بن غوريون، في منتصف شباط 1948، وضم الوفد عميد الجامعة، وأستاذ الرياضيات ميخائيل فاكتا، وعميد كلية الرياضيات والعلوم الطبيعية، وأستاذ الفيزياء جوليو ريكح. وقد ناقش الوفد مع بن غوريون الدور الذي يمكن أن تلعبه الجامعة في البحث الأمني ومكانتها في الدولة القادمة. وأخبر الوفد بن غوريون أن الطاقم البحثي في الجامعة، سوف يجتمع لفحص الدور الذي يمكن أن يلعبه في المسألة الأمنية للمجتمع اليهودي في فلسطين. وقد وجههم بن غوريون إلى شخص يدعى أهرون كتسير ليكون حلقة الوصل بينهم وبين الجهاز الأمني.

ويخبرنا مصطفى أن هذا اللقاء:

> كان بداية العلاقات بين الجامعة العبرية وعملية بناء الدولة اليهودية الجديدة، وهو يشكّل إعادة تعريف للجامعة العبرية، من جامعة يهودية إلى جامعة إسرائيلية. وما يؤكد هذا الادعاء رسالة كتبها كتسير إلى أخيه يخبره فيها أن ذلك يشكّل تحولاً في موقف الجامعة، وأخبره أن الأساتذة والمحاضرين ومساعديهم، في غالبيتهم، أصبحوا جزءًا من التطور الأمني في مؤسّسات المجتمع اليهودي في فلسطين.[337]

لقد تحوّلت الجامعة العبرية منذ ذلك الحين، تماشيًا مع توجّه بن غوريون، من "جامعة الشعب اليهودي (حسب توجّه أحاد هعام، ورئيسها الأول ماغنس) إلى جامعة إسرائيلية ومقّرها في عاصمة الدولة – القدس". في أعقاب استقالة الرئيس الثاني للجامعة زليغ برودتسكي (في نهاية 1951)، على أثر خلاف نشب بينه وبين مجلس أمناء الجامعة الذي رفض التخلّي عن حجم سلطاته الواسعة، أرادت الحكومة الإسرائيلية "استغلال هذه اللحظة، لتقلل من شأن مجلس الأمناء الذي يتكون غالبيته من أعضاء من الخارج، في تحديد

---

[337]. مصطفى، المؤسّسة، مرجع سبق ذكره، ص 53-54.

هوية الرئيس القادم، أراد بن غوريون شخصية تكون غير مستقلة أيديولوجيًا في هذا المنصب، بل رجل ملتزم بما يقرره له النظام".[338] ومن جانب آخر:

لم تكن ترغب إدارة الجامعة وطاقمها الأكاديمي، في الوقت نفسه، بالعودة إلى أيام رئيسها الأول ماغنس، الذي لم تحبه سلطة "اليشوف اليهودي" لاستقلاليته الفكرية وتوجهاته السياسية المختلفة عن التوجهات القومية الصهيونية، بل أرادت شخصية مقبولة على الحكومة، خاصة أن الحجم الكبير من ميزانيتها يأتي من الدعم الحكومي. وتم إرسال قائمة بأسماء المرشحين إلى بن غوريون قبل الانتخابات، وجزء منهم تمت دعوته لمقابلة شخصية مع بن غوريون، والذي دعم بنيامين ميزر (مايزلر) لرئاسة الجامعة، وهذا ما حدث فعلاً، فقد تم انتخابه ليشغل منصبين في الوقت نفسه، عميد الجامعة ورئيسها، وتم ذلك في عملية إجرائية سريعة تضمنت ترقيته إلى درجة الأستاذية العليا.[339]

لقد ترك هذا التعيين آثارًا بالغة على الجامعة على صعيد شدّة تأثير الحكومة على الجامعة. فقد:

دعمت الجامعة، في فترة ميزر تدخل موظفي الحكومة في إدارتها، وتمت زيادة تمثيل الحكومة في اللجنة التنفيذية للجامعة من اثنين إلى ستة أعضاء (من أصل 24 عضوًا)، وتحولت الجامعة العبرية إلى ... المؤسّسة الاعتبارية والأكاديمية الإسرائيلية العليا، والتي تضم كبار العلماء اليهود، والذراع الأكاديمية للحكومة الإسرائيلية. وقد عبر عن المكانة الجديدة للجامعة، سكرتير إدارتها في ذلك الوقت، آشار رشيف، بقوله: "إن البعد بين الجبل (الذي مثلته الجامعة) والسهل (الذي مثله الدولة والمجتمع)، استمر، تقريبًا، حتى عام 1952"، لحين انتُخب ميزر.[340]

---

[338]. المرجع السابق، ص 54-55.

[339]. المرجع السابق، ص 55.

[340]. المرجع السابق، ص 55-56.

لكن، ما أود الإشارة إليه، هنا، هو أن الترابط بين الجامعة العبرية، وبين الأهداف الصهيونية العامة، كان موجودًا وقويًا، حتى في الفترة الأولى لتأسيسها، ولم تكن توجد اختلافات حقيقية وعميقة بين أهداف الجامعة وبين أهداف الحركة الصهيونية، كما لمسنا أعلاه، بل كانت الجامعة متماهية، قلبًا وقالبًا، مع الأهداف "القومية" الاستعمارية للحركة الصهيونية، وكانت تكمن الخلافات، فقط، في تعريف الجامعة، كجامعة، وتحديد الأولويات وليس تحديد الأهداف العامة. فلم تكن الجامعة العبرية، أبدًا، مؤسّسة معرفية مستقلة عن المشروع الصهيوني.

إن هذه التوترات والخلافات والصراعات، بين الحركة الصهيونية من جهة، وبين إدارة الجامعة من جهة أخرى، تعتبر معضلة جوهرية تعاني منها الجامعات، بشكل عام، في المجتمعات المختلفة، وبشكل خاص، في المجتمعات الحديثة، بشأن طبيعة العلاقة المثلى التي يجب أن تقوم بين الجامعة والدولة. ويسلّط قسطنطين زريق الضوء على هذه المعضلة بقوله:

> توجد مشكلة، وهي التي تتصل بعلاقة الجامعة بمجتمعها وبالدولة على وجه خاص. فإن تطور الحياة الحديثة قد وسع سلطات الدولة ومواردها وواجباتها وجعلها مسؤولة عن قطاع متسع من حاجات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. فهي اليوم المصدر الأهم، إن لم نقل المصدر الوحيد، لتغذية الجامعات وسواها من مؤسّسات التعليم العالي. ذلك أن نفقات التعليم العالي ترتفع إلى مستوى تقصر عنه الموارد الخاصة مهما كانت غزيرة أو متأصلة في التقليد الاجتماعي. ومن هنا تثور، بشكل جديد وعلى مدى متسع، قضية حرية الجامعة واستقلالها. وهي قضية مزدوجة: قضية استقلال الجامعة كمؤسّسة، وقضية حرية أساتذتها وأعضاء أسرتها كأفراد.[341]

جاهدت الحركة الصهيونية لمنع استقلالية الجامعة العبرية بكافة الوسائل لأهميتها في البناء الاستعماري الاستيطاني، مما فتح الباب أمام الخلافات التي ظهرت حول الجامعة العبرية/اليهودية، بين من أرادها

---

[341]. زريق، "الجامعات"، مرجع سبق ذكره، ص 16-17.

جامعة، بالمعنى الثقافي والأكاديمي، بمعزل عن أهميتها "القومية"، وبين من أرادها جامعة تخدم الأهداف "القومية الصهيونية" بالأساس.

4-3-3. جامعة يهودية أم عبرية

إن جانبًا من الخلافات والصراعات حول الجامعة العبرية/اليهودية كان مركّزًا بين توجّهين رئيسين هما "الثقافي" و"القومي"، وقد تمثّلت هذه الخلافات بين قيادات الحركة الصهيونية من جهة، وبين الجامعة وطاقمها الإداري والأكاديمي، من جهة أخرى، وتحديدًا، ماغنس، رئيس الجامعة العبرية.

سادت حالة التوتر الدائم بين التوجهين، وشكّلت حرب 1948، ذروته ولكنه حُسم سريعًا لصالح التوجه الثاني، المنادي بتحويل الجامعة إلى جامعة إسرائيلية، أداة تعمل لصالح المشروع الصهيوني والإسرائيلي برمته. فقد كانت الهوية الإسرائيلية، "تعتبر في العقود الأولى من قيام الدولة، مشروع الدولة الرسمي الصهيوني".[342] إذ:

> حاولت مؤسّسات المجتمع اليهودي الاستيطاني، تعزيز حضورها في الجامعة، من خلال زيادة الدعم الاقتصادي والمالي للجامعة، فقد ازداد هذا الدعم على مر السنين، وأصبح مُهيمنًا عشية قيام الدولة، وبعده. فتحولت الجامعة العبرية من جامعة يهودية إلى جامعة إسرائيلية. [إذ] بذلت السلطة، بعد قيام الدولة، جهودًا حثيثة، لصبغ الجامعة العبرية بطابع إسرائيلي وليس يهوديًا بالمفهوم الثقافي. فعملية بناء الأمة الإسرائيلية، كانت تحتاج إلى نفي الطابع اليهودي بمفهوم أحاد هعام. أمة لها حدود جغرافية واضحة وهوية قومية.[343]

وكان التيار ثقافيّ التوجّه، مستمدًا من موقف "الصهيونيّين الروحانيّين" و"الكتلة الديمقراطية"، وهم مجموعة صغيرة كانت مؤلفة من الشباب والطلاب الجامعيّين وخريجي جامعات وسط أوروبا وغربها، الذين قادوا

---

[342]. مصطفى، المؤسّسة، مرجع سبق ذكره، ص 49.

[343]. المرجع السابق، ص 300.

التمرد ضد معتقدات هيرتسل في الشؤون الثقافية. وكانت "معارضة موالية"، يقودها أحاد هعام، أكثر المنتقدين حدة للصهيونية "الهيرتسلية"، ومفكر تركت معتقداته أثرًا لا يُمحى على بلورة الجامعة العبرية. فقد كانت الجامعة معقل الكثيرين من أشد المنتقدين للصهيونية السياسية، وقد جرت بلورتها على نسق معتقدات أحاد هعام بخصوص إقامة مركز روحاني في "أرض إسرائيل"؛ "ورشة مثالية، يجري فيها إعادة تدعيم نهضة الشعب اليهودي، مركز يشع عبر قوة المثال والإرشاد تأثيرًا جديدًا وشافيًا على كل الأمة".[344]

بحسب عميت فقد اعتقد أحاد هعام "أن الثقافة اليهودية مبنية من مدماك على مدماك، والأمة تشكّل ما يشبه الكائن الحي الذي تتعلق وحدته بالعلاقة بين الأجيال. وادعى أن "روح الأمة" تشمل كل الأسس الروحانية لدى الشعب، وبالأساس، الأدب والتاريخ والعادات القومية". وقد برزت معتقدات أحاد هعام جيدًا في النقاش الذي أثير في أعقاب ظهور رواية "الأرض الجديدة–القديمة" (التنيولاند) لهيرتسل (عام 1902). لقد أثارت توصيفات هيرتسل لـ"أرض إسرائيل" بوصفها "فرعًا ثقافيًا ناصعًا لأوروبا" غضب أحاد هعام. وفق توصيف هيرتسل، فإن "الطبقة المثقفة (الصهيونية في فلسطين) تتحدث الألمانية بالأساس، ويُستضاف من على منصات المسارح ممثلون من فرنسا وإيطاليا، ويتغذى الفن التشكيلي على الجمال الإغريقي المثالي والأكاديمية اليهودية التي تطور القيم العلمية الكونية وترعاها". فردّ أحاد هعام على ذلك بقوله: "إن صورة البلد لدى هيرتسل، تفتقر لأي أساس قومي يهودي، وفي واقع الحال كان من الممكن لكتاب "الأرض الجديدة–القديمة" أن يكون وصفة مثالية لنهضة الأمة النيجيرية". وفي مقابل النموذج الأممي والمركزية الأوروبية لدى هيرتسل، طرح أحاد هعام "مثالاً من الثقافة القومية غير الدينية، التي تتغذى على الملكيات الروحانية بأجيالها المختلفة، وهو مثال يستند إلى تأسيس مؤسّسات بحثية وتدريسية". وحتى أنه شدد على "الحاجة لإقامة تنظيم مستقل، ينشط إلى جانب المؤسّسات الصهيونية، ويركز النشاط الثقافي بمعزل عن النشاط السياسي". وقد لقيت "هذه المعتقدات آذانًا صاغية بين رؤساء الجامعة العبرية".[345] وتفاعلت أفكار

---

[344]. عميت، مرجع سبق ذكره، ص 29–30.

[345]. المرجع السابق، ص 30–31.

ورؤى جديدة مع أفكار أحاد هعام، على رؤساء الجامعة العبرية، والتي كانت مستمدة من حركة "بريت شالوم" أي (تحالف السلام).

تأسست حركة "بريت شالوم" في عام 1925، ودعت إلى "إقامة نظام ثنائي القومية في البلد على أساس المساواة في الحقوق السياسية بين اليهود والعرب ومنح الحكم الذاتي لكلا الطرفين، حتى لو كان ثمن ذلك الحفاظ على أقلية يهودية في البلد". ومن بين أعضاء هذه الحركة ومؤيديها، الذين رأوا في أنفسهم تلاميذ أحاد هعام، عدد من الشخصيات المركزية في الجامعة العبرية، منهم، يهوذا ماغنس، رئيس الجامعة العبرية حتى وفاته، وشموئيل هوغو برغمان ومارتن بوبر. إن أفكار الحركة – التي تبنت رؤيا أحاد هعام بإقامة مركز روحاني في إطار الانتداب البريطاني الملتزمة "لليهود والعرب على حد سواء لقيت رفضًا قاطعًا من المؤسّسة الصهيونية، من اليسار واليمين، وكانت نهاية هذه الأفكار واندحارها أمام صهيونية الحركة العمالية".[346]

وأثر أعضاء جمعية "بريت شالوم"، وأفكارهم المتعلقة برؤية أحاد هعام، تأثيرًا حاسمًا على صورة الجامعة العبرية وشكلها في سنوات العشرينيات والثلاثينيات: فنشطت المؤسّسة تحت تأثيرهم وإداراتهم، كـ"جامعة في الشتات"، تعكس الوحدة بين "البلد والمنفى"، وكمعارضة للصهيونية السياسية والإقليمية التي نمت في التيار العمالي الصهيوني. قال شموئيل هوغو برغمان، مطلع عام 1948، إن "رؤيا أحاد هعام لأرض إسرائيل كمركز روحاني لليهودية بأجمعها، تجسد بشكل فعلي في الجامعة العبرية ... على الجامعة أن تكون جامعة اليهودية برمتها".[347]

وقد عبر عن أفكار جمعية "بريت شالوم"، ورؤية أحاد هعام، بوضوح ومثابرة، ماغنس، الذي كان مسالمًا ومناهضًا للإمبريالية ومتضامنًا مع الثورة الماركسية، ورأى في نفسه الصهيوني الحقيقي، الملتزم كل الالتزام

---

[346]. المرجع السابق، ص 31.

[347]. المرجع السابق، ص 32.

"بتجدّد اليهودية الروحاني، وبتأسيس مجتمع مثالي في البلد وبخلق الإنسان اليهودي الجديد".[348] فقد تأثر بتعاليم أحاد هعام بشأن:

> الصهيونية الروحية والثقافية حتى أصبح من دعاتها المتحمسين والمخلصين ... وحين اندلعت الحرب العالمية الأولى، كان من دعاة الموقف السلمي، وأخذ يبتعد عن الصهيونية الرسمية، واستقال من الفرع الأمريكي للحركة الصهيونية في عام 1915. ولم تعد الصهيونية في نظره إقامة الدولة اليهودية أو العمل السياسي من قبل الجماهير اليهودية، بل أصبحت بمثابة صيغة دينية للدعوة التي نادى بها أحاد هعام في الإحياء الروحي. سبق له وحضر المؤتمر الصهيوني السادس، وتوطدت عرى الصداقة بينه وبين حاييم وايزمان، إذ عملا سوية لتحقيق فكرة الجامعة العبرية في القدس.[349]

هنالك جانب آخر من التوترات والخلافات حول الجامعة العبرية، كان يدور بين أوساط اليهود المتدينين. فقد أعتبر اليهود الأرثوذكس الجامعة العبرية/اليهودية "خطرًا وجوديًا" على التقاليد الدينية اليهودية، والتي كانت جزءًا من الخلافات بين اليهود المتدينين وبين اليهود العلمانيّين. فقد وجّه التيار اليهودي الأرثوذكسي نقدًا لاذعًا للجامعة بسبب افتتاحها لمعهد الدراسات اليهودية، تبنّت فيه "توجهات نقدية غير أرثوذكسية في التعامل مع النصوص الدينية، فقد كان مجال الدراسات اليهودية، مجالاً مركزيًا، للبحث والدراسة في الجامعة، لم يتبن التوجه الديني الأرثوذكسي في أبحاثة ودراساته".[350] وقد أصدر الحاخام سوننفلد، رئيس اليهود الأرثوذكس الروحي، في القدس، نداءً طلب فيه من أتباعه أن يعلنوا حدادهم، مدة ثلاثة أيام، بمناسبة افتتاح الجامعة العبرية، لأن وجودها خطر على التقاليد الدينية اليهودية.[351] وكان ذلك من ضمن "مسألة طابع الصهيونية الروحاني–الثقافي، والذي في أساسه، دار الجدل الثقافي حول موقف الصهيونية من الدين

---

[348]. المرجع السابق.

[349]. أنيس صايغ (إعداد)، **الفكرة الصهيونية**، مرجع سبق ذكره، ص 315–316.

[350]. مصطفى، **المؤسّسة**، ص 45.

[351]. "اليهود الأرثوذكس والجامعة"، **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 767–10، 7 نيسان 1925، ص 5.

والحداثة والجمع القومي، فقد كان موقف الحريديم معارضة شمل "العمل الثقافي" في الفعل الصهيوني خشية تدخل العلمانيّين في المسائل الدينية".[352]

وجدت قضية رئيسة أخرى مرتبطة بالنقاش بين قيادة التيار العمالي الصهيوني وبين الجامعة، وهي العلاقة بين العامل اليدوي والعامل الفكري. فقد سبق هذا النقاش تأسيس الجامعة العبرية بنحو عقد من الزمان. وكان الجدل حول إقامة الجامعة العبرية في فلسطين يدور في الإعلام الصهيوني خلال العقد الأول من القرن العشرين. وكان يدور النقاش المركزي المناوئ بالأساس لإقامة الجامعة، على اعتبار أن "الشعب اليهودي" يميل بشكل مفرط إلى الروحانية، وعليه فإنه ليس بحاجة إلى مؤسّسة أخرى تبعد شبابه عن العمل اليدوي من أجل إعادة إحيائه. ولكن، أهمية العمل اليدوي لا تكمن أساسًا في توفير مصدر رزق للـ"وافدين الجدد" غير المدربين، وليس فقط لأنه يضمن الاستيطان في الأرض الأمر الذي يمنح شرعية أخلاقية لعملية الاستيطان نفسها، بل أكثر من ذلك، فقد كان العمل اليدوي من المنظور الصهيوني يُعتبر عملية لإعادة تشكيل الحياة اليهودية برمتها تسعى إلى تغيير طبيعة اليهودي الجوهرية. وذلك يتم "من خلال تحويل اليهودي من ساكن مدينة إلى إنسان منتج يعتاش على ثمار عمله. فقد كان المقصود من العمل اليدوي جعل اليهودي أكثر قربًا من طبيعته، من التربة، ومن القوى البدائية". وكان ذلك يُعد "ثورة أخلاقية" سترافق "الثورة القومية"، فاليهودي الجديد سوف ينهض من جديد من خلال تواصله مع الأرض الأم – أرض فلسطين.[353] وقد التف حول أهرون غوردون، "كاهن العمل الجسدي الأعظم"، جمهور المناوئين للجامعة، باعتبارها مؤسّسة تعزّز التناقض بين العمل اليدوي وبين النشاط الفكري، وتشرّع تهرّب الشباب اليهودي من العمل الجسدي.[354]

---

[352]. عميت، مرجع سبق ذكره، ص 29.

[353]. يُنظر: Shapira، مرجع سبق ذكره، ص 186.

[354]. المرجع السابق، ص 186–187.

لقد تعدّدت الآراء الموافقة والمعارضة و"النقدية" للجامعة، والغايات المتعددة، والاختلافات حولها، من قبل العديد من الصهيونيّين، كأفراد أو تيارات، كل واحد منهم، وفقًا لتحليله وغاياته وأهدافه، ووفقًا لرؤيته النظرية والعملية حول المشروع الصهيوني الاستعماري، وموقع الجامعة في هذا المشروع. لكن، توافقت الغالبية العظمى على أهمية الجامعة، كمؤسّسة معرفية تخدم المشروع الصهيوني الاستعماري الاستيطاني، وتخدم "الشعب اليهودي" في جميع أماكن تواجده، في "الوطن القومي" في فلسطين، وفي "الشتات"، وفي أهميتها لليهودية ولإعادة إنتاج اليهودي الجديد.

ظهرت الجامعة العبرية/اليهودية تحقيقًا لغايات وأهداف وايزمان، بالإضافة إلى أهداف ورؤية الحركة الصهيونية، في عدة سياقات هامة: السياق "القومي اليهودي" الصهيوني؛ سياق البعث الثقافي اليهودي، وسياق استبطان البعد الديني وتوظيفه في المشروع الصهيوني؛ وكذلك في السياق الاستعماري الاستيطاني.

4-4. فكرة إنشاء الجامعة في السياق "القومي اليهودي" الصهيوني

جاءت فكرة إنشاء الجامعة العبرية/اليهودية في فلسطين مرادفة ومعززة لبناء "الوطن القومي اليهودي" بالصيغة الصهيونية. وضمن هذا السياق، تبلورت فكرة الجامعة لتحقيق وتعزيز عدة رؤى لدى الحركة الصهيونية. فقد شكّلت وعزّزت الجامعة، بوصفها منارة لاستحداث "قيم يهودية جديدة" تسعى إلى مؤازرة الحركة "القومية اليهودية" في فلسطين لبناء الإنسان والواقع اليهودي الجديدين.

فقد تأسّست الجامعة العبرية من أجل "أمة لم تكن أثناء التأسيس موجودة في البلاد، وكان ممثلوها أقلية في بلد غالبية سكانها من العرب؛ وقد شُيدت لصالح مجتمع المهاجرين، لغرض تعريفه ومن أجل إظهاره، كمركز ليهود العالم أجمع، ثم أنها أُستخدمت أيضًا كوسيلة سياسية بيد الحركة الصهيونية".[355] وقد تمثلت هذه الغاية في خطاب حاييم وايزمان أثناء وضع حجر الأساس، الذي "ربط فيه بين جوهر الجامعة في هذه

[355]. عميت، مرجع سبق ذكره، ص 30.

المرحلة والمهمات التي تقف أمام الشعب اليهودي على المستوى العملي، في محاولة لربط الجامعة مع فكرة الصهيونية السياسية العملية، ومنسجمة مع الخطاب الاستعماري الاستيطاني الصهيوني حول "تحديث البلاد"".[356]

تشير أنيتا شابيرا إلى أن دور الجامعة الهامشي في تنمية الثقافة القومية، خلال سنوات تشكّل الحركة الصهيونية بوجه عام، والتيار العمالي الصهيوني بوجه خاص، ينبع من حقيقة أن الجامعة العبرية لم تكن عاملاً مساعدًا في "الحركة القومية"، بل كانت نتيجة لظهورها. كما أن البنية الثقافية العبرية العلمانية كانت قد وجدت مسبقًا عند تأسيس الجامعة العبرية في منتصف العشرينات بشكلٍ مستقل عن الأكاديميا. وكانت هذه الحقيقة، ذات أهمية كبرى، في تحديد مكانة الجامعة في المجتمع المحلي.[357] لكن، وايزمان وبوير وفايبل، في كتابهم "مدرسة يهودية عليا" (1902)، ربطوا الجامعة العبرية بـ"الحركة القومية اليهودية"، واعتبروها المركز بالنسبة للقومية اليهودية المصطنعة والحاضنة "للشعب اليهودي"، والتي من خلالها سيتم تعريف "الشعب اليهودي"، وتكريس "القومية اليهودية". فقد جاء عند المؤلفين بشأن العلاقة بين الجامعة وبين "الحركة القومية اليهودية" ما يلي:

> لذلك، فإن المدرسة اليهودية العليا، بحكم جوهرها، مرتبطة ارتباطًا شجاعًا مع حركة الحرية القومية الكبيرة. ستكون المدرسة اليهودية العليا بذاتها رمزًا ظاهرًا للقومية اليهودية الحية، وللروح اليهودية المبدعة، وفي نظر الملتزمين ببقاء شعب إسرائيل ومستقبله والعيش من أجله، فإنها ستكون مركزهم الروحاني، وللذين يشكّكون في الشعب اليهودي، فإنها ستكون مركزًا جديدًا وقويًا، ولكل الذين يطالبون بقتل الشعب اليهودي ... فإنها ستكون حصنهم غير القابل للهدم.[358]

---

[356]. مصطفى، المؤسّسة، مرجع سبق ذكره، ص 40؛ وايزمان، "أثناء وضع حجر الأساس"، مرجع سبق ذكره، ص 26.

[357]. يُنظر: Shapira، مرجع سبق ذكره، ص 186.

[358]. مصطفى، المؤسّسة، مرجع سبق ذكره، ص 35-36.

أسّست الجامعة العبرية، في أيار 1945، لجنة "كنوز المنفى"، التي مثلت مطالب الجامعة و"المكتبة الوطنية". سعت هذه اللجنة إلى تجميع الآثار الثقافية لليهود في أوروبا، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، واعتبرت الجامعة العبرية والمكتبة الوطنية في القدس الوريث لثقافات اليهود المختلفة، بحكم أنها مثلت المكان الوحيد لتجديد قيم وتراث اليهودية، والحاضنة للثقافات اليهودية، والمكان الذي سيعمل على إعادة انبعاث "الشعب اليهودي"، و"حضارته وقيمه الأزلية". سعى جميع أعضاء اللجنة إلى إقناع قوات التحالف (الدول التي سيطرت على ألمانيا الغربية، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وخاصة الولايات المتحدة) بضرورة منع نقل الأملاك إلى الولايات المتحدة وإلى من تبقى من التجمعات اليهودية في أوروبا. وبكونهم صهيونيّين، آمن أعضاء لجنة "كنوز المنفى" بأن:

> مركز اليهود المستقبلي موجود في فلسطين/أرض إسرائيل. وقد شككوا بقدرة التجمعات اليهودية على الانبعاث مجددًا: لقد خلفت المحرقة فيهم أثرًا كبيرًا من التشاؤم بخصوص إمكانية وجود حياة يهودية في المنفى، وفي الوقت نفسه، كانوا يشككون تشكيكًا عميقًا في حق من تبقى من التجمعات اليهودية بالحصول على الملكيات الثقافية.[359]

تواصلت بعد ذلك جهود الجامعة العبرية للحصول على الملكيات الثقافية من أوروبا لسنوات طويلة، وذلك بفعل الإيمان والاعتقاد الراسخ بأن "دولة إسرائيل" هي الوريث الوحيد "للتراث اليهودي الأوروبي وغير الأوروبي، لأن الصهيونية هي الممثلة الحصرية للشعب اليهودي وموقع انبعاث وتجدد الثقافة اليهودية". كذلك ينطوي هذا المسعى على إيمان بضرورة رفض الصهيونية ودولة إسرائيل المتواصل "الاعتراف بأن الثقافة اليهودية يمكن أن تتواجد أيضًا خارج حدود أرض إسرائيل الجغرافية".[360]

لقد كان للجامعة دور أساس ومهم في بناء تلك "القومية" ودور مساهم للـ"حركة القومية اليهودية" الصهيونية، لتعزيز وتطبيع الوجود الصهيوني في فلسطين، من خلال ربط الثقافة والحياة اليهودية في "الشتات" بـ"الوطن

---

[359]. عميت، مرجع سبق ذكره، ص 45-46.

[360]. المرجع السابق، ص 81-83.

القومي اليهودي" في فلسطين، ومن خلال اعتبار أن فلسطين هي المكان الوحيد الذي يمكن أن يرث تلك الثقافة والحياة. فقد جمع وايزمان، في خطاب افتتاح الجامعة العبرية، بين العلم والجامعة، من جانب، ومن جانب آخر، بين "الوطن القومي اليهودي"، إذ اعتبر إنشاء الجامعة قمة المجد في إقامة "الوطن القومي" بعد صدور وعد بلفور وتغير العالم اليهودي. بالإضافة إلى رمزية من قام بافتتاح الجامعة، الذي افتتحها اللورد بلفور، صاحب الوعد بإقامة "الوطن القومي اليهودي":

> قد بقي لي أن أرحب، باسم المؤسّسين، بجميع الذين شرفوا هذه الحفلة بوجودهم اليوم، ويسرني، بوجه خاص، أن أرحب باللورد بلفور، ليس بصفته العالية في عالم الفكر فقط، بل كممثل عن جامعة تاريخية، ولا سيما، كرجل سياسي، اقترن اسمه بالمنحة الكريمة التي غيرت وجه العالم اليهودي في سنة 1917. إن الجامعة التي سيدشنها الآن اللورد بلفور هي إكليل المجد الذي توج به وطننا القومي.[361]

كذلك، فقد اعتُبرت الجامعة حجرًا من أحجار الهيكل الذي تسعى الصهيونية إلى بنائه في فلسطين، والطريق إلى "المستقبل اليهودي" في أرض فلسطين، والمكان الذي سيعمل على تجديد اليهودية كما رأتها الصهيونية. فقد جاء في خطاب وايزمان، أمام المؤتمر الصهيوني الحادي عشر، في فينا (8 أيلول/سبتمبر 1913): "تعتبر مدرسة التعليم العليا حجر الأساس لبناء المستقبل، والتي سنقيمها من أجل "اليهودية الجديدة في أرض إسرائيل"، ولكن، من أجل أن نقوم بذلك، علينا أن نبدأ، من الآن، في بناءها بكل تقدير".[362] ربط وايزمان، في معرض خطابه في حفل وضع حجر الأساس، بين الجامعة القائمة على العلوم اليهودية وبين "الوطن القومي"، واعتبر الجامعة جزءًا لا يتجزأ من هذا "الوطن"، وأشار إلى أهمية الجامعة و"الوطن القومي" كـ"الجسد والروح"، اللذين لا يمكن الفصل بينهما، بالإضافة إلى كونها "الملاذ الآمن الذي سيجمع اليهود من المنفى"، وعامل أساسي، في "توطين" اليهود في فلسطين: "هناك قيمة كبرى لهذه الجامعة في

---

[361]. "الخطب التاريخية ... وايزمان"، **فلسطين** (صحيفة)، مرجع سبق ذكره، ص 3.

[362]. وايزمان، "حول فكرة الجامعة"، مرجع سبق ذكره، ص 12.

إقامة بيتها القومي، إذ ستكون الجامعة العبرية، والتي ستستثمر التوراة العبرية والإرث العبري فيها كجزء مكمل لبنائنا القومي قولاً وعملاً".[363]

وأضاف:

من اليوم فصاعدًا، فإن الجامعة العبرية، أصبحت حقيقة واقعية. جامعتنا العبرية، المستندة إلى التعليم اليهودي والطاقة اليهودية، سوف تُصاغ كجزء لا يتجزأ من بناءنا القومي الموجود حاليًا في طور الإقامة، سوف يكون لها قوة جاذبة، تسحب وتجذب إليها من هم أكثر نبلاً في اليهودية، في كل أرجاء العالم، وسوف يكون هذا مركز موحد لكل عناصرنا المشتتة. هنا، ستصل الروح المتجولة لشعب إسرائيل إلى ملجأ آمن. ومرة أخرى، لن تستنفذ عبثًا قوتها في التجوال دون راحة ودون هدف. سوف يسكن شعب إسرائيل، أخيرًا، في أمان، في سلام مع نفسه ومع العالم كله. أسطورة تلمودية، تتحدث عن الروح اليهودية المفصولة عن الجسد، والتي تحلق بين السماء والأرض، هذا هو وضع روحنا في هذه الأيام، غدًا ستجد لها (الروح) مأوى في هذا العش الآمن. هذه هي قناعاتنا.[364]

وقد وافقه في ذلك، حاييم بياليك، في كلمته في حفل افتتاح الجامعة، والذي شدّد هو الآخر على أهمية "الروح والجسد" الواحد، كما اعتبر أن الجامعة، مؤسّسة من "المؤسّسات القومية اليهودية" الرئيسة التي لا بد من إنشائها لاستكمال بناء "الوطن القومي":

ليقل الناس ما يريدون: إن هذا الشعب العجيب المسمى إسرائيل، قد قبل، رغم جميع التقلبات التي حاولت، كل يوم وكل ساعة خلال ألفي سنة، أن تجعله غريبًا عن محيطه وأن تقتلعه من جذوره الروحية، أن يتحمل جسديًا وروحيًا تبعة الولاء الأزلي لمملكة الروح. ففي تلك المملكة، يستطيع تمييز نفسه، كمواطن مبدع، وفي تلك التربة الأبدية، غرس أقدامه وثبتها إلى الأبد، ولم يستطع

---

[363]. وايزمن، "أثناء وضع حجر الأساس"، مرجع سبق ذكره، ص 28–29.

[364]. وايزمان، "خطاب وضع حجر الأساس"، مرجع سبق ذكره.

ذلك النفي الملعون، ولا استطاعت آلام شعبنا كلها، أن تغير شكل طبيعته الأساسية، ومن خلال اضطراره لأن يضحي بالحياة الدنيا المادية من أجل حاجاته الروحية ... لقد شكلت الأمة اليهودية أسس تراثها القومي ومؤسّساتها القومية الرئيسية ضمن حدود مملكة الروح، وهذا مما ساعد على بقائها خلال آلاف السنين من التيه، وصان حريتها الداخلية وسط العبودية الخارجية، وأدى إلى هذه المناسبة السعيدة بافتتاح الجامعة على جبل الزيتون (الصوّانة).[365]

كذلك، اختزل بن غوريون "الثورة اليهودية"، في مقالته عن معنى "الثورة اليهودية" (1944)، بـ"الاستقلال"، والذي وصفه وصنفه إلى عدة "استقلالات"، ومنها الاستقلال الثقافي، فإنشاء الجامعة العبرية من أهم متطلبات الاستقلال الثقافي، هذا "الاستقلال" الذي سيؤسس لاستقلالات أخرى، ومنه ستظهر الحرية السياسية والاقتصادية والأخلاقية والروحية والفكرية:

إن معنى الثورة اليهودية، يكمن في كلمة واحدة: الاستقلال! الاستقلال للشعب اليهودي في وطنه! فالاتكال لا يكون سياسيًا أو اقتصاديًا، فحسب، ولكنه أخلاقي وثقافي وفكري، يؤثر على كل عضو وعلى كل عصب في الجسم وعلى كل عمل إرادي أو لا إرادي. والاستقلال يعني أكثر من الحرية السياسية والاقتصادية، فهو يشمل، أيضًا، المجالات الروحية والأخلاقية والفكرية، أنه استقلال في القلب وفي العواطف وفي الإرادة. ومن هذا المعنى الجوهري للحرية، ستنشأ أشكال أخرى من الاستقلال في حياتنا وفي نظامنا الاجتماعي وفي علاقتنا مع الشعوب وفي تركيبنا الاقتصادي. بالإضافة لذلك، فإن استقلالنا سيتحقق عن طريق العمل واستغلال الأرض، وعن طريق توسيع أفق لغتنا وثقافتنا، وإتمام أساليب حكمنا الذاتي ودفاعنا عن أنفسنا، وخلق الإطار والظروف المناسبة لاستقلالنا الوطني وإبداعنا، وأخيرًا عن طريق الحصول على استقلالنا السياسي. هذا هو جوهر الثورة اليهودية.[366]

---

[365]. بياليك، مرجع سبق ذكره، ص 173.

[366]. بن غوريون، مرجع سبق ذكره، ص 477.

لقد ربط وايزمان، في عدد من خطاباته، بين الجامعة وبين حياة المجتمع اليهودي. وحدّد وظائف الجامعة، بالعمل على تلبية احتياجات هذا المجتمع الوليد، من خلال تكامله الفكري في الربط ما بين الزراعة والصناعة وبين الجامعة بما تمثله من مكان لإنتاج المعرفة والفكر وتدريس الطلاب اليهود، فهذه العناصر، تشكّل محور صناعة اليهودي الجديد، ومحور إنتاج "القومية اليهودية"، بصيغتها الصهيونية. وتشكّل هذه العناصر أيضًا الركائز الأساسية، التي يرتكز إليها المشروع الاستعماري الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، والتي ستساهم، بشكل أساس، في "بناء الوطن"، من خلال عملية ربط الزراعة والصناعة مع الجامعة بما يمثلان أهمية علمية للاستعمار واستيطان الأرض:

> إن مدرستنا الزراعية في تل أبيب، ومدرستنا الصناعية في حيفا، مرتبطتان مع هذه الجامعة، وستكونان في المستقبل، أشد ارتباطًا بها. فالأولى، تشتغل في تطبيق العلم على الزراعة، والثانية، في تطبيقه على الصناعة، فالأبحاث العلمية مع تطبيقها لفائدة أهل فلسطين، ستكون أغراض هذه الجامعة الوليدة.[367]

ويضيف في مكان آخر:

> لقد تحدثوا هنا كثيرًا عن الأمور الملحة في العالم، أنا أريد فقط أن أقول شيئًا صغيرًا: إذا لم يكن هناك قمح، فلن تكون هناك توراة. أنوي الربط بين الحياة في البلاد وبين الجامعة، والتي من أحد وظائفها، أن تشرف على احتياجات الحياة الاقتصادية في اليشوف، وأن توجه الحياة في البيت القومي.[368]

كما شدّد كل من وايزمان وكلاوزنر على أهمية أن تكون لغة التدريس والبحث في الجامعة، هي اللغة العبرية، وأن الجامعة هي المكان الذي من خلاله سيولد كل شيء "عبري"، إذ ربطت الصهيونية، كل شيء،

---

[367]. "الخطب التاريخية ... وايزمان"، **فلسطين** (صحيفة)، مرجع سبق ذكره، ص 3.

[368]. حاييم وايزمان، "كلمة إلى اليشوف: خطاب حفل خريجي الجامعة العبرية، في تل أبيب، 3 نيسان 1933"، في: **حاييم وايزمان حول الجامعة العبرية**، مرجع سبق ذكره، ص 33. [بالعبرية]

في المجتمع اليهودي الاستيطاني، بمصطلح "عبري"، الذي يشير إلى البُعد القومي خلافًا لليهودية التي تشير إلى البُعد الديني، لتعزيز وتطبيع الوجود الصهيوني في فلسطين، مثل "العمل العبري" والجامعة العبرية. إذ إن اسم الجامعة "العبرية" جاء في سياق إحياء وإعادة انبعاث "التاريخ القومي اليهودي"، لتكتمل حلقة أخرى من حلقات وسلسلة عمليات صناعة اليهودي الجديد، وإنتاج وخلق "القومية اليهودية الجديدة"، وتطبيع الوجود الصهيوني في فلسطين، كما جاء عند وايزمان:

> يجب أن تكون الجامعة العبرية، معبد مجد روح إسرائيل، ومكان جريء للعلم العبري والبحث العبري والثقافة العبرية. علينا أن نحشد طاقاتنا لأن البناء الذي سوف نقيمه، عليه أن يلائم أهدافنا. وثمة مبدأ أساس وحاسم يحدّد روح الجامعة ومصيرها، وهو لغتها. الجامعة مطالبة أن تكون عبرية، وفي حال بدأنا عملنا الثقافي بلغة أخرى، سوف تشوّه روحنا. يجب أن نبدأ بجامعتنا بأن تكون عبرية، لأن اللغة ليست عامل قومي وحسب، وإنما عامل سياسي مهم.[369]

ويضيف كلاوزنر: "وأفضلية تدريس الآداب باللغة العبرية، هي أن اللغة العبرية ستغرس الوعي القومي في الطلاب، ولن يخجل اليهودي بعد ذلك من يهوديته".[370]

لقد تم الجمع بين الجامعة العبرية وعملها، وبين "العمل السياسي القومي" الصهيوني، إذ اعتبر عمل الجامعة في صلب العمل السياسي. وأن الجامعة تشكّل قيمة "قومية سياسية" مهمة، بالإضافة إلى كونها، تمثل قيمة ثقافية علمية. فمن خلالها سيتم نشر "الأفكار القومية اليهودية" والمساهمة في تغلغلها وتكريسها في المجتمع اليهودي. فقد توافق معظم القيادات الصهيونية حول هذه الرؤية، من السياسي والكيميائي وايزمان إلى الباحث بالتاريخ كلاوزنر والشاعر بياليك، إذ شدّدوا جميعًا على أهمية استخدام وتوظيف المعرفة العلمية، من خلال الجامعة، لتحقيق المشروع السياسي.

---

[369]. حاييم وايزمان، "معبد مجد روح إسرائيل: من خطاب في جلسة اللجنة الصهيونية، 8 شباط 1920"، في: **حاييم وايزمان حول الجامعة العبرية**، المرجع السابق، ص 30. [بالعبرية]

[370]. كلاوزنر، مرجع سبق ذكره، ص 8.

يشير إلى ذلك يوسف كلاوزنر بقوله:

إن إنشاء هذه الجامعة سوف يعزّز قواعدنا السياسية: إن طلاب مؤسّسات التعليم العالي، في كل مكان، هم حاملو شعلة الأفكار القومية السياسية. تخرَّجت الحركات القومية العظيمة، في كل بلد وبلد، من نفس المجموعة المكتظة من الشباب المثقفين الأحرار والتي نطلق عليها نحن تعبير الطلاب الجامعيّين. وحين يتخرّج هؤلاء من كلياتهم وينتشرون في البلاد سوف يحتلون أهم المواقع في المجتمع. لهذا، فإنهم سوف يُدخلون الأفكار السياسية القومية التي منحتها إياهم الجامعة في كل مكان. وبهذا فهم يعتبرون الخميرة، المادة النابضة بكل الحياة القومية العامة. إلى أي درجة نحتاج إلى مثل هذه الخميرة في البلاد التي بدأنا لتوّنا بالتحصّن فيها، ونعقد عليها آمالاً عظيمة لمستقبلنا فيها؟ لا حاجة لتوضيح ذلك (لأنه واضح).[371]

أما وايزمان، فقد أوضح أهمية عمل الجامعة السياسي في مقالته "حول الجامعة العبرية" (1918/1917) بقوله:

إن الإكثار بالحديث عن القيمة الثقافية للجامعة هو أمر زائد عن اللزوم. أنا أريد فقط أن أذكّر مجددًا المشكّكين أنه في ظل ظروف الشتات، فإن كل عمل ثقافي هو أيضًا عمل سياسي، ولربما أيضًا هو الوسيلة الأساسية للعمل السياسي. من الصعب جدًا، في ظروف الشتات، أن نخلق مؤسّسات قومية يكون لها طابعًا سياسيًا واضحًا، وفي نفس الوقت، نوحّد جميع يهود العالم. إن انبعاث الثقافة العبرية، هو ربما وبسبب كل ما قيل، هو الشكل الموثوق والديمومي لعملنا السياسي العالمي. إن الجامعة العبرية، من شأنها، أن تكون قوة سياسية محركة، مركز قوى، والذي منه سيتدفق سيل قوي باتجاه كل اليهود المبعثرين.[372]

---

[371]. المرجع السابق، ص 3.

[372]. وايزمان، "حول الجامعة العبرية"، مرجع سبق ذكره، ص 21.

وشبّه بياليك، في معرض خطابه في حفل افتتاح الجامعة العبرية، الجامعة بالبيت، إذ اعتبرها أساس العمل السياسي، الذي يطمح إليه اليهود الذين جاءوا من مناطق عديدة من أجل "إعادة الحياة" لهذا "الوطن القومي":

> أيها السيدات والسادة: إن آلافًا من شبابنا يتدفقون من زوايا الأرض الأربع ملبين نداء قلوبهم من أجل تخليص هذه البلاد من العزلة والخراب. إنهم على استعداد لصبّ آمالهم وحنينهم لإفراغ قوة شبابهم في حضن هذه الأراضي البور، وذلك من أجل إحيائها. إنهم يقتلعون الصخور ويجفّفون المستنقعات ويشقّون الطرق وسط الغناء والابتهاج. إن هؤلاء الشباب يعرفون كيف يرفعون العمل الخام –العمل الجسدي– إلى أعلى مستويات القدسية، أي إلى مستوى الدين. إنه من الواجب علينا أن نشعل مثل هذه النار المقدسة ضمن جدران البيت الذي افتتحناه الآن على جبل الزيتون (الصوّانة). فليبنِ هؤلاء الشباب القدس الأرضية بالنار، وليبنِ أولئك الذين يعملون داخل هذا البيت القدس السماوية بالنار أيضًا، فالفريقان سيعملان على بناء الحياة لنا. "لأنك أنت أيها الرب جعلت النار تلتهمها وأنت الذي ستجعل النار تبنيها من جديد" (عبارات إحدى الصلوات اليومية).[373]

وقد أوضح يوسف كلاوزنر، أهمية إنشاء وبناء كلية الآداب، في إطار "الحركة القومية اليهودية"، وكعامل مساهم أساسي في العمل الاستيطاني وللمشروع الصهيوني الاستعماري الاستيطاني، وفي إنتاج طبقة مثقفة تساعد في تلبية احتياجات المشروع الصهيوني، بعكس كلية الطب، "التي ستُخرّج مهنيّين فقط وتعمل على تفريغ المجتمع اليهودي من قواه العاملة". فقد حاول من خلال هذا أن يعرض معارضاته للاقتراح السائد بين العديدين، أن تكون أول دائرة في الجامعة العبرية المزمع إنشاؤها هي كلية الطب. جاء في اعتراضه الرابع إن إنشاء مثل هذه الكلية، بداية، سوف يجذب الشباب الذين يبحثون عن مستقبل مهني ناجح ولن تكون "الروح العبرية وحب البلاد من الدوافع المركزية لهم للمجيء إلى البلاد لدراسة الطب. إننا لا نرغب بمثل هذه المادة البشرية بتاتًا، ولا لمثل هؤلاء الشباب، يحتاج شعب إسرائيل أن يهتم بأرض إسرائيل تحديدًا".

---

[373]. بياليك، مرجع سبق ذكره، ص 178–179.

ويضيف معارضة أخرى، ويقول: إن أبناء العمال والمزارعين، سوف يتركون أعمالهم وحقولهم، في حال إنشاء كلية الطب بداية، ليكونوا أطباء، وبهذا، فسيخسر المشروع الصهيوني القوى العاملة التي تحتل الأرض وتزرعها وتساهم في الإنتاج.[374]

أما اقتراحه الإيجابي فيتلخّص بإنشاء كلية الآداب، لأن العاملين في هذه الحقول، يتقنون اللغة العبرية الضرورية كلغة تدريس، وكلغة ينشرون من خلالها "الفكر القومي اليهودي"، ويغذّون طلابهم بها. لن تستقطب هذه الكلية "شبانًا يبحثون عن مستقبل مهني ناجح لا يتمتّعون بمُثُل سامية"، ولن تستقطب أبناء العمال والمزارعين كذلك، وأن هذه الكلية سوف تخرّج مدرسين يتم استيعابهم فورًا في المدارس التي ستقام تباعًا: "إن إحدى الأفضليات العظيمة لبناء كلية الآداب، هي أنها لن تضر بالاستيطان –عمال ومزارعين– ولن تربي بروليتاريا روحانية –مجرد أدباء ومثقفين لا يجيدون العمل الاستيطاني".[375] ويضيف:

> من بين جميع المضايقات والاضطهادات التي يعتمدها الأعداء في الثلاثين سنة الأخيرة ضدنا، فإن حرماننا من فرصة استكمال الدراسة العليا هي الأصعب من بينها جميعًا. إنهم يسعون إلى قمعنا حتى نلعق التراب، يسعون إلى تحويلنا إلى حقيرين ومنحطّين، تحويلنا إلى غجر. لهذا فإنهم يحرموننا لا من الحقوق الإنسانية فحسب، بل حتى من الدراسة الإنسانية (الحق الإنساني بالدراسة). ويمكن محاربة هذه الضائقة من خلال إنشاء كلية عليا للآداب، لأن جميع الكليات/الدوائر الأخرى في الجامعة إنما تقوم بتخريج حرفيّين لا مثقفين بالمعنى الحقيقي للكلمة.[376]

كما شدّد كلاوزنر على أهمية دراسة الآداب للوعي "القومي اليهودي"، ولبناء اليهودي الجديد، وعلى دور الجامعة في رسم صورة اليهودي الجديد، وذلك في إطار سعي الصهيونية للسيطرة على تشكيل الوعي

---

[374]. كلاوزنر، مرجع سبق ذكره، ص 5.

[375]. المرجع السابق، ص 6–7.

[376]. المرجع السابق، ص 7.

اليهودي ضمن مجتمع المستوطنين والعالم اليهودي، وتوافقت هذه الغاية مع الغاية التي سعا إليها وايزمان من خلال إنشاء الجامعة العبرية كذلك. فقد استعرض وايزمان، في كتاب "مدرسة يهودية عليا" (1902)، "الفائدة القومية" من الجامعة:

> ستساهم المؤسّسة اليهودية في إحياء الشباب اليهودي، حيث إنها ستكون مكانًا لنهضة فكرية لا يقيدها أحد، كما أنهم سوف يوظفون المعرفة لخدمة الأمة اليهودية ومستقبلها. كما أن المؤسّسة سوف تجذب الشباب اليهودي من جديد لفكرة التحرر القومي، وخاصة في ظل عزوف الكثير من الشباب عن هذه الفكرة، إذ إنها ستُحيي الروح القومية اليهودية في نفوسهم، وسيقومون بدورهم بنشرها بين اليهود، الذين سوف يستمدون قوتهم وعزتهم من هذا المشروع القومي.[377]

ويوضح كلاوزنر: خلافًا لجميع الكليات، فإن كلية الآداب تغذّي "الوعي القومي"، لأن بقية الكليات، ككلية العلوم الطبيعية والطب وغيرها، لا طابع قومي لها، "وحتى لو كان لها طابعًا قوميًا كذلك فإنه غير جلي". أما خارج البلاد، فإن الطلاب اليهود الذين يدرسون الآداب في الجامعات الأوروبية المسيحية، فإنهم يشعرون دومًا بالمعاداة للسامية لدى المحاضرين، الأمر الذي سوف يعيق دراستهم ويحرمهم من بيئة دراسية مريحة نفسيًا. أما الجامعة العبرية، فسوف توفّر مثل هذه البيئة المريحة نفسيًا للطلاب اليهود بحيث يشعروا بأنهم في بيتهم لا في بيوت "الأغيار".[378]

لقد شدّد وايزمان على أهمية الجامعة العبرية في عملية إنتاج "قيم يهودية جديدة"، وأهمية هذه القيم لمجموعة اليهود المتواجدين في فلسطين، وليهود "الشتات" كافة، وتأثيرها الروحاني الكبير على إعادة تشكيل الوعي اليهودي. فقد ركّز في عرضه لبنود خطة إقامة الجامعة العبرية، في خطابه أمام المؤتمر الصهيوني الحادي عشر (عام 1913) على التأثير الإيجابي الذي من شأنه أن تلعبه الجامعة تجاه يهود العالم:

---

[377]. مصطفى، المؤسّسة، مرجع سبق ذكره، ص 36.

[378]. كلاوزنر، مرجع سبق ذكره، ص 7-8.

مسموح أن نخوض، وبشكل مطول، أمام المؤتمر الصهيوني بشأن الضرورة القومية للجامعة العبرية وأهميتها. كلنا نعترف بالقيمة العظمى لوجود مركز فكري، يستطيع اليهود فيه، أن يعلموا ويتعلموا ويبحثوا في ظل جو أخوي وخال من التنكيلات، وفي ظل مجتمع يهود متحرّرين من اضطهاد الثقافة الأجنبية عليهم، ونابعة من توق إلى إنتاج قيم يهودية جديدة، وتناغم بين تقاليدنا الكبرى والعالم الحداثي. في ظل كهذه توليفة، ستنبت تربية يهودية حقيقية، والتي منها ستخرج الأمة اليهودية، كلها، واعية أكثر، سيكون تأثير هذا المركز على الشتات عميق. يطوّر المفكرون اليهود جدًا تقديرهم لأنفسهم ... والأهم من ذلك، ستكون الجامعة الحارس الذي يرعى ذات القيم والتي تعتبر أغلى القيم في مستقبل الأمة، وهي تطور اللغة القومية اليهودية الحية، وهي تكون ملتقى لكافة النشاطات الإنتاجية اليهودية في الآداب والفن والعلم: وبكلمة واحدة هي ستكون المركز الثقافي، أي قوة روحانية يهودية قد تتحرّر وتحيا حياتها في الجامعة اليهودية.[379]

وفي نفس مقالته "حول فكرة الجامعة" يتناول شدّة تأثير مثل هذه الجامعة على "يهود الشتات" وازدياد احترامهم لأنفسهم وبانتمائهم اليهودي وترميم "الروح اليهودية" المهشّمة:

لا يمكن أن نتخيل القيمة القومية التي سوف تمنحها الجامعة للشتات. إن فكرة التحرير القومي الذاتي، والتي كان الكثير من شبابنا قد تركوا أماكنهم بسبب انعدام مركزهم (غياب مركز يهودي في الشتات)، وبسبب التأثير المضر للبيئة المحيطة الغريبة، سيجدون من يرفع الراية، وسيجد الأكثر شجاعة من بين هؤلاء الشباب والذين سيعيدون روح شعب إسرائيل بالشكل الأكثر رقيًا ... بفضل كل ذلك، سيقوم اليهودي الجديد مرفوع الرأس ومبارك الأعمال، وسيطمح الشعب اليهودي بفضل هذا المركز القومي إلى روحية جديدة، وإلى إعادة ترميم لروحه. وسيكون هذا المركز دليل ملموس على قدرته الإنتاجية الضرورية، والتي ستضيف له جرأة وإيمان بالمركز القومي.[380]

---

[379]. راينهرتس، "وضع أساسات الجامعة"، مرجع سبق ذكره، ص 133-134.

[380]. وايزمان، "حول فكرة الجامعة"، مرجع سبق ذكره، ص 9.

أشار وايزمان، في معرض خطابه في حفل افتتاح الجامعة العبرية، إلى أهمية الجامعة العلمية، وأن مهمتها هي البحث عن "الحقيقة"، وكان يقصد بذلك البحث وإنتاج المعرفة، لإعادة "استكشاف الماضي القومي اليهودي التليد" في فلسطين. إضافة إلى عدم انجرار الجامعة وراء "الاختلافات السياسية"، كما وصفها وايزمان، مع السكان الأصليّين الفلسطينيّين، أو وراء الاختلافات حول دور الجامعة العبرية وشكلها بين التيارات والشخصيات الصهيونية المختلفة:

> أن من مبادئ هذه المدارس، عدم التدخل في الاختلافات السياسية، وأن لا تتخطاها الانقسامات، وآمل أن يكون الجميع فيها متحدين في الغاية الكبرى المشتركة، وهي البحث عن الحقيقة، وإعادة مدنية فلسطين الزاهرة التي تمتعت بها حينًا من الزمن.[381]

كذلك أشار بلفور، في خطابه في حفل افتتاح الجامعة العبرية، إلى أهمية أن يكون العلم محايدًا، وأهمية أن تكون الجامعة بعيدة عن "المنازعات والاختلافات"، مع العرب الفلسطينيون. لكن، هذا لا يمكن أن يتحقق، عمليًا وواقعيًا، إذ إن العلم، كما اختبرناه في العديد من الأماكن وكذلك في الحالة الفلسطينية، إنما هو أداة لتحقيق أهداف وغايات معينة، وفي الحالة الصهيونية، استخدم ووظف لتحقيق أهدافها المتمثلة بالاستعمار وإنتاج هوية وقومية مخترعة وإنتاج يهودي جديد وشعب متخيل. وكما قال بلفور فعلاً، فإن العلم يوحّد بين الغايات، فقد وحّد العلم ووحّدت الجامعة العبرية بين غايات وتطلعات وأهداف اليهود والحركة الصهيونية في إقامة "وطن قومي لهم"، في فلسطين.[382]

لعبت الجامعة، دورها المراد منها، كما رأتها الحركة الصهيونية، في المشروع الصهيوني، إذ استطاعت أن تكون الصرح الذي من خلاله، يمكن بناء المخيلة القومية اليهودية، واستطاعت أن تحتل الوعي اليهودي. لقد وُجدت الجامعة من أجل تكريس الوجود الصهيوني في فلسطين، ولعبت دورها، بكل جدارة، في ذلك،

---

[381]. "الخطب التاريخية ... وايزمان"، **فلسطين** (صحيفة)، مرجع سبق ذكره، ص 3.

[382]. "الخطب التاريخية في افتتاح الجامعة العبرية: خطاب اللورد بلفور"، **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 767–10، 7 نيسان 1925، ص 4.

بالإضافة إلى دورها، الحيوي والهام، في عملية انبعاث "التاريخ اليهودي القديم"، حسب ما أرادته الحركة الصهيونية بقياداتها ورموزها.

4-5. فكرة إنشاء الجامعة في سياق البعث الثقافي والديني اليهودي

لعبت الجامعة العبرية في المشروع الصهيوني الثقافي، دورًا حيويًا وأساسيًا، بتشكيلها "روح الانبعاث الفكري والثقافي" لليهودية، وبكونها المكان والمصدر الأساس الذي جدّدت من خلاله المعرفة اليهودية، وإنتاج وإعادة إنتاج المعارف اليهودية، التي صيغت في أوروبا، لتحتل مكان المعارف اليهودية الشرقية. كما عملت الجامعة بوصفها مركزًا ثقافيًا روحانيًا ودينيًا لليهود، يستطيع اليهود من خلاله نشر العلوم اليهودية للعالم أجمع.

أوضح وايزمان، في خطابه، أثناء وضح حجر الأساس للجامعة العبرية، أهمية ومكانة الجامعة، التي من خلالها، سيتم "انبعاث الماضي"، وإعادة إنتاجه واستحضاره، ووصله بالحاضر والمستقبل:

> سيكون هناك مكانًا محترمًا للعلوم الإنسانية من خلال الأبحاث العلمية. يجب أن ترى العلوم العبرية القديمة والخزائن الغنية المخبأة في آدابنا الفلسفية والدينية والتشريعية نور العالم من جديد، ويُمسح عنها غبار الأجيال، وتدخل إلى الحياة الجديدة، التي من شأنها أن تتطور في هذه الأرض. وهكذا، نوصل ماضينا بحاضرنا.[383]

لقد كانت الجامعة تمثل البعد والدور الديني من خلال تحقيق وتعزيز تصوّر المشروع الصهيوني، بوصفه، استكمالاً للمملكة اليهودية القديمة؛ أي القفز عن سنوات المنفى 2,000 سنة، والرابط ما بين التاريخ اليهودي الديني الذي يشير إلى قدسية فلسطين وأنها الأرض الموعودة لليهود، وما بين الجامعة العبرية

---

[383]. وايزمان، "أثناء وضع حجر الأساس"، مرجع سبق ذكره، ص 29.

ومكانها في القدس، التي تمثل "روح الأجداد". وكان ذلك جليًا في خطاب وايزمان في حفل وضع حجر الأساس للجامعة العبرية:

لقد وضعنا، في هذا اليوم، حجر أساس الجامعة العبرية التي ستبنى على هذه التلة، والتي أشاهد من عليها مدينة القدس. وهذا ليس سخفًا أن نتخيل أن أرواح أجدادنا الذين أنتجوا تاريخنا ترفرف الآن فوق رؤوسنا، وتلقي على عاتقنا وتوقظ بداخلنا ضرورة المضي قدمًا نحو مهمات هامة لا حدود لها.[384]

شكّلت الجامعة العبرية الانبعاث الروحاني والثقافي لليهود وللمشروع الصهيوني الثقافي، وتم اعتبارها، الخطوة الأولى في رحلة "انبعاث الشعب اليهودي". وقد تناول عدد من الصهيونيّين تلك الأهمية، في خطاباتهم، من حاييم وايزمان إلى بياليك. فقد دفعت الحماسة وايزمان، في خطابه أمام مجموعات طلابية تابعة لرابطة "هاحفير" (في 4 حزيران/يونيو 1913)، إلى تحقيق حلمه القديم النابع من قناعاته بأن الجامعة ستُشغل مكانة مركزية في الانبعاث الروحي والثقافي للصهيونية، وتشكّل أساس ضروري للاستيطان الصهيوني في البلاد.[385] بينما يصف بياليك تأسيس الجامعة باللحظة العظيمة والمقدسة "للشعب اليهودي":

إن جلال وعظمة هذه اللحظة يمكن أن يسيء لهما أي نوع من أنواع المبالغة. لذلك، فمن الواجب علينا أن نعلن، بكل صراحة وأمانة وفي حضور هذا الجمع، بأن البيت الذي يفتتحه الآن على قمة جبل سكوبس (الصوّانة) ضيفنا الكريم اللورد بلفور، ليس سوى معهد جنين لا يكاد يكون له شيء أكثر من مجرد الاسم. وهو بالنسبة للوقت الحاضر ليس أكثر من وعاء يمكن أن يملأ، وأن مستقبله لا يزال غير معروف إذ إنه في يد القدر. وعلى أي حال، فإنني أشعر بكل تأكيد بأن الآلاف المحتشدة هنا وعشرات الآلاف من الإسرائيليّين في جميع زوايا العالم، يشعرون بقلوب تخفق فرحًا بأن الاحتفال الذي نقيمه اليوم على هذه البقعة ليس من الطقوس المصطنعة التي

---

[384]. المرجع السابق، ص 25.

[385]. راينهرتس، "وضع أساسات الجامعة"، مرجع سبق ذكره، ص 129.

اخترعها أحد الناس، ولكنه يوم عظيم ومقدس بالنسبة لإلهنا ولشعبنا. إنني متأكد أن عيون عشرات الألوف من الإسرائيليّين التي تتطلع من أماكنها المختلفة في بلاد الشتات إلى هذه التلة تسطع بالأمل والارتياح، وأن قلوبهم وحتى أجسادهم ترتل ترنيمة شكر للإله الحي الذي حفظنا لنشهد هذه الساعة. إنهم جميعًا يدركون بأن إسرائيل قد أضاءت في هذه اللحظة على جبل سكوبس (الصوّانة) أول شمعة من شموع انبعاثها الفكري. وفي هذا اليوم ستصل الأنباء السارة إلى جميع عائلات إسرائيل المبعثرة في كل مكان بأن أول وتد في عملية تشييد القدس العالمية قد ثبت اليوم وللأبد.[386]

لقد أشار وايزمان إلى أهمية الجامعة العبرية للعلوم اليهودية، وشبهها بالمستودع حيث تخزّن الممتلكات فيه، وقد شدّد على أهمية الجامعة لإنتاج "المعرفة اليهودية" كأداة لإعادة اليهود إلى "التاريخ"، بوصفهم، فاعلين لتشكيل واقعهم لا خاضعين خاملين لعجلة التاريخ. وقد أشار، كذلك، عدد من الصهيونيّين، أمثال بياليك وأحاد هعام وحتى بلفور، إلى حالة اليهود الثقافية والعلمية في "المنفى"، بوصفهم فاعلين في الحياة العلمية والثقافية، إلا أنه لم تكن تأخذ القيمة الفعلية لتلك الإسهامات، وذلك بسبب عدم وجود مكان خاص لهم لإنتاج المعرفة. لذلك كانت الجامعة العبرية المكان الذي من خلاله سيتم إعادة إنتاج "المعرفة اليهودية الخالصة"، وإعادة اليهود إلى "التاريخ".

وأوضح بلفور، في خطابه في حفل افتتاح الجامعة العبرية، الصعوبات والتحديات أمام الجامعة العبرية ومؤسّسوها:

لا تحسبوا أيها السادة أنني إذا تكلمت بمثل هذا الحماس، وبمثل هذه الثقة، أنني أجهل الصعوبات التي سيلاقيها الدكتور وايزمان أو خلفه والمندوب السامي أو خلفه. أنني لا أريد أن أُعدد هذه الصعوبات التي سيجدها مؤسّسو وقادة هذه الجامعة أمامهم وإنما أذكر لكم واحدة، فهناك صعوبة أخاف منها. لا. أنا لم أخف منها، ولكن يخاف منها الكثيرون وهي إيجاد أساتذة لجميع أقسام هذه

[386]. بياليك، مرجع سبق ذكره، ص 172-173.

الجامعة، فلمثل هؤلاء، أقول أنظروا إلى ما فعله ويفعله بعض علماء اليهود في هذا الباب. إن في العالم اليوم ثلاثة مذاهب استوقفت أنظاره [أي التي استوقفت أنظار العالم] وهي مذهب النشوء الخلقي ومذهب علم النفس الحديث ومذهب النسبية. والمذهب الأول ينسب لصديقي هنري برغسون وهو يهودي، والمذهب الثاني ينسب للمستر فرويد وهو يهودي كذلك، والمذهب الثالث، وهو أهم من جميع ما تقدم، ينسب لآينشتاين وهو يهودي أيضًا. أنا لا أريد أن أقول إن جميع الأعمال العلمية الكبرى قام أو يقوم بها اليهود، وإنما أردت أن أقول إن هذه الصعوبة لا يجب أن يُؤبه بها لأن كثيرين من اليهود يشتغلون اليوم بالعلوم العالية.[387]

أما بياليك فيشير، في حفل افتتاح الجامعة العبرية، إلى "فضائل اليهود العلمية والثقافية" في العالم، ويشرح:

إن المفهوم الإنساني الشامل للثقافة استطاع بوعي من الأمة (اليهودية) أن يحل محل المفهوم اللاهوتي للتوراة، فتوصلنا إلى نتيجة مفادها أن الشعب الذي يطمح إلى الحياة الكريمة عليه أن يخلق ثقافة له، وليس كافيًا أن يستفيد من ثقافة غيره، فالشعب يجب أن يخلق ثقافته الخاصة به، بيديه هو وبأدواته ومواده التي يملكها، ومن ثم يطبعها بطابعه الخاص به. وقد خلق شعبنا ثقافة له أثناء وجوده في منافيه المختلفة، وأنني أشك إذا كان هناك مكان في العالم، تنتشر فيه الثقافة ولا يكون لليهود فضل عليها، إنما ما يخلقه اليهود في بلاد الشتات، تمتصه الثقافات الأخرى، وبذلك، يفقد ذاتيته ولا يحسب بعد ذلك على إنه إنتاج يعود الفضل فيه لليهود. إن جهودنا الثقافية في المنفى، هي عطاء وصرف من جانبنا لا يدخل في حسابنا. لذلك، فإن الشعب اليهودي في وضع مؤلم: فبينما تكون مهمته الثقافية الحقيقية هي مهمة البروليتاريا – أي أنها تنتج بمواد وأدوات الآخرين من أجل الآخرين – نرى أن الآخرين يعتبرونه، وحتى هو يعتبر نفسه، شعبًا طفيليًا من الناحية الثقافية ليس لديه ما يملكه. إن شعبًا يحترم نفسه لن يرضى بمثل هذا المصير، ولا بد له أن ينهض يومًا ويعلن: كفى لا أريد أكثر من ذلك، فمن الأفضل أن يكون لي القليل

---

[387]. "الخطب التاريخية ... بلفور"، **فلسطين** (صحيفة)، مرجع سبق ذكره، ص 3.

الذي لا ينازعني فيه أحد، من أن يكون لي الكثير الذي ليس معروفًا إذا كان لي أو لغيري، ومن الأفضل لي كذلك أن يكون لدي كسرة خبز يابسة آكلها في بيتي وعلى مائدتي من أن يكون لي لحم ثور معلوف آكله في بيت سواي وعلى مائدة سواي. كذلك، من الأفضل أن يكون لي جامعة صغيرة لكنها ملكي بكاملها، وكلها من صنعي أنا، بدءًا من أساسها حتى سقفها، من أن يكون لي آلاف بيوت العلم أستقي منها المعرفة ولكن ليس لي فيها نصيب معترف به. أنني أرضى أن يكون طعامي قليلاً ومرًا كالزيتون إذا ما تذوقت فيه الطعم الشهي لما تقدمه يداي.

ويضيف:

لقد لجأنا إلى هذه البلاد ضمن هذا الإطار الذهني، ولم نأت إلى هنا بحثًا عن الثروة أو السيطرة أو العظمة ... إننا نريد فقط أن نجد هنا منطقة لعملنا الذهني والجسدي ... ودون شك، فإن سنين عديدة سوف تمر قبل أن نخلّص هذه الأراضي المهجورة من جذام صخورها ومن عفن مستنقعاتها. وفي الوقت الحاضر، ليس لنا سوى بداية بسيطة للبناء، ومع هذا فقد كان هناك شعور بالحاجة إلى إقامة مركز للعمل الفكري للأمة ... ونحن في الوقت الحاضر نشعر بحاجات ثقافية لا يمكن تأجيلها يجب أن تشبع في الحال، لأننا نحمل العبء الثقافي الثقيل لشعبنا في المنفى. كثيرًا ما يُخيل للأمم التي خُلقت، في الأمس، أنها تستطيع من خلال التقييد الفكري لنا عن طريق القيود التي تضعها على عدد الذين يدخلون المدارس منا (Numerus Clausus) (نظام كوتا، كان مفروضًا على اليهود الذين يرغبون دخول المدارس لتلقي العلوم العالية، وذلك في أزمنة وأماكن مختلفة)، تظن أنها تستطيع أن تميت أمة عريقة لها ماضٍ عمره أربعة آلاف سنة من الثقافة التوراتية، لذلك يجب علينا أن نسرع ونضيء أول مصباح للعلم والمعرفة ولكل نوع من أنواع النشاط الفكري في إسرائيل قبل أن ينطفئ آخر مصباح لنا في بلاد الغربة. وإننا سنفعل هذا داخل جدران البيت الذي فتحنا أبوابه هنا اليوم على جبل سكوبس (الصوّانة).[388]

[388]. بياليك، مرجع سبق ذكره، ص 176-178.

يتناول أحاد هعام، في مقالته "الدولة اليهودية والمسألة اليهودية" (1897)، أهمية "عودة اليهودية إلى مكانها الطبيعي"، لتستطيع العيش وتؤدي دورها في التراث الإنساني العالمي، فإنه يؤكّد على المخطّط المستقبلي للحركة الصهيونية التي تأسّست في نفس السنة: إنشاء "دولة يهودية"، لا "دولة لليهود"، على أرض فلسطين:

> إن اليهودية في مأزق. إنها لا تستطيع أن تتحمل أكثر الحياة في الشتات الذي تحملته، لأنها كانت تريد أن تعيش بعد أن نفيت من بلدها ... وهي دون هذا النوع من الحياة معرضة للخطر، ولذلك، هي تسعى لأن ترجع إلى مكانها التاريخي، حيث تستطيع أن تعيش حياة متطورة تطورًا طبيعيًا، وتستخدم قواها في حقول الحضارة الإنسانية جميعها، وتوسع وتحسن جميع مجالاتها القومية التي توصلت إليها حتى الآن، وبهذا تستطيع أن تسهم في التراث الإنساني في المستقبل، كما فعلت في الماضي، وتقدم له ثقافة قومية عظيمة تكون حصيلة كفاح مستمر يعيش على روحانيته. لهذا تستطيع اليهودية، في الوقت الحاضر، أن تكتفي بالقليل. أنها لا تحتاج إلى دولة مستقلة، بل يكفيها الآن أن يتوفر لها في أرض أمتها كيان تستطيع فيه أن تنمو: قطعة أرض يستطيع اليهود أن يستوطنوا فيها ويعملوا فيها في شتى فروع المدنية، من الأعمال الزراعية والمهن اليدوية إلى العلوم الطبيعية والعلوم الأدبية. هذا الموطن لليهود الذي ينمو، تدريجيًا، سيصبح مع مرور الزمن مركزًا للأمة تستطيع فيه روحها أن تظهر وتتطور إلى أعلى درجات الكمال التي هي في استطاعتها. ومن هذا المركز، ستشع روح اليهودية إلى أنحاء العالم وفي مجتمعات الشتات، باعثة فيهم حياة جديدة وعاملة على جمع شمل شعبنا. وإذا ما وصلت ثقافتنا القومية في فلسطين إلى هذا المستوى، فسوف تكون على يقين بأنها ستبعث على قيام رجال في أرض إسرائيل نفسها، يستطيعون متى حان الوقت، أن يؤسّسوا دولة هناك. دولة لا تكون فقط دولة من اليهود بل دولة يهودية.[389]

---

[389]. أحاد هعام، "الدولة اليهودية والمسألة اليهودية (1897)"، في: أنيس صايغ (إعداد)، **الفكرة الصهيونية**، مرجع سبق ذكره، ص 159-160.

لقد حقّقت الجامعة العبرية/اليهودية، المقولة اليهودية التقليدية التي تصف اليهود "نورًا للأغيار"؛ وعلى الصعيد الصهيوني، فرضت معارف يهودية أوروبية، تطوّرت في شرق وغرب أوروبا منذ القرن الثامن عشر للميلاد، بدل المعارف اليهودية الشرقية التي تطورت في البيئة العربية والإسلامية منذ القرن الثامن وحتى القرن العشرين، وبهذا المعنى فإن الجامعة ساهمت في إعادة بناء "اليهودية" وفق هذه المعارف الغربية واليهودية التي تطوّرت في شرق وغرب أوروبا وطمس المعارف اليهودية والهوية اليهودية التي تطوّرت في "الشرق"، إلى جانب طمس المعارف العربية والفلسطينية المحلّية.

بالإضافة إلى اعتبارها الجسر الذي سيربط بين الحضارات المختلفة، والنقطة التي جمعت "الشرق" مع "الغرب"، فقد اعتُبرت الجامعة العبرية مكانًا لربط وتقوية العلاقات بين اليهود والعرب. فقد شدّد وايزمان، في خطاباته الكثيرة، حول أهمية الجامعة لمد جسور العلاقة مع العرب وتشكيل الجامعة "نورًا" لليهود وللشعوب الأخرى، وأن الجامعة العبرية ما هي إلا امتدادًا حضاريًا للغرب تسعى إلى "تثقيف الشرق". وليس وايزمان، فقط، من أشار إلى تلك الغايات، بل جميع القيادات الصهيونية فعلت ذلك: بدءًا من هيرتسل ونوردو وبلفور وهربرت صموئيل وبياليك، وعدد من المستشرقين، و"جمعية يهود فلسطين"، جميعهم، أشاروا إلى أهمية الجامعة، بوصفها "نورًا للأغيار" تشع نورها للعالم أجمع، وتقوم بدور تثقيفي "للشرق" البائس، بما في ذلك يهود الشرق كذلك. وذلك، اعتمادًا على "نصوص الكتاب المقدس، التي تدعو اليهود لأن يكونوا نورًا للأمم".[390]

يقول وايزمان، في خطابه في حفل وضع حجر الأساس:

> الجامعة العبرية؟ أنا أرجح أنه لا شخص من الحاضرين هنا يستطيع أن يتخيل جامعة في القدس دون أن تكون جامعة عبرية. الادعاء بأن هذه الجامعة ستكون عبرية، هو ادعاء يستند إلى القيم التي ينشرها اليهود من هنا إلى العالم كله. هنا، في مكان تجمّع مؤمنين في الديانات الثلاث

---

[390]. مايكل بريور، "قراءة أخلاقية للكتاب المقدس"، في: **القدس: أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ**، مرجع سبق ذكره، ص 67.

الكبرى في عالمنا، والتي على الرغم من كل الفروقات بينها إلا أنها تؤمن بالإله الذي تجلّى على سيدنا موسى. وفي ظل هذه الحضارة المستندة إلى التراث الديني العبري، والتي تنشر الاحترام للأنبياء العبريّين والتي تؤمن بالقيم الروحانية والعقلية الكبرى للشعب اليهودي؛ فإن هذا السؤال يحظى بالجواب التالي: هدف الجامعة العبرية هو إيقاظ اليهود حتى يصلوا إلى حقائق أخرى. لا غنى عن هذا المكان ... وسأعطي تعبيرًا لمعتقداتي القوية والتي تقول إن أنبياء إسرائيل لم يختفوا من العالم، وإنه في ظل هذه الجامعة سيحصل الانبعاث للقوة الإلهية والتي بناء على الحكمة النبوية (حكمة الأنبياء)، كانت هدفنا على مر الأيام. ستكون الجامعة المكان لإعادة ترميم وعينا اليهودي، والذي هو الآن مكبوت لأننا منتشرين في كل بقاع الأرض. وتحت الضغط المناخي لهذه التلة، فإن وعينا اليهودي من شأنه أن ينتشر في كل اتجاه دون أن يضعف، وسيحيا وعينا من جديد، وسيحظى شبابنا اليهودي بمساندة إضافية من مصادر يهودية (أي: الجامعة).[391]

وفي خطابه في افتتاح الجامعة يؤكّد على أن:

جامعتنا لا تكون مخلصة لنفسها أو للتقاليد اليهودية إذا لم تكن معهدًا للعلم لكل الشعوب، ولا سيما لشعوب فلسطين، فإذا تحققت آمالنا، كانت الجامعة أيضًا سببًا لإيقاظ الشرق ومنفعة العلم، غير أننا نشعر أن هذه الجامعة إذا كان لها أن تمثل اليهود، وأن تؤدي لمدنية العالم نصيبها، فيجب أن يكون ذلك بواسطة اللغة العبرية، لأن الروح اليهودية واللغة العبرية لم يفترقا، وهذه الجامعة دليل على اتحادهما الأبدي. إننا بتدشين الجامعة العبرية اليوم نعلن إخاء الشعب اليهودي لجميع شعوب العالم، واشتراكه معهم في عمل المدنية.[392]

---

[391]. وايزمان، "خطاب وضع حجر الأساس"، مرجع سبق ذكره.

[392]. "الخطب التاريخية ... وايزمان"، **فلسطين** (صحيفة)، مرجع سبق ذكره، ص 3.

وفي خطابه، عام 1940، في حفل خريجي الجامعة العبرية، في نيويورك يقول:

> على الجامعة العبرية، قبل كل شيء، أن تشكل حصنًا لروح شعب إسرائيل، والمكان اليهودي الذي تستطيع فيه روح شعب إسرائيل أن تكشف عن نفسها دون عقبات أو ضغوطات. وبدافع التفاهم المتبادل، وليس التصادم الثقافي والحضاري مع الآخرين، ومكان الذي من خلاله ستُعطى روح شعب إسرائيل الإمكانية للتطور بشكل طبيعي ومتكامل. أنا أرى في الجامعة، وقبل كل شيء، جسرًا، جسرًا أخلاقيًا وماديًا. الجامعة موجودة، بالتحديد، في منطقة الحضارة التابعة لبلاد البحر المتوسط، والتي تمتد حتى الهند، وبفضل هذا الوضع الجغرافي، ستشكل الجامعة مصدرًا وحيدًا من نوعه لإلهام الروح. ومن نافل القول، إن هذا الأمر، سيلقي بظلاله على عمل الجامعة المستقبلي.[393]

لقد اعتبرت الجامعة العبرية مظهرًا من مظاهر نهضة "الشرق" من قبل "الغرب" الاستعماري، وأن الاستعمار الصهيوني حمل معه "رسالة التحضر للشرق المتخلف"، الذي يرزخ تحت وطأة الجهل والتخلّف، وما النهضة الأخيرة، أي إنشاء الجامعة العبرية، إلا تعبيرًا عن "رسالة الغرب المتحضرة" إلى "الشرق المتخلف المتأخر". اجتمع رئيس تحرير صحيفة "المقطم" في مصر مع "كبير من كبار الغرب". فجرى الحديث بينهما حول "الشرق" ونهضته وآمال أهله، بمناسبة الاحتفال بالمؤتمر الجغرافي المنعقد في القاهرة وافتتاح الجامعة العبرية في القدس، وجاء في معرض هذا الاجتماع على لسان هذا "الكبير الغربي" ما يلي:

> إن من يشهد الفرق بين حالة شعوب الشرق اليوم، وما كانت عليه من عشرين عامًا، كما رأيتها بنفسي في الحالتين، لا يسعه إلا الاعتراف بأنها تقدمت تقدمًا عظيمًا جدًا، يبعث على الاعتقاد بأنها ستبلغ أقصى ما تشتهي متى انقضى الزمان الكافي، وظل الشرقيون مصمّمين على تمزيق حجب الجهل الذي ابتلي الشرق به في عصوره الحديثة قبل النهضة الأخيرة.[394]

---

[393]. حاييم وايزمن، "الحلم وتحقيقه: خطاب في حفل خريجي الجامعة العبرية، في نيويورك، 18 كانون الثاني 1940"، في: **حاييم وايزمن حول الجامعة العبرية**، مرجع سبق ذكره، ص 43–44.

[394]. "مذكرات أسبوع: ومن الشر خير"، **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 767–10، 7 نيسان 1925، ص 1.

كذلك، اعتبرت "جمعية يهود فلسطين"، أن افتتاح الجامعة العبرية، هو "عيدًا" للبلاد كلها، وليس فقط لليهود، إذ ستكون الجامعة موردًا للعلم، تستفيد منه "كل شعوب الشرق". فقد:

> جاء في النشرة الفلسطينية، أن جمعية يهود فلسطين قد أصدرت نداءً للعرب، ذكرت فيه أنها ترحب بتعاون العرب، وصرحت بأن افتتاح الجامعة العبرانية، في أول نيسان القادم، ليس عيدًا لليهود وحدهم، بل هو عيد للبلاد بجملتها، لأن الجامعة ستكون موردًا للعلم تستفيد منه كل شعوب الشرق.[395]

أما هربرت صموئيل، في خطابه، في افتتاح الجامعة العبرية، فيقول:

> كان إذا أُنشئ معمل كيماوي، في القرون الوسطى، يعهد به إلى رجل يشتغل بهذه الصناعة للبحث عن حجر الفلاسفة الذي يحول المعادن الدنيئة إلى ذهب، ولكن حجر الفلاسفة الحقيقي هو الإيمان، هو الحماس الذي نراه يعمل في فلسطين، فقد حول المستنقعات والصحاري إلى بساتين، وهو أمام أعيننا، الآن، يحول هذه الأرض الفقيرة المتأخرة إلى بلاد ناجحة، وسينجح في تحويل الخصومة إلى صداقة أيضًا. إن نمو الجامعة سيكون مضطردًا، فهي تبتدئ اليوم بأربعة فروع وستضم إليها ثلاثة فروع أخرى قريبًا، وتهتم بتدريس اللغة العربية وآدابها. فالجامعة إذن بفروعها السبعة على جبل سكوبس (الصوّانة)، تعيد إلى الذاكرة ما جاء في أمثال سليمان الحكيم: الحكمة بنت بيتها، نحتت أعمدتها السبعة، أرسلت تنادي على ظهور أعالي المدينة، من هو جاهل فليَمل إلى هنا، والناقص الفهم، قالت له: هلموا كلوا من طعامي واشربوا من الخمر التي مزجتها، اتركوا الجهالات فتحيوا وسيروا في طريق الفهم.[396]

---

[395]. "أخبار اليوم: منشور جمعية يهود فلسطين"، **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 765–8، 31 آذار 1925، ص 3.

[396]. "الخطب التاريخية في افتتاح الجامعة العبرية: خطاب السر هربرت صموئيل"، **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 767–10، 7 نيسان 1925، ص 3.

أما بياليك فيفنّد، في معرض خطابه في حفل افتتاح الجامعة، ويشكّك في فكرة انتقال العلوم والمعرفة من بلاد "شتات" اليهود إلى فلسطين، وأن الجامعة العبرية (بيت العلم والمعرفة في توصيفه)، ستختلف عن أماكن العلم اليهودية القديمة. لكن، هذا لا يعني عدم الاعتماد على الأسس والمبادئ للمدارس اليهودية القديمة، أي التراث اليهودي القديم. كما يشدّد، أيضًا، على فكرة أن اليهودية تعتبر "نورًا للأغيار"، والتي ستعمل على استبدال المعارف العربية بالمعرفة اليهودية الغربية الحديثة:

هناك تقليد قديم، يقول بأنه، في وقت الخلاص، ستنتقل جميع الكنس وجميع بيوت العلم الموجودة في الشتات إلى فلسطين. إن هذه الرواية الأسطورية لا يمكن أن تتحقق حرفيًا، وبيت العلم والمعرفة الذي أقيم على جبل سكوبس (الصوّانة)، سوف يختلف عن المدارس التوراتية القديمة (Bet-Midrash)، اختلافًا كبيرًا، ليس في المادة المبني منها فحسب، وإنما في طبيعته وأهدافه. ولكن، أيها السيدات والسادة، يوجد بين أنقاض تلك المدارس المقدسة كثير من الأسس الجميلة والسليمة يمكن أن تكون، ويجب أن تكون بين لبنات الأساس لبنائنا الجديد، وعلى البنائين أن لا يرفضوا قبول هذه اللبنات. في هذه اللحظة المباركة أشعر أنني مدفوع لأن أضرع إلى الله، بأن لا تنسى تلك اللبنات! وأرجو أن ننجح في النهوض بالعلوم والمعرفة التي ستنبعث من هذا البيت، وسترتفع إلى المستوى الأخلاقي نفسه الذي رفع شعبنا إليه التوراة! إننا نكون غير جديرين بهذا اليوم الحافل إذا ما رضينا لأنفسنا بتقليد هزيل للشعوب الأخرى. إننا ندرك أن الحكمة الصحيحة هي أن نتعلم من الجميع، ولذلك فإن نوافذ هذا البيت يجب أن تبقى مفتوحة من كل جانب، لكي تتمكن أجمل الثمرات التي أبدعتها روح الإنسان في أي مكان على الأرض وفي أي زمان من الدخول. ولكن نحن أنفسنا لسنا محدثين في مملكة الروح، فبينما نحن نريد أن نأخذ العلم من الآخرين نستطيع أن نعطي مما لدينا من معرفة للآخرين. وأنني متأكد من أنه لا بد أن يأتي الوقت الذي ستصبح فيه المبادئ الأخلاقية التي تركز عليها بيوت التوراة ... ستصبح هذه المبادئ تراثًا للإنسانية بأجمعها.

ويضيف:

لقد أرادت العناية [الإلهية] أن يرتبط مصير الشعب اليهودي بمصير كل شعب متحضر في العالم، وقد ولد هذا في نفوسهم، أكثر من أي شعب آخر، حسًا بالمسؤولية الأدبية واهتمامًا بمستقبل الحضارة... إن يد الله لم تقد هذا الشعب خلال أربعة آلاف عام وعبر آلام الجحيم ولم تحضره مرة أخرى إلى أرضه للمرة الثالثة دون أي معنى.[397]

ويقول بلفور، في خطابه في حفل افتتاح الجامعة:

الآن أيها السادة، ما هو الذي جمعنا هنا من جميع أنحاء العالم في هذه الفرصة التاريخية، وعلى هذه الأرض المملؤة بالحوادث العظام؟ ذلك ليس كما اعتقد جمال المناظر التي تتجلى أمامنا، وإنما هو الشعور بأن هذه الفرصة، هي بداية عصر جديد في تاريخ شعب جعل أرض فلسطين هذه الصغيرة مستنبت الديانات العظمى، وهو يريد الآن إعادة الحياة الفكرية والأدبية إليها من الوجهة القومية ... إن اليهود قاموا بنصيبهم في سبيل المدنية، ومن الخطأ، بل من الخطأ الكبير بل كل الخطأ، أن يظن أحد أن اليهود لم يقوموا بنصيبهم في ترقية العلوم وتقدم المدنية. إنهم فعلوا ذلك متّحدين في الشعور، وإن كانوا متفرقين حقيقة، وأرجو أن يتمكنوا الآن من توحيد عبقريتهم القومية للقيام بالواجب الذي قاموا به في الماضي والزيادة عليه. إننا لأجل هذه الغاية نحن هنا الآن لنرى تجربة جديدة، وهي إقامة جامعة غربية في شكلها في بقعة شرقية تستخدم لغات شرقية.[398]

كانت الغاية من الجامعة العبرية، تجديد الفكر الديني اليهودي؛ وإعادة إنتاج الرؤية الدينية اليهودية، بما يخدم الحركة الصهيونية، وأهدافها في مشروعها الاستعماري الاستيطاني. فقد اقترح كلاوزنر، أن تدمج كلية الآداب، المزمع إقامتها، بين "الدراسات اليهودية الدينية التقليدية ضيقة الأفق"، وبين الآداب الإنسانية

---

[397]. بياليك، مرجع سبق ذكره، ص 178، 180.

[398]. "الخطب التاريخية ... بلفور"، **فلسطين** (صحيفة)، مرجع سبق ذكره، ص 3.

الأخرى العامة، بغية التخلّص من "الفكر اليهودي" التقليدي المتقوقع على ذاته، وبغية أن يتوقف التعارض القائم بين هذا "الفكر اليهودي" وبين الإنسانية. كذلك، فسوف تقوم الآداب الإنسانية الأخرى العامة هذه بتعزيز الفكر اليهودي والدراسات اليهودية.[399] واعتبرت الجامعة، المكان والرمز الذي سيعيد للتوراة "مجدها"، إذ تم الربط بين الجامعة العبرية وبين نبوءات التوراة، فقد قدم وايزمان هدية لبلفور تعبّر عن رمزية الجامعة التوراتية، وفق ما جاء في صحيفة "فلسطين":

> حضر اللورد بلفور، في نهار الخميس، حفلة وضع حجر الأساس لمعهد آينشتاين في الجامعة العبرية، ثم اجتمع زعماء الصهيونية، في نهار الجمعة، في بيت الكولونيل كش، فاستقبلوا اللورد هناك، وقدموا له شكرهم وشكر الشعب اليهودي في فلسطين، لزيارته واشتراكه في حفلة افتتاح الجامعة. وقدم له الدكتور وايزمان رقًا مكتوبًا عليه نبوة عزرا ونبوة نحميا، وقدم له مجلس إدارة صندوق المال القومي اليهودي شهادة بتسجيل اسمه في الكتاب الذهبي، وقدم له الخواجا ميوحاس سجادة عليها صورة الجامعة.[400]

استحضر بياليك، في خطابه، التوراة، وشدّد على أهمية التوراة في "القومية اليهودية"، وأهميتها للعلوم، باعتبارها، أصل العلوم نفسها، واعتبار التوراة العلامة الفارقة في تميز اليهود عن غيرهم من البشر:

> لقد كانت مدرستنا القومية بكل أشكالها – المقرأة أو الكُتَّاب (Heder)، والمدرسة التلمودية (Yeshivah) ومدرسة آداب السلف (Bet-Midrash)[401] – القلاع الأمينة، خلال كفاحنا الطويل، من أجل وجودنا وتثبيت حقنا في أن نوجد في العالم، كشعب منفصل ومتميز عن الشعوب الأخرى، فقد كنا نلجأ ضمن جدران هذه القلاع كلما هبَّت علينا رياح العاصفة والغضب.

---

[399]. كلاوزنر، مرجع سبق ذكره، ص 8.

[400]. "بلفور في فلسطين: يومًا فيومًا، بعد حفلة الجامعة"، **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 767–10، 7 نيسان 1925، ص 2.

[401]. "الترتيب التصاعدي للمدارس في نظام التعليم اليهودي التقليدي: حيدر (Heder) هي المدرسة الابتدائية، واليشيفا (Yeshivah) هي الأكاديمية الثانوية الرسمية للدراسات التلمودية، وبيت مدراش (Bet-Midrash) هي بيت الدراسة الذي كان يؤمن الأفراد لمتابعة دراساتهم في الآداب الدينية. والنوعان الآخران ليسا دائمًا منفصلين". وردت عند بياليك، مرجع سبق ذكره، ص 174.

وهناك، داخل هذه القلاع، كنّا نعتقل السلاح الوحيد الذي تبقى لدينا –ألا وهو العقل اليهودي– وذلك لكي لا يعلوه الصدأ. وفي هذه اللحظة، لا يسعني إلا أن أعيد إلى الذاكرة قول أحد حكمائنا الذي لا يضاهيه قول في مراراته، إن أحد الأدباء بعد أن قرأ في أسفار موسى الخمسة: ولكن مع ذلك أيضًا متى كانوا في أرض أعدائهم ما أبيتهم ولا كرهتهم ... (اللاويّين 26: 44)، قال بكل مرارة: ماذا بقي لإسرائيل في بلاد السبي لم يُمقَت أو يُكره؟ ألم تؤخذ منهم جميع الهبات الحسنة؟ ماذا تبقى لهم؟ التوراة فقط. ولو لم تحفظ تلك لشعب إسرائيل لما كان الإسرائيليون يختلفون في شيء عن الأغيار.[402]

لقد حقّقت الجامعة العبرية فكرتها في سياق البعث الثقافي اليهودي، ولعبت دورها في سياق البعد الديني، فكانت الزاوية التي انطلقت منها الحركة الصهيونية في محاولتها لانبعاث "الشعب اليهودي"، وتجديد فكره الديني، وإعادة إنتاج المفاهيم الدينية التوراتية، بما يخدم الفكرة الأساسية للحركة الصهيونية في سعيها لاستعمار فلسطين. وساهم القادة الصهاينة في تثبيت لتلك الغاية من الجامعة، في خطاباتهم وكتاباتهم. وانتقلت الجامعة العبرية، بعد ذلك، لتؤدي مهمتها ودورها في السياق الاستعماري الاستيطاني.

4-6. فكرة إنشاء الجامعة في السياق الاستعماري الاستيطاني

تعدّدت مسوغات إقامة الجامعة في السياق الاستعماري الاستيطاني، فمن جهة، كانت الجامعة عامل مساهم ومساعد أساسي للاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين؛ ومن جهة أخرى، ظهرت في سياق التنافس مع الاستعمار البريطاني لإقامة جامعة في فلسطين لجميع السكان، عربًا ويهودًا؛ ومن جهة ثالثة، كانت الجامعة إحدى العوامل والأدوات المستخدمة لإخضاع العرب والفلسطينيّين في فلسطين واستبدال معارفهم المحلية بمعارف أخرى غربية.

---

[402]. المرجع السابق.

لعبت الجامعة دورًا محوريًا في البرنامج والمشروع الاستعماري الصهيوني، إذ إن معظم خطابات وأقوال حاييم وايزمان حول الجامعة العبرية تمحورت حول دورها في البناء الاستعماري الصهيوني في فلسطين، وبكونها عامل من عوامل إنتاج اليهودي الجديد العامل، ومهمتها الكبيرة في تطوير العلوم وإنتاج المعرفة الضرورية واستبدال المعارف الفلسطينية المحلية بمعارف أخرى غربية تلبية لاحتياجات "الوطن القومي".

فقد أوضح بعض هذه الأوجه في معرض إحدى خطبه، أمام المؤتمر الصهيوني الحادي عشر (1913):

> ستكون الجامعة ذات أهمية كبرى بسبب موقعنا في أرض إسرائيل نفسها. في سياق تطورنا التدريجي والهادئ في البلاد، فإن الجامعة من شأنها أن تشكّل الوسيلة الأفضل، وسترد مصادر جديدة إلى البلاد وتساعد في تقدير الأرض ودراستها، وأن تعلي من قيمتنا في أعين أهل البلاد. وعليه، فإن لدينا توق عظيم لأن نعيد المحراث لشعبنا وأن نربطه في أرضنا. لكن، ثمة أمر واحد واضح، وهو: ها نحن أخيرًا شعب الكتاب [الكتاب بمعنى علم]، سلاحنا الأقوى هو الروح والتطور الروحي، إن تقوية هذا السلاح وتأهيله بهدف الوصول إلى نهوضنا هو واجب علينا. ستكون الجامعة بالنسبة لنا بمثابة بارجة حربية (Dreadnought) روحانية، وبمساعدتها نستطيع أن ننجح أكثر من الآخرين المدجّجين بجيوشهم وأساطيلهم. يجب أن نجد في البلاد وبصورة جيدة وجميلة كل ما هو موجود في العالم اللايهودي. وعليه، سيكون للبلاد قوة جذب لأولئك الذين لا يزالون يقفون بعيدًا، وعليه سيتدفق إلى داخلها مصادر لم نكن لنحلم بها يومًا. إن النشاط الاستعماري الثقافي لأرض إسرائيل يستطيع أن يكون وسوف يكون عاملاً في تحقيق هدفنا الأعلى، بل وعامل لا يقل أهمية عن نشاط الاستعمار الاقتصادي.[403]

تعني كلمة (Dreadnought): بارجة حربية للبحرية الملكية البريطانية التي أحدثت "ثورة" في القوة البحرية. أُدخلت إلى الأسطول البريطاني، في أوائل القرن العشرين. عملت على إحداث "ثورة"، أي غيرت الماضي والمستقبل، وأعطت مفهوم جديد للقوة البحرية؛ بمعنى أنها كانت تمثل نقطة مفصلية بين الماضي

[403]. وايزمان، "حول فكرة الجامعة"، مرجع سبق ذكره، ص 9–10.

والمستقبل. وهذا ما قصده وعنى به وايزمان، في حديثه، على أن الجامعة، تمثل نقطة فارقة ومفصلية بين الماضي والحاضر، وهي تعد، كدليل وكقوة لهزم الآخرين. كذلك استخدم وايزمان هنا لفظة استعمار، بالمعنى الإيجابي، وليس السياسة الاستعمارية الهادفة إلى احتلال أراضي الآخرين واستغلالهم، فقد كانت كلمة استعمار واستيطان، في ذلك الوقت، تستخدم للتعبير عن أمور "إيجابية"، من وجهة النظر الأوروبية، وإن كانت تحمل في طياتها المعنى الاستغلالي والتوسعي. وقد عبرت الحركة الصهيونية، في بداياتها، عن كونها حركة استعمارية واستيطانية، ولم تخفِ ذلك، لكن لاحقًا، عملت هي وقياداتها ومفكريها على التنصّل من لفظة "استعمار"، عندما بدأ يتم استخدامه في الأوساط البحثية للدلالة على الاستغلال والسيطرة والهيمنة والاحتلال القسري. أما مسألة استبدال المعارف الفلسطينية المحلية بمعارف أخرى غريبة فهو أمر جلي جدًا في جميع خطبه، ومجرد فكرة إنشاء الجامعة وأقسامها يشير بذلك بصورة صريحة.

جدّد وايزمان أهمية الجامعة الاستعمارية والثقافية، وأهميتها الواضحة في المشروع السياسي الاستعماري الاستيطاني الصهيوني، وربط بين المهام الثقافية والتعليمية وبين المهام السياسية والاستعمارية، وأهميها في جلب مستعمرين جدد إلى فلسطين. في خطابه أمام مجموعة الطلاب اليهود "هاحفير"، في ألمانيا (عام 1914)، وكذلك، في مقالته "حول الجامعة العبرية" (1918/1917):

> هناك مهمة مميزة في هذا العمل الإعلاني ملقاة على جانب الطلبة. عليهم أن يفصحوا أمام القاصي والداني، مكانة الجامعة في رحلة انبعاثنا، وقيمتها الثلاثية، باعتبارها مصدرًا ثقافيًا روحانيًا واستيطانيًا سياسيًا. ستكون الجامعة مركز روحاني لعلمنا وثقافتنا ومؤسّسة عليا لتربيتنا ومختبر عالي لأعمال البحث ومخزن لطاقتنا العلمية. ستكون الجامعة عاملاً استيطانيًا كبيرًا، تشجّع هجرة الطلاب اليهود وعائلاتهم إلى البلاد. وتؤهل الأساسات العلمية لتطوير البلاد اقتصاديًا. وأهم من كل شيء آخر، حسب رأيي، هو الهدف العلمي والثقافي للجامعة. ولكن، مع ذلك، لا يجب أن

نغفل عن حقيقة أن الجامعة العبرية من شأنها أن تكون قوة سياسية من خلال وضع الأساس الكوني والأبدي لمشروعنا الثقافي.[404]

ويضيف في مكان آخر:

كذلك، بسبب الاستعمارية، بمفهومها المصغّر والضيق، ربما أن الجامعة ليست شيئًا بلا قيمة أو مسلوبة القيمة، إن التجربة المحدودة للمدرسة الثانوية اليافاوية قد أثبتت ذلك بشكل واضح. لا يستطيع أي شخص أن يدحض فكرة أن المدرسة الثانوية لعبت دورًا هامًا، باعتبارها قوة جاذبة في مجال استيطاني معين، فقد أصبحت مصدرًا استيطانيًا حقيقيًا، وسيغدو هذا الأمر حقيقة أيضًا بما يخص الجامعة العبرية؟ علينا أن لا ننسى أن موجات الهجرات التي ننتظرها ستأتي من دول ذات ثقافة، ومن الهام أن نحدّد، وبشكل قاطع، الوعي القائم على أن الدخول إلى أرض إسرائيل لا يعتبر قفزًا إلى الظلام وليس تدنيًا ثقافيًا. ستزيل الجامعة هذا العائق من أمام الكثيرون، وسيصعد آلاف الشباب المشبعين بطاقات عالمية إلى أرض إسرائيل، فقط، بسبب الجامعة. وسيجعل، الكثير منهم، من البلاد مكان إقامتهم الجديد.[405]

وقد أوضح وايزمان، في خطابه، في جلسة اللجنة الصهيونية (عام 1920)، وفي حفل خريجي الجامعة في تل أبيب (عام 1933)، أن تطور ونمو الجامعة مرتبط بالعمل الاستيطاني، إذ إن العلاقة ما بين الجامعة وبين الاستيطان وبين احتياجاته المتعدّدة هي علاقة عضوية وعلاقة مترابطة لا تنفصم. كما أن للجامعة دور، هام جدًا، في الاقتصاد والثقافة معًا، وأهميتها بالنسبة للاقتصاد كبيرة جدًا، فهي تمثل العصب بالنسبة لقطاعات الاقتصاد المختلفة، الزراعية والصناعية والتجارية، فهي تحتل مكانة مركزية في الحياة اليومية للمجتمع اليهودي:

---

[404]. وايزمان، "خطاب إلى الطلبة اليهود"، مرجع سبق ذكره، ص 19–20.

[405]. وايزمان، "حول الجامعة العبرية"، مرجع سبق ذكره، ص 22–23.

كيف يجب أن تكون بداية الجامعة. يجب على الجامعة أن تبدأ عملها، دون شك، بإقامة مؤسّسات بحثية ضرورية بالنسبة إلى احتياجات البلاد. إن العلاقة العضوية بين الجامعة وبين الاستيطان واحتياجاته الحيوية، هو الضمان لتطور ونمو الجامعة. ستكون الجامعة مؤسّسة وجودية وليست منتجًا مصطنعًا. وسوف تدر علينا من جذور الواقع في أرض إسرائيل، ومن مصدر قيمها الطبيعية وحاجاتها الحيوية في كل حقول الاقتصاد والثقافة ... علينا أن نؤسّس أقسام فيزيائية وكيميائية وعلم الأحياء الدقيقة، جنبًا إلى جنب، مع قسم العبرية والذي سيتحول مع الوقت إلى قسم شرقي عام ... ستنشر نتائج البحث ومخرجاته العلمية بالعبرية، وأيضًا بلغات أخرى. سيتم إدارة كل العمل العلمي بلغة عبرية، وهذا ليس عبثًا، وإنما بهدف إعلاء ثورات شعب إسرائيل ونشر اسم إسرائيل في العالم.[406]

ويضيف:

يجب أن يستند كل اقتصادنا – إذا أردتم المنافسة مع الدول الكبرى – إلى العلم الأكثر حداثة. من الضروري أن تقوم الجامعة بترقية مستوى الأشخاص (الباحثين والطلاب) بحيث يحصلون على مستوى علمي ثقافي عالٍ لكي يتسنّى لهم المنافسة. إن الفرع الاقتصادي الأكبر، في منطقة الشارون ويهودا، هو تنمية زراعة ثمار الحمضيات، بيد أنه يجب أن يركّز الاستيطان هناك، أيضًا، على فروع أخرى. علينا أن نوسع استيطانا إذ استطعنا، على سبيل المثال، أن نعمل في سهل الحولة وفي سهل بيسان، فإننا لا نستطيع حتى الآن، معرفة العمل في الأراضي هناك، ونحتاج إلى بحث أساسي مسبق حتى نبدأ هناك باستيطان زراعي واسع. وينسحب هذا الحال، أيضًا، على الصناعة والتجارة وغيرها، لا نستطيع أن ننافس الصناعات الخارجية إذا لم نجري

[406]. وايزمان، "معبد مجد روح إسرائيل"، مرجع سبق ذكره، ص 32.

بحثًا منهجيًا حول جميع الأشياء هناك. وعلى هذا النحو ستحتل الجامعة مكانتها في حياتنا اليومية.[407]

لعب الاستعمار البريطاني دورًا في إقامة الجامعة العبرية، من حيث تأييدها وتوفير الإمكانيات والتصاريح لإقامة حجر الأساس عام 1918، ومن مشاركة هربرت صموئيل، المندوب السامي البريطاني، في حفل افتتاح الجامعة وإلقاء خطاب فيه، كما كان جيمس بلفور نفسه، صاحب "وعد إقامة الوطن القومي اليهودي" في فلسطين، المشارك الأساسي والذي افتتح الجامعة. ويخبرنا مصطفى أن الاحتلال البريطاني لفلسطين قد شكّل "دفعة قوية لإقامة الجامعة، فقد بارك الإنجليز خطوات إقامتها". ويعقّب قائلاً:

وفي نيسان 1918، جاء مجلس النواب الصهيوني إلى فلسطين، وبعد مفاوضات مع الجيش البريطاني وبدعم من اللورد جيمس بلفور (صاحب وعد بلفور)، سمح الإنجليز بوضع الحجر الأساس للجامعة. وفعلاً، قام وايزمان، في العام نفسه، بوضع الحجر الأساس للجامعة في جمع احتفالي، ليكرس بذلك أمرًا واقعًا يلزم به الإنجليز بعد أن باركوه ودعموه، وكان هذا الاجتماع مقدمة للاحتفال الكبير الذي سيعقد لافتتاح الجامعة في العام 1925. وازداد النشاط اليهودي والصهيوني لإقامة الجامعة وإتمام باقي الخطوات لافتتاحها مع تعزيز الإنجليز سيطرتهم على فلسطين.[408]

ومما جاء في خطاب هربرت صموئيل:

أنني بالنيابة عن حكومة جلالة الملك، أقدم تهانئي القلبية بهذه المناسبة، وقد كتب لي وزير المستعمرات، بأنه ينظر باهتمام عظيم إلى افتتاح مركز جديد للعلم في القدس، وهو يعتقد أن هذا المشروع سيصادف نجاحًا كبيرًا في نشر العرفان (المعارف) والآداب على أرض فلسطين التاريخية. وقد سرت حكومة فلسطين، أيضًا، لإنشاء هذا المعهد الذي تأسّس في ظروف سعيدة

---

[407]. وايزمان، "كلمة إلى اليشوف"، مرجع سبق ذكره، ص 33-34.

[408]. مصطفى، المؤسّسة، مرجع سبق ذكره، ص 39.

وأُعِد، كما أرجو، لتقديم خدمة كبيرة للعلم. إن حضور هذا السياسي الخطير الذي قطع ألوفًا من الأميال، ليرينا كيف أنه باشتراكه في هذه الحفلة، يشعر معنا ويعطف على مشروع الجامعة، وحضور اللورد أللنبي الذي كان لقيادته العسكرية الباهرة، الفضل الأكبر، في جعله ممكنًا، ووجود الدكتور وايزمان الذي يمثل الروح التي أوجدت هذه الجامعة، وحضور ممثلي الحكومات والمعاهد العلمية المحترمين، واهتمام ملايّين اليهود اليوم، في جميع أنحاء العالم، بهذه الحفلة، وما حولنا من المناظر الطبيعية والجامعة نفسها التي تتجسّد فيها آمال الإنسان، كل هذه الأمور تجعل هذا الموقف من مواقف الإلهام.[409]

لكن، وفقًا لفيراسيني، فإن المستعمِر الاستيطاني لا يصل بشكل عام إلى البلاد المستعمَرة:

ليكون مندوبًا للدولة الأم الرأسمالية، وإنما لينشئ مجتمعه الرأسمالي الخاص به. أما علاقته بالدولة الأم فتكون نفعية ومؤقتة، وتتحول في مرحلة ما إلى معيقة بالنسبة لبناء مشروعه الاستيطاني. [إذ] يخلق الاستعمار الاستيطاني ظروفًا بحيث تتم ممارسة الفعل الاستعماري من داخل الكيان السياسي المستعمَر استيطانيًا، على العكس من الاستعمار الاستغلالي والذي يمارس الفعل الاستعماري من الخارج، من خلال متروبول [الدولة الأم للمستعمَرة] منفصل جغرافيًا واقتصاديًا وسياديًا عن المستعمَرة.[410]

لذلك، ظهرت المساعي لتكثيف الجهود لإنشاء الجامعة العبرية، في سياق التنافس مع سلطة الاستعمار البريطانية التي أعلنت عن نيتها إنشاء جامعة فلسطينية لجميع السكان، عربًا ويهودًا، في فلسطين، وحاولت الحركة الصهيونية أن تستثمر كل الجهود لبناء الجامعة العبرية وتكريسها في فلسطين من أجل ممارسة الفعل الاستعماري الذي تحدث عنه فيراسيني، بالإضافة إلى منافستها لمخططات البريطانيّين لإنشاء جامعة فلسطينية.

---

[409]. "الخطب التاريخية ... صموئيل"، **فلسطين** (صحيفة)، مرجع سبق ذكره، ص 3.

[410]. حباس، مرجع سبق ذكره، ص 119.

أعلنت الحكومة البريطانية، على لسان رونالد ستورس (Ronald Storrs)، حاكم القدس، في صيف عام 1922، إنشاء جامعة إنجليزية لليهود والعرب في تلك المدينة، ولكن بسبب معارضة القيادة الصهيونية في فلسطين، التي اعتبرت هذه المؤسّسة تهديدًا للجامعة العبرية المتوقعة، تم سحب هذا الاقتراح.[411] إلاّ أن الفكرة نفسها لم تختف بالمطلق. فقد زار جيمس هيدلام–مورلي (James W. Headlam-Morley)، وهو مؤرخ إنجليزي ذو سمعة عالية ومستشار تاريخي سابق في وزارة الخارجية، فلسطين (في أيار/مايو 1927)، بناء على طلب الأسقف ماكلنيس، الأسقف الأنجليكاني (الإنجيلي) في القدس، لإسداء المشورة إليه بشأن المسائل المتعلقة بالمؤسّسات التعليمية التي حصلت عليها فلسطين من قبل الجمعيات التبشيرية الأنجليكانية. وبعد زيارته لهذه المؤسّسات التعليمية، وكذلك المدارس الثانوية الأخرى في فلسطين، قدّم تقريره في مطلع تموز 1927. وأوصى فيه، في جملة من الأمور، بإنشاء مؤسّسة جامعية – اقترح لها اسم "معهد القدس"، من أجل التوجيه والتحكّم في التحول الكبير الذي يحدث في فلسطين والشرق بفعل تأثير الفكر الغربي وأنماط الحياة الغربية المتزايدة هناك. وكان هذا الاقتراح من بين جملة اقتراحات قدّمها هيدلام–مورلي على أثر سلسلة المداولات والمناقشات، التي استمرت لبضع سنوات في لندن والقدس.[412]

كان هدف هيدلام–مورلي، إنشاء مؤسّسة بريطانية ذات مركز جامعي في القدس بهدف تلبية الحاجة إلى التعليم العالي، وإن كان صغيرًا نسبيًا، للسكان الناطقين باللغة العربية. إن هذه الحاجة، في رأي هيدلام–مورلي، لا يمكن إلا أن تكون مصدر اهتمام السلطات الحكومية، فمن ناحية، الجامعة العبرية في القدس، التي كانت تعمل في ذلك الوقت منذ حوالي ثلاث سنوات، لم تتمكن من توفير الاحتياجات التعليمية العربية لأن لغة التدريس هناك كانت العبرية، ومن ناحية أخرى، لم يعد من الممكن ترك تعليم المعارف الغربية للعمل الطوعي للمجتمعات التبشيرية والهيئات الكنسية الأخرى فقط. إن "بريطانيا العظمى"، التي تولت

---

[411]. يُنظر: Ofer، مرجع سبق ذكره، ص 274.

[412]. المرجع السابق.

المسؤولية عن حكومة فلسطين، كانت برأيه ملزمة بهذه المسؤولية لرعاية التكيف السليم لسكان فلسطين للتأثيرات الغربية التي يتعرضون لها بشكل متزايد وتعزيز قدرتهم للتعامل معها.[413]

وبما أن "بريطانيا العظمى"، تتحمل مسؤولية متساوية تجاه البلدان الناطقة بالعربية الأخرى تحت حكمها في "الشرق الأوسط"، أوصى هيدلام–مورلي بأن تهدف مؤسّسة التعليم العالي، التي أنشئت في القدس، إلى توفير التعليم اللازم ليس لسكان فلسطين فحسب، بل لسكان البلدان المجاورة أيضًا. إن الاعتراض المحتمل على مؤسّسة التعليم العالي المقترحة في فلسطين ستكون من قبل الجامعة الأميركية في بيروت إلى حد كبير. وفي ضوء هذه الحجة، يميل المرء إلى التساؤل عما إذا كانت العناية برفاهية شعب فلسطين والشرق الأوسط هي التي وقفت نصب عيني هيدلام–مورلي عند اقتراحه إنشاء مؤسّسة بريطانية للتعليم العالي لصالح طلبة فلسطين العرب، أو ما إذا كان دافعه الرئيس منكبّ على النفوذ البريطاني والسيطرة.[414]

أحال المطران ماكلنيس تقرير هيدلام–مورلي إلى اللورد بلومر، "المفوض السامي" لفلسطين، الذي أسره اقتراح إنشاء مؤسّسة ذات مركز جامعي في القدس. ولأن بلومر أعتقد أنها "مسألة مهمة"، كذلك المطران ماكلنيس، فقد اقترح تشكيل لجنة غير رسمية لدراسة التوصية الواردة في تقرير هيدلام–مورلي، وتقديم بعض المقترحات الملموسة والمحددة بشأن هذه المسألة.[415]

وضعت هذه اللجنة غير الرسمية مذكرة اعتمدت فيها، عمومًا، اقتراح هيدلام–مورلي والمخططات لإنشاء هذه المؤسّسة في القدس. وفي الوقت نفسه، لم يقتصر عمل هذه اللجنة على تقديم "مقترحات ملموسة" كما طُلب منها، ولكنها وجدت أيضًا أنه من الضروري أن تدعم، بشكل قاطع، ادعاء هيدلام–مورلي القائل إن عدم وجود مؤسّسة بريطانية للتعليم العالي سيُخضع الطالب العربي لتأثير الجامعة الأميركية في بيروت، وبالتالي العمل ضد المصالح البريطانية في الشرق الأوسط. كتبت اللجنة، بخصوص تدريس مواضيع

---

413. المرجع السابق، ص 275.

414. المرجع السابق.

415. المرجع السابق، ص 276.

مختلفة مثل التاريخ والعلوم السياسية والفكر الأوروبي والفلسفة: "إن المعايير الفكرية والتعليمية والأساليب والاتجاهات والميول الضمنية لن تكون أمريكية بل إنجليزية"، ولا يمكن لـ"بريطانيا العظمى" أن "تبقى غير مبالية بشأن أي من نفوذ التأثير الذي سيستفيد منه قادة المستقبل في الشرق الأدنى وفلسطين". واختتمت هذه اللجنة مذكرتها، ببيان: "إن المُثل الاجتماعية والوطنية/القومية [لمؤسّسة القدس الجامعية] لن تكون عالمية أو حتى عروبية (Pan-Arabism)، بل فلسطينية، والتأثير الخارجي لن يكون نسخة مخفّفة من اعتماد وتبني المشرقيّين للأميركية، ولكن الأفضل، تبني ما يمكن أن تقدمه التقاليد التعليمية البريطانية".[416]

إن مذكرة هذه اللجنة، ومقترح هيدلام–مورلي، يلتقيان ويظهران في سياق المنافسة بين القوى الاستعمارية الغربية فيما بينهما، بين الاستعمار البريطاني وبين تأثير الاستعمار الأمريكي، على إخضاع والسيطرة والهيمنة على "الشرق". إذ كان واضحًا، الخوف من تأثير الجامعة الأمريكية في بيروت على الشباب العربي و"الشرقي".

أما بخصوص فكرة أن تكون الجامعة "جامعة فلسطينية"، فقد أشار إلى ذلك بلفور في خطابه في افتتاح الجامعة العبرية، إذ أوضح رغبته بأن تكون الجامعة العبرية، لا "جامعة فلسطينية" فحسب بل "الجامعة الفلسطينية"، فهي دلالة مهمة على الرمزية التي يحاول بلفور أن يشير إليها وهي جامعة لليهود والعرب على حد سواء، وذلك بغية فرض المساواة بين الطرفين وإضفاء الشرعية على الاستيطان الصهيوني، كما سبق وتعاون اليهود والعرب في القرون الوسطى في البلاد العربية والإسلامية. كذلك، تأتي إشارة بلفور هذه بعد أن ربحت الحركة الصهيونية المنافسة مع الاستعمار البريطاني في إنشاء جامعتها في فلسطين:

> قد تجدون، أيها السادة، أنه يوجد مجال للانتقاد على هذه الجامعة من وجهة نظر العرب إذ إنهم لا يجنون منها فائدة ما أو فائدة قليلة جدًا، ولكن يجب أن يُعلم بأن هذه الجامعة، هي جامعة عبرية، وأن لغتها يجب أن تكون عبرية، ومن الخطأ الظن بأن العرب لهذا السبب لا يستفيدون منها. إن العرب يذكرون تلك العصور المظلمة يوم كان سراج المدنية الغربية منطفئً تقريبًا بتأثير

[416]. المرجع السابق، ص 276–277.

النفوذ البربري، ويذكرون أن اشتغال اليهود والعرب معًا في العمل انبثقت عنه أشعة النور الأولى التي أضاءت ذلك الزمن المظلم. فإذا استطاع اليهود والعرب في القرن العاشر أن يعملوا معًا لتنوير أوروبا، فلما لا يستطيعون اليوم أن يعملوا متعاونين مع أوروبا لجعل هذه الجامعة ليس جامعة فلسطينية كبيرة، فحسب، بل الجامعة الفلسطينية لتستطيع كل الطوائف أن تجني منها الفوائد العقلية والروحية.[417]

وقد أحال اللورد بلومر، مذكرة اللجنة إلى ليوبولد أميري، وزير الدولة للمستعمرات، في آذار/مارس 1928، وأوصى، بحرارة، بأن ينظر المكتب الاستعماري في اقتراح إنشاء معهد القدس، وربما أيضًا من قبل مجلس التعليم. غير أن استقبال هذه المسألة في المكتب الاستعماري، يبدو أنه فاتر ومتردّد إلى حد ما، الذي فضل عدم اتخاذ قرار، بل إحالة المسألة إلى اللجنة الاستشارية المعنية بالتعليم في المستعمرات للنظر فيها وإبداء الرأي بشأنها، والتي قررت في 10 كانون الثاني/يناير 1929، أن تعين لجنة فرعية؛ "لتضع الخطة ومخطط لمؤسّسة من هذا القبيل تشكّل أساسًا لنداء عام للحصول على أموال بدعم من حكومة فلسطين".[418]

اجتمعت اللجنة الفرعية مرتين، وأصدرت تقريرًا وتوصيات، قدمت إلى اللجنة الاستشارية المعنية بالتعليم في المستعمرات. وأعرب الأعضاء في تقريرهم عن تأييدهم الكامل لإنشاء مؤسّسة للدراسات العليا في فلسطين، مقرها في القدس، واقترحوا أن يطلق عليها اسم "جامعة فلسطين". ومن أجل تأمين أوسع مجموعة من الفرص التعليمية للطلبة الفلسطينيّين، أوصى الأعضاء أنه يجب على الجامعة المقترحة أن تتعاون عن كثب، على أساس المعاملة بالمثل، مع الجامعة العبرية في القدس والجامعة الأمريكية في بيروت، ويحق لها منح شهادات ودبلومات. ويبدو أن اللجنة الفرعية، كانت مهتمة، في المقام الأول، برفاهية سكان فلسطين والمنفعة التي يمكن أن يستمدوها من الجامعة المقترحة، وعلى عكس هيدلام–مورلي واللجنة الاستشارية

---

[417]. "الخطب التاريخية ... بلفور"، **فلسطين** (صحيفة)، مرجع سبق ذكره، ص 3–4.

[418]. يُنظر: Ofer، مرجع سبق ذكره، ص 277–278.

للتعليم في المستعمرات، كانت أقل اهتمامًا بالمصالح البريطانية في الشرق الأوسط التي قد تخدمها هذه المؤسّسة.[419]

لقد أعرب مسؤولون، في المكتب الاستعماري، عن شكوكهم في جدوى التوصيات التي طرحتها اللجنة الفرعية. وأشاروا إلى أن اقتراح اللجنة الفرعية الداعي إلى إدراج المقررات العلمية والتكنولوجية في مقررات الجامعة المتوقعة، يشكّل إضافة هامة إلى الاقتراح الأولي لمروجي المخطط، غير أنهم يعتقدون أنه بسبب صعوبات حقيقية جدًا سيظل هذا فقط "طموح واعي" (Pious Aspiration). كما تساءلوا عن جدوى إدراج عدد من المؤسّسات القائمة ذات التقاليد والخلفيات المختلفة، التي لم يصل كثير منها إلى أي معيار أكاديمي معقول. وعلاوة على ذلك، حذروا من خطر أن الجامعة المقترحة لن تكون قادرة على تحقيق مستوى أكاديمي معقول، مقابل السمعة العالية التي كان من المؤكد حصول الجامعة العبرية في القدس عليها.[420]

منذ ذلك الوقت، يبدو أنه لم يكن هناك أي شيء آخر فيما يتعلق بالخطة المقترحة لجامعة فلسطين، لا في فلسطين ولا في المكتب الاستعماري في لندن. ولم يكن هناك مخطط مفصل لإنشاء هذه الجامعة، ولا حتى أي معلومات، وردت من حكومة فلسطين، قد تؤدي إلى افتراض أن مثل هذا المخطط كان قيد الإعداد. ومن الناحية العملية، كان المشروع المقترح لإنشاء جامعة بريطانية في فلسطين مهجور. ولسوء الطالع، لا توجد معلومات متاحة لإظهار ما إذا كان قد تم التخلي عنه بقرار متعمد، أو أن يكون قد تم تأجيله بسبب القضايا الأكثر إلحاحًا التي ظهرت بعد ذلك. وقد تم تدمير الملفات ذات الصلة في مكتب السجل العام لأسباب غير معروفة، والتي ربما تكون قد ألقت بعض الضوء على هذه المسألة.[421]

---

[419]. المرجع السابق، 278–279.

[420]. المرجع السابق، ص 279.

[421]. المرجع السابق، ص 280.

جاء إنشاء الجامعة العبرية في إطار المنافسة مع الاستعمار البريطاني. ويمثل ذلك حقيقة واحدة ذو بعدين، الأول: لم تكن تريد الحركة الصهيونية أي حضور أو تمثيل للاستعمار البريطاني، وذلك من خلال توصيف نفسها كحركة "تحررية" ضد الاستعمار البريطاني، وخاصة في فترة التوتر بين البريطانيّين والصهيونيّين حول تحديد عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين في عشرينيات القرن العشرين. أما البعد الثاني، وهو الأهم، يتعلق بأهمية الأهداف المتعددة والغايات المرجوة التي طرحتها الحركة الصهيونية، وحاييم وايزمان، للجامعة العبرية اليهودية، إذ ضمن هذا السياق، لا يمكن أن تكون الجامعة المراد إنشاؤها في فلسطين إلا يهودية عبرية خالصة. إلاّ أن كل ذلك اختلف عند نشوب الحرب العالمية الثانية، إذ:

شهدت سنوات الحرب (الحرب العالمية الثانية) تعاونًا بين المؤسّسات العلمية اليهودية في فلسطين وبين بريطانيا، إذ قامت الجامعة العبرية بتقديم الاستشارة العلمية والمهنية للمجهود الحربي، وتمت إقامة اللجنة العلمية الاستشارية التي ضمت مؤسّسات التعليم العالي اليهودي في فلسطين، لتقديم المساعدة والمساندة العلمية والتقنية والطبية للمجهود الحربي البريطاني. وأدت الحرب العالمية الثانية – والتحول الذي أحدثته في العلاقة بين الحرب والعلم والتكنولوجيا، كونها كانت أولى الحروب التي لعبت التكنولوجيا، دورًا كبيرًا وحاسمًا، في مجرياتها وقوة تدميرها وتحديد نهايتها – إلى تحولات داخل أجزاء كبيرة من النخب الأكاديمية اليهودية في فلسطين عمومًا، وفي الجامعة العبرية خصوصًا. وساهمت الحرب التي اندلعت في فلسطين في أعقاب قرار التقسيم في تشرين الثاني 1947، بتعزيز هذه التحولات، فقد بدأت الجامعة ونخبتها ترى أنها جزء من الدولة القادمة، وأن عليها أن تساهم في المجهود الحربي خلال الحرب. انطلق هذا التفكير من عوامل فرضها الواقع، فإلى جانب وجود توجهات وطنية يهودية واضحة داخل نخب الجامعة، فقد كان واضحًا للنخب الأكاديمية أن الجامعة ستكون جزءًا من الدولة اليهودية الجديدة، وعليها أن تساهم في مجهودها الحربي في هذه المرحلة، وبنائها في المرحلة التالية لتضمن مكانتها. وهذا ما حدث، في

العقد الأول بعد قيام الدولة، إذ تحولت الجامعة العبرية إلى الجامعة، بمعنى المؤسّسة الأكاديمية المهيمنة في إسرائيل.[422]

أدت الجامعة العبرية، مهمتها، بكل امتياز، في تكريس الاستعمار الصهيوني، والامبريالية البريطانية، في مساعيهما، في السيطرة والهيمنة على الشعوب. وأدت أهمية العلوم والتكنولوجيا والإنتاجات المعرفية "رسالتها" في تمكين الأيديولوجية الصهيونية والاستعمارية الأوروبية، في مساعيهما، في إقصاء الشعوب المستعمَرة من "التاريخ"، وإحلال "التاريخ اليهودي الأوروبي"، وتكريس وجود "أمة وشعب يهودي" في التاريخ الفلسطيني في أرض فلسطين.

4-6-1. عرب في الجامعة العبرية: ما بين الغربة ورسالة التحضّر

كما أسلفنا، يكمن دور الجامعة، ضمن أيديولوجية وفكر الحركة الصهيونية، في إنتاج المعرفة لطمس المعارف العربية المحلية واستبدالها بمعارف غربية، وفرضها على السكان، كأداة استعمارية، للسيطرة على المجتمع الفلسطيني المحلي؛ واختراقه من خلال دراسته. وسوف نسلط الضوء في هذا القسم بصورة أوسع على هذه المسألة بالغة الأهمية.

أوضح مهند مصطفى، أن الجامعة العبرية قد حاولت:

> استمالة الطلاب الفلسطينيّين إليها، وأصدرت كراسات باللغة العربية. ومنها، الأولى صدرت في حزيران/يونيو 1939، والثانية في تموز/يوليو 1941، وفيها توجه واضح للطلاب الفلسطينيّين والعرب للدراسة في الجامعة، وهي تشتمل على معلومات تاريخية وأكاديمية عن الجامعة. ينسجم هذا التوجه للجامعة مع التوجهات الفكرية لرئيسها ماغنس، الذي كان يؤمن بفكرة الدولة الواحدة في فلسطين، كما أنه كان ينظر إلى الجامعة كمركز تعليمي، تمثل الثقافة اليهودية وإسهاماتها

[422]. مصطفى، المؤسّسة، مرجع سبق ذكره، ص 52-53.

الإنسانية، ولا تمثل المشروع الصهيوني في فلسطين، ولكنها كانت محاولة من الجامعة لأن تشرح للفلسطينيّين عن الصرح الذي ينمو بسرعة بين ظهرانيهم في القدس.[423]

لكن، في اعتقادي، فإن هذه المساعي لا تنسجم ضرورة مع توجهات ماغنس فقط، إذ إن وايزمان قد دعا مرارًا إلى أن تضم الجامعة عربًا وأتراكًا وغيرهم، وذكر ذلك في عدد من خطاباته المتعددة، كما حدّد مهمة الجامعة في لعب دور مهم في مد جسور العلاقة وتطويرها بين العرب واليهود، وذلك بغية استكمال الفرض والهيمنة الاستعمارية على العرب والفلسطينيّين، فالجامعة هي في صلب المشروع الصهيوني. لذا فإنه يمكن فهم هذه المساعي، لا كما رآها ماغنس، بل كما فهمها وخطّط لها وايزمان.

يوضح وايزمان الدور السياسي للجامعة، في معرض خطابه في المؤتمر الصهيوني الحادي عشر (عام 1913):

تركيا والشرق كله، هما مدانا الواسع لنشاطنا. سوف تكبر قوة استيعاب هذه المنطقة أكثر فأكثر، مع تطور بلادنا، وإذا توائم الأمر مع احتياجات الشرق، سنجد في الشرق مكانًا كافيًا لخريجين متعلمين. سيكون متعلمي جامعتنا، بلا شك، خيرة طلائعيونا من الناحية المادية والمعنوية، ونحن سنوجد في تركيا عناصر مؤهلة والتي تحتاجها جدًا. إن الجامعة التي ستفتح أبوابها للسكان العرب والأتراك أيضًا، ستعبّد الطريق لعلاقات جيدة ومرغوب بها بيننا وبين الشعب الذي يسكن بين ظهرانينا، وبهذا تتضح القيمة السياسية الكبرى لهذه الجامعة.[424]

كما جاء في خطابه في افتتاح الجامعة:

إن ما نحتفل بتدشينه اليوم، هو الجامعة العبرية، فاللغة العبرية إذن ستكون لغتها. غير أن الجامعة لا تكون شيئًا إذا لم تكن جامعة، ولذلك كان من الواجب أن لا تقتصر على بعض

---

[423]. المرجع السابق، ص 45-46.

[424]. وايزمان، "حول فكرة الجامعة"، مرجع سبق ذكره، ص 13.

الأبحاث بل على كل ما يتناوله العقل البشري، وأن تكون مفتوحة لكل رجل أو امرأة من أي مذهب أو جنس.[425]

وكذلك، في خطاب له، في حفل خريجي الجامعة، في نيويورك (عام 1940):

الجامعة جزء مهم جدًا في عملية بناء البلاد، على مر الزمان، تستطيع الجامعة أن تكون العين والمخ والجسد الصغير للبلاد. أنتم قلقون بسبب المسألة العربية، معكم حق، هناك عمل كثير مطلوب لإحلال السلام بين العرب واليهود، وإحدى الأدوات لذلك، هي الجامعة، فبواسطة التعليم والأدب الخ، سنبدأ بالبحث عن الطريقة. ستحاول الجامعة أن تعبّد لنا الطريق، من خلال نشر الفهم والمعلومة. على الرغم من الصعوبات والأجواء المسمّمة السائدة الآن في البلاد، فإن هناك إمكانية لدى الجامعة أن تلعب دورًا مرموقًا وهامًا في تطوير العلاقات بين الأمتين.[426]

كذلك، تظهر مسألة الجامعة العبرية، في علاقتها مع العرب والفلسطينيّين، كمكان وحيز وفضاء، يسعى الاستعمار الصهيوني الاستيطاني الإحلالي إلى السيطرة عليه، والتحكم فيه، وإخراج الفلسطيني منه، وإحلال الوجود اليهودي بدلاً منه، بغية تطبيع وتكريس الوجود الصهيوني وتعزيز الفكر والثقافة اليهودية الغربية محل الثقافة والتراث العربي الفلسطيني الشرقي.

تشير الباحثة يارا سعدي إلى أهمية "طرح تساؤلات حول المدينة كحيز، وحول تطور هويتها وسياقها". وتوضح في قراءة لها حول كتاب "الحيز كمنتوج اجتماعي" (2007)، من خلال استعانتها بنظرية هنري ليفبري (H. Lefebvre)، بأن:

تطور الحيز ليس منعزلاً عن سياقه الاجتماعي، لا بل هو بمثابة منتوج لمجمل القوى السياسية والاجتماعية التي تحاول السيطرة عليه على نحو مستمر. في هذا السياق، وإضافة إلى التساؤلات حول الحيز وإنتاجه، تُثار التساؤلات حول هوية المجتمع، المواطن أو المقيم في جبل المشارف

---

[425]. "الخطب التاريخية ... وايزمان"، **فلسطين** (صحيفة)، مرجع سبق ذكره، ص 3.

[426]. وايزمان، "الحلم وتحقيقه"، مرجع سبق ذكره، ص 44.

(الصوّانة)، وأي مواطن يتعرض للإقصاء منها، وكيف تندمج مصطلحات مثل الحق في المدينة في مثل هذا السياق الناتج. [فقد] جرى بعد اتخاذ قرار إقامة بناء جامعة يهودية، بسنوات قليلة، شراء قصر غراي–هيل على قمة جبل المشارف (الصوّانة)، الواقع بين قرى وحارات القدس العربية: العيساوية ووادي الجوز وشعفاط وغيرها. وما يميز القرار بشأن الموقع الجغرافي للجامعة، هو كونه نابعًا من الاستراتيجيات الاستعمارية الكلاسيكية التي اتبعتها الحركة الصهيونية في استيطانها في فلسطين، ومنها الحاجة إلى ملء الفراغ اليهودي في المناطق العربية، إذ عبر حاييم وايزمان عن هذه الاستراتيجية بمقولته بعد بناء الجامعة: "لا أحد يستطيع أن يأخذ المساحة منا الآن".

وتضيف سعدي:

واستمر بناء الجامعة العبرية من هذه المنطلقات الاستعمارية الاستيطانية في سياسات الهندسة المعمارية لبنايات الجامعة قبل وبعد احتلال القدس عام 1967؛ إذ بالإضافة إلى مصادرة الأراضي في جبل المشارف (الصوّانة)، بغية توسيع الجامعة ومؤسّساتها، شدّدت الاستراتيجية المعمارية للحرم الجامعي على ماذا ترى العين الإسرائيلية، وماذا يترتب على العين الفلسطينية أن ترى. بالتالي، خُططت مباني الجامعة بطريقة (Megastructure)؛ أي مباني عدة متجاورة تشكّل مبنى واحدًا كبيرًا يبدو كحائط، وذلك كرد معماري على أسوار القدس القديمة. بالإضافة إلى الحائط، يعلو الحرم الجامعي برج يقوم بدور البانوبتيكون (في أعقاب بنتهام وفوكو)، أي برج المراقبة والذي يرى الشخص فيه كل شيء ولا يُرى. وجرى تخطيط هذه المباني بطريقة يمكن بحسبها رؤيتها من مسافة بعيدة، ابتغاء إعطاء انطباع تغلب عليه القوة والرهبة. أما المنظر من داخل الحرم الجامعي فيطل على أجزاء مختلفة من القدس، لكن دون الحارات العربية المجاورة.

تصب جميع هذه السياسات المعمارية في تكريس الاستراتيجية الاستعمارية في سبيل خلق الحدود بين الأنا والآخر. فهناك الصهيوني الأكاديمي والتقدمي مقابل العربي المتخلف والضعيف.[427]

يشير الباحثان ديانا دوليف وحاييم غوردون إلى أن هناك غربة لمباني الجامعة عن محيطها الطبيعي الاستثنائي، من المشاهد الشرقية التي تحيط بها، من مدينة القدس القديمة التاريخية. وأصبح هذا الاغتراب في السنوات التي أعقبت بناء حرم الجامعة العبرية، نمطًا لجميع المباني اليهودية، تقريبًا، في فلسطين. إلا أن ما يثير الدهشة، هو أن هذا الاحتضان من الاغتراب والقبح المعماري، في حالة الجامعة العبرية، أنه تم تحت إشراف دقيق من أشخاص، يعتبروا حتى اليوم، بأنهم قادة روحانيّين بارزين للصهيونية، أمثال وايزمان وماغنس. ويمكن الاستنتاج وفق تحليلهما أن هؤلاء القادة، كانوا على ما يبدو، بعيدين وغير مطلعين على الأفكار المعمارية، وفكروا فقط من ناحية جمع الأموال وتلبية رغبات المساهمين المحتملين. وعلاوة على ذلك، يبدو أنهم أرادوا غزو الأرض، وليس الاندماج معها. كما ويبدو أنهم لم يدركوا أن العمارة الجيدة يجب أن تربط المباني بالمحيط المباشر. يبدو أن وايزمان وماغنس كانا في هذا المجال محدودين للغاية في رؤيتهما.[428]

لكن وفقًا لسعدي، تؤكد مقولة وايزمان: "لا أحد يستطيع أن يأخذ المساحة منا الآن"، مضمون الخطاب الاستعماري [والاستشراقي]:

لتبين الهدف والذي في النهاية لا يتمحور حول مبنى الجامعة – بل هو حول السيطرة على المكان. هذه السيطرة، على نحو ما يدعي باتريك وولف، لا تحدث مرة واحدة في منظومة الاستعمار الاستيطاني، بل تجري ضمن مبنى استيطاني وسيرورة مستمرة تهدف إلى محو مجتمع السكان الأصليّين واستبدالهم بالمجتمع المستعمِر.[429]

---

[427]. يارا سعدي، "الجامعة العبرية وتقاطع الاستعمار الاستيطاني والجندر"، **جدل**، العدد 24 (أكتوبر 2015)، ص 1–2، يُنظر: http://mada-research.org/wp-content/uploads/2015/11/JDL24-5-Yara.pdf

[428]. يُنظر: Dolev and Gordon، مرجع سبق ذكره، ص 371.

[429]. سعدي، مرجع سبق ذكره، ص 4.

وفي هذا الصدد، تستشهد بطرح شيرين رزاق (S. Razack) القائل "إن الحيز ليس دافعًا للاستيطان فحسب، بل هو كذلك وسيلة للسيطرة على السكان الأصليّين، وذلك من خلال ثلاث طرق أساسية هي: عرض المستعمِر كممثل الحضارة والمستعمَر كممثل للتخلف؛ إخراج المستعمَرين من القانون وإقصاؤهم عن الحيز الحضاري؛ العنف المقرون بالمواجهة الاستعمارية".[430] بناءً على ذلك، تستنتج سعدي أن:

> هذه الطرق لاستخدام الحيز، كوسيلة للسيطرة على المستعمَرين، تنعكس، وعلى نحو واضح، في واقع جبل المشارف (الصوّانة)، حيث جرى التحكم بالمحور الزمني في العيساوية والحرم الجامعي من خلال التفاوت في تطوير البنية التحتية، وتقديم الخدمات، وإمكانيات التطور المعماري، لتتجمد العيساوية في الزمن، كحي فقير، مقابل الجامعة الأكاديمية الخضراء، ولاستخدام هذه النتائج، كمبرر، للمزيد من الإقصاء والفصل. وتؤدي هذه الممارسات إلى "إخراج" الفلسطيني من الحضارة، من القانون، من كونه مقيمًا، وبناء على ذلك، فهو مبعد عن الحيز العام، مُقصى عن الحق في الأمان، ومسلوب من حقه في المدينة.[431]

أي أن وايزمان وماغنس، وجميع القادة الصهيونيّين، كانوا على وعي حقيقي، عند بناء الجامعة العبرية على شكلها الذي بنيت عليه، بما تعنيه هذه المباني، إذ كانوا يسعون إلى بناء الجامعة العبرية، كنموذج "غربي حضاري"، منفصل عن المحيط العربي "الشرقي المتخلف". ولم يكونوا غير مطلعين على الثقافة المعمارية، كما ادعى كل من ديانا دوليف وحاييم غوردون أعلاه، بل كانوا، وفق التحليل الأخير على علم ووعي بما تتضمنه الثقافة المعمارية، وبما تساهم به في تدعيم الرؤية الاستعمارية الاستيطانية الصهيونية.

لقد كانت مسألة احتواء العرب في الجامعة العبرية تمثل "رسالة التحضّر" و"التثقيف" للعرب والفلسطينيّين و"الشرق" عمومًا، التي حملتها الحركة الصهيونية في استعمارها لفلسطين، وهي ذات الرسالة التي حملتها

---

[430]. المرجع السابق.

[431]. المرجع السابق، ص 4-5.

قوى الاستعمار الأوروبية الغربية. فالمشروع الصهيوني، يجمع ما بين الاستعمار الاستيطاني، و"رسالة التحضّر وتطوير الشرق المتخلّف". وقد كانت هذه الرسالة تتم من خلال الجامعة العبرية أيضًا.

لكن، تكمن مشكلة الاستعمار الاستيطاني في أن طريقة تحليله البنيوية غير كافية، لأن هناك عنصر مهم، وهو "رسالة التحضّر" والمستمدة أكثر من الاستعمار الاستغلالي التقليدي، وكذلك من خطاب الاستشراق. وكما رأينا من خلال هذه الدراسة في مواضع عدة، فهذه قضية ظاهرة في فلسفة هيرتسل ووايزمان، وفي فلسفة جميع المنظرين وقادة الحركة الصهيونية، منذ بداية عملهم على المشروع الصهيوني، إذ إن عملية فلسفة "رسالة التحضّر" للشعوب "الأدنى"، سبقت عملية الإبادة العرقية والاستعمار الاستيطاني، التي مارسها الاستعمار الصهيوني في فلسطين في حرب 1947–1948.

الخلاصة والخاتمة

تمازجت أطر ورؤى معرفية وفكرية (القومية، الحداثة، تقديس العلم، الاستشراق، علم الأعراق والأنثروبولوجيا والخ) وأحداث وسيرورات تاريخية ومنظومات سياسية في أوروبا (كالاستعمار، المجازر الأوروبية ضد اليهود، اللاسامية، الثورة الفرنسية، فرض القيود المختلفة على اليهود، ووضع العراقيل والقيود أمام دخول الطلاب اليهود إلى الجامعات ومؤسّسات التعليم العالي والخ)، في صياغة الأساس المعرفي والفكري والأيديولوجي للصهيونية. وساهمت هذه جميعها في تبنّي الحركة الصهيونية المناهج وأساليب التفكير العلمي لاستخدامها في خططها الهادفة لصناعة "قومية يهودية"، ولتحقيق أهدافها الاستعمارية في فلسطين بغية تحويل اليهود من موضوع خامل في التاريخ (object)، كما كانوا في أوروبا، إلى موضوع فاعل في التاريخ (subject) في فلسطين، عبر الجامعة العبرية والمشاريع الصهيونية الأخرى التربوية والزراعية وغيرها.

ومن خلال فحص مكانة العلم والجامعة العبرية في فكر القيادات الصهيونية والحركة الصهيونية، نستنتج أن الجامعة العبرية في القدس (عام 1925) أقيمت تحقيقًا لأهداف وغايات الحركة الصهيونية في سعيها لبناء "أمة يهودية وقومية يهودية" بصيغتها الصهيونية، وعاملاً من عوامل أدواتها في استعمار فلسطين وإخضاع شعبها وسكانها، وأداة في صناعة اليهودي الجديد، إضافة إلى ضرورة توفير إنشاء مؤسّسات تعليم خاصة باليهود في فلسطين لاستيعاب الشباب اليهودي المحروم من الدراسة في جامعات أوروبا، الأمر الذي يعزّز "الهجرة" الصهيونية.

بخصوص الجامعة العبرية وغايات تأسيسها، هناك ادعاءان رئيسيان. الأول مفاده أن الجامعة تطوّرت كجامعة لخدمة العلم وإنتاج المعرفة فقط، وأنها مستقلة عن المشروع الصهيوني الاستعماري الاستيطاني، ولم تنشأ من حاجات وبنية المجتمع اليهودي الاستيطاني. ويفيد الثاني أن الجامعة ظهرت نتيجة لتطور

المشروع الصهيوني وحاجاته، وكمؤسّسة تدفع قدمًا المصالح الصهيونية، ورمز لـ"النهضة القومية اليهودية" بالصيغة الصهيونية.

بتقديري، بناء على التحليل العام لأهداف الجامعة، وأهداف الإنتاج المعرفي التي سعت إليها الحركة الصهيونية ومؤسّساتها، ومنها الجامعة، أميل إلى التأكيد على أن الجامعة وُجدت لخدمة المشروع الصهيوني، ومما يزيد على تأكيد هذه الحقيقة، أن الجامعة أقيمت في العشرينيات من القرن العشرين في فلسطين، أي في فترة حساسة من تاريخ السياق الاستعماري الصهيوني في فلسطين، إذ أوضحت المؤشرات، في هذا البحث، أن الجامعة كانت في صلب المشروع الصهيوني. ونجحت الحركة الصهيونية في تطويع الجامعة العبرية بما يخدم غاياتها، وعلى الجانب الآخر، ساهمت الجامعة بشكل رئيس من جانبها في دعم احتياجات الحركة الصهيونية الاستعمارية وتغذية توجّهاتها الثقافية والحضارية المختلفة كالمركزية الأوروبية والاستشراق.

رافقت إنشاء الجامعة العبرية/اليهودية في القدس العديد من التوترات والخلافات، التي كانت أشدها وأبرزها موضوع الاستقلالية عن المشروع الصهيوني واندماجها فيه وارتباطها به ودورها بشكل خاص في المشروع الصهيوني وهي المسألة التي حسمت في نهاية المطاف لصالح "الفكر القومي اليهودي" الصهيوني الاستعماري.

لقد شكّلت قضية استقلالية الجامعة العبرية قضية مركزية في الصراع ما بين إدارة الجامعة ورموزها وبين الحركة الصهيونية، ولم يكن من الممكن أن تسمح الحركة الصهيونية للجامعة، كمؤسّسة معرفية تعليمية بكادرها الإداري والتعليمي وطابعها العام، أن تكون مستقلة في التوجهات والإنتاج المعرفي والبحثي ومنسلخة عن أولويات وأهداف وغايات المشروع الصهيوني وذلك لخاصية أساسية في المشروع الصهيوني وهي كونه مشروع شمولي، بمعنى أن جميع الطاقات مجنّدة لتحقيق أهدافه، وهي خاصية غالبًا ما تتمتّع بها الحركات الفاشية والأيديولوجية الشمولية كالشيوعية.

لقد تعدّدت الآراء الموافقة والمعارضة و"النقدية" للجامعة، كما تعدّدت الغايات والاختلافات بشأنها، من طرف العديد من القيادات والتيارات داخل الحركة الصهيونية، كل وفق تحليله وغاياته ورؤيته النظرية والعملية بخصوص المشروع الصهيوني الاستعماري، وموقع الجامعة في هذا المشروع. لكن، توافقت الغالبية العظمى على أهمية الجامعة، كمؤسّسة معرفية تخدم المشروع الصهيوني الاستعماري الاستيطاني، وتخدم "الشعب اليهودي" في جميع أماكن تواجده، في "الوطن القومي" في فلسطين، وفي "الشتات"، وفي أهميتها لليهودية ولإعادة إنتاج اليهودي الجديد.

كان حاييم وايزمان الشخصية المركزية والحالة "الجامعة" لهذه الآراء المتعدّدة والمتباينة، إذ تلاقت عنده جميع الغايات والأهداف من جميع التيارات والشخصيات الصهيونية. وقد هيمنت آراؤه وغاياته للجامعة العبرية على شكلها وطبيعتها، ولعب دورًا محوريًا وحيويًا في تأسيس وتشكيل الجامعة العبرية بشكلها الذي نشأت عليه في عقودها الأولى على أقل تقدير.

فقد انتمى يوسف كلاوزنر، على سبيل المثال، إلى تيار الصهيونية التصحيحية الذي أسّسه جابوتنسكي، إلاّ أن رأيه مطابق لرأي وايزمن، مما يعزّز مقولة إن أفكار وايزمن للجامعة هيمنت على جميع آراء الحركة الصهيونية بمختلف أطيافها وتياراتها. إذ إنه لم يكن أحد من الحركة الصهيونية ضد إقامة الجامعة – باستثناء البعض من التيار الديني الأرثوذكسي الذي عارض طبيعة الأهداف وترتيب الأولويات، ولم يختلف أحد على دورها وغاياتها في المشروع الصهيوني.

توقّفت الدراسة الحالية عند ثلاث قضايا رئيسة: العلم وأهميته في الحركة الصهيونية؛ والجامعة العبرية وأهميتها في المشروع الصهيوني؛ ودور حاييم وايزمن في ذلك كله. تم فحص التحولات التي رافقت إنشاء الحركة الصهيونية في سياقاتها التاريخية بما يختص بعلاقتها مع العلم والاستعمار. وقامت بتسليط الضوء على تجربة الجامعة العبرية ما قبل إقامة الكيان الصهيوني. إذ لم تكن هذه التجربة المهمة في المشروع الصهيوني حاضرة بشكل كبير وواضح في الأدبيات العربية وللقارئ العربي عمومًا، الفلسطيني تحديدًا.

حاولت بالقدر المتاح الوصول إلى أكبر عدد ممكن من الأطر البحثية والنظريات الأكاديمية، والمقاربات النظرية والمعرفية، مثل تجربة الاستعمار البريطاني في الهند والاستعمار الأوروبي في أفريقيا، بغية الاستفادة منها لتفسير وتحليل موضوع الإنتاج المعرفي والصهيونية، وموضوع الجامعة العبرية ودور حاييم وايزمن، لكني لم استطيع تحقيق ذلك بالقدر الكافي والمرضي، بسبب محدودية المراجع البحثية والمصادر الأولية التي يمكن الوصول إليها. أما السبب الثاني، وهو الأهم، هو أن هذه الرسالة هي محاولة بحثية وتأتي ضمن متطلبات أكاديمية ومحدودة بالعامل الزمني مما يصعّب عملية الدراسة والبحث، أما الأمر الثالث، فهو اللغة، إذ إن معظم المصادر الأولية مكتوبة باللغة العبرية، وبالتالي كان يتطلب جهودًا كبيرة والوقت الكافي لتخطّي هذه العقبة.

لذا أقرّ في النقص في مراجعة بعض المصادر الأولية والمراجع البحثية ذات الصلة، وكذلك الرجوع إلى عدد أكبر من الوثائق المتعدّدة في الأرشيفات الصهيونية، أو مراجعة محاضر المؤتمرات الصهيونية، والحركات الصهيونية بتياراتها الثلاث، وإن تم الاعتماد على البعض منها.

كذلك، هنالك نقص شديد في البحث الحالي بخصوص الاطلاع بصورة وافية على دراسة حالات الأنظمة الاستعمارية في الهند ومصر وأفريقيا والقارة الأمريكية وإجراء مقاربة نظرية مع الاستعمار الصهيوني. وباتت واضحة لي، بعض الانتهاء من فصول الرسالة الرئيسية، الحاجة الماسّة للاطلاع على هذه الحالات بغية تعزيز فهمنا للمشروع الصهيوني عمومًا ودور العلم ومؤسّسات التعليم العالي والمعاهد البحثية في تحقيق أهدافه.

يمكن لهذه الرسالة الأكاديمية المتواضعة أن تفتح الباب أمام عدد كبير من القضايا البحثية التي يمكن للباحثين مستقبلاً تناولها والبحث فيها، إذ يمكن بحث ودراسة مكانة الجامعة العبرية بعد إقامة الكيان الصهيوني عام 1948، وبحث دورها في الوقت الحالي في استدامة المشروع الصهيوني؛ ويمكن للباحثين القادمين، للمساهمة في الجهد البحثي في دراسة الخطاب الصهيوني والممارسة فيما يتعلق بالإنتاج المعرفي

والبحثي، ومحاولة تفسير وتحليل كيفية توظيف الخطاب الصهيوني وتسويقه بما يخص عملية الإنتاج المعرفي وأهميته "للدولة العبرية".

حاولت هذه الدراسة أن تغطي معظم فروع العلوم والإنتاجات المعرفية، ووضعها في سلة واحدة، ولم تركز على لون معين من العلوم أو المعارف، لذلك يمكن للباحثين اللاحقين دراسة جوانب محدّدة ومفصلة عن علاقة بعض العلوم الاجتماعية، أو الإنسانية، أو الطبيعية، أو الزراعية، أو الطبية، أو التكنولوجية بالحركة الصهيونية والمشروع الصهيوني ككل؛ أو دراسة سيرورات إنشاء المعاهد والكليات في الجامعة العبرية وعلاقتها المباشرة وغير المباشرة بتطور بناء المجتمع اليهودي والكيان؛ أو دراسة مفصلة لعلاقة الفلسطينيّين بالجامعة العبرية في فترات زمنية مختلفة، إضافة إلى دراسة مناهج التعليم والبحث وأهميتها في الجامعات الإسرائيلية وآفاق التنمية الإسرائيلية المختلفة وتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة على الفلسطينيّين.

كتبت هذه الدراسة البحثية في مرحلة تطورت فيها العلوم وكثرت فيها الانتاجات المعرفية والبحثية والدراسات التي تتناول الشأن الصهيوني والإسرائيلي على صعد عديدة، على أمل أن تلقي بعض الضوء على تفسير نجاح الصهيونية في إقامة الكيان، وتحليل أسباب تعميق وتوسيع الهوة القائمة بين الاستعمار الصهيوني والفلسطينيّين. تتظافر الجهود في مثل هذه الأبحاث والدراسات لفهم ديناميكية المشروع الصهيوني وأدواته وغاياته وأسباب ديمومته واستمراره، وللمساهمة أخيرًا في وضع الخطوط الأولية لمقومات التحرّر من الاستعمار الاستيطاني الإحلالي.

قائمة المراجع والمصادر

المصادر الأولية

بن غوريون، دافيد. "متطلبات الثورة اليهودية (1944)". في: **الفكرة الصهيونية: النصوص الأساسية**، أنيس صايغ (إعداد)، ترجمة لطفي العابد وموسى عنز، ص 473–488. بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1970.

بياليك، حاييم نحمان. "بياليك يتحدث عن الجامعة العبرية: كلمة ألقيت في حفل افتتاح الجامعة العبرية في القدس، في الرابع من كانون الثاني (يناير) 1925". في: **الفكرة الصهيونية: النصوص الأساسية**، أنيس صايغ (إعداد)، ترجمة لطفي العابد وموسى عنز، ص 172–180. بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1970.

صايغ، أنيس (إعداد). **الفكرة الصهيونية: النصوص الأساسية**. ترجمة لطفي العابد وموسى عنز. بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1970.

القلعي، يهودا. "الخلاص الثالث". في: **الفكرة الصهيونية: النصوص الأساسية**، أنيس صايغ (إعداد)، ترجمة لطفي العابد وموسى عنز، ص 10–12. بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1970.

كاليشر، تسفي هيرش. "السعي لصهيون". في: **الفكرة الصهيونية: النصوص الأساسية**، أنيس صايغ (إعداد)، ترجمة لطفي العابد وموسى عنز، ص 14–17. بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1970.

ماغنس، يهوذا ليون. "مثل بقية الشعوب؟ (1930)". في: **الفكرة الصهيونية: النصوص الأساسية**، أنيس صايغ (إعداد)، ترجمة لطفي العابد وموسى عنز، ص 318–325. بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1970.

نوردو، ماكس. "الصهيونية (1902)". في: **الفكرة الصهيونية: النصوص الأساسية**، أنيس صايغ (إعداد)، ترجمة لطفي العابد وموسى عنز، ص 137–140. بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1970.

---. "خطاب في المؤتمر الصهيوني الأول (1897)". في: **الفكرة الصهيونية: النصوص الأساسية**، أنيس صايغ (إعداد)، ترجمة لطفي العابد وموسى عنز، ص 130–137. بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1970.

هعام، أحاد. "الجسد والروح (1904)". في: **الفكرة الصهيونية: النصوص الأساسية**، أنيس صايغ (إعداد)، ترجمة لطفي العابد وموسى عنز، ص 147–152. بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1970.

---. "الدولة اليهودية والمسألة اليهودية (1897)". في: **الفكرة الصهيونية: النصوص الأساسية**، أنيس صايغ (إعداد)، ترجمة لطفي العابد وموسى عنز، ص 154–162. بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1970.

هس، موسى. "رومه والقدس (1862)". في: **الفكرة الصهيونية: النصوص الأساسية**، أنيس صايغ (إعداد)، ترجمة لطفي العابد وموسى عنز، ص 21–42. بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1970.

هيرتسل، ثيودور. "الدولة اليهودية (1896)". في: **الفكرة الصهيونية: النصوص الأساسية**، أنيس صايغ (إعداد)، ترجمة لطفي العابد وموسى عنز، ص 100–123. بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1970.

---. **أرض قديمة جديدة (الطنويلاند)**. ترجمة مئير حداد. تل أبيب: دار النشر العربي، 1968.

المصادر الأولية باللغة العبرية

الصفحة الإلكترونية الخاصة لحاييم وايزمان التي تظهر في "ديوان رئيس الوزراء في إسرائيل"، يُنظر:
http://www.gdoley-hauma.org.il/Web/He/Presidents/WeizmannH/Default.aspx

وايزمن، حاييم. "الحلم وتحقيقه: خطاب في حفل خريجي الجامعة العبرية، في نيويورك، 18 كانون الثاني 1940". في: **حاييم وايزمان حول الجامعة العبرية، اللجنة القطرية لرابطة خريجي الجامعة العبرية في أرض إسرائيل**، ص 40–45. دون اسم دار النشر، ولا تاريخ النشر.

---. "العلاقة ما بين النظري والعملي: خطاب في حفل خريجي الجامعة العبرية، في تل أبيب، 19 شباط 1936". في: **حاييم وايزمان حول الجامعة العبرية، اللجنة القطرية لرابطة خريجي الجامعة العبرية في أرض إسرائيل**، ص 36–39. دون اسم دار النشر، ولا تاريخ النشر.

---. "كلمة إلى اليشوف: خطاب حفل خريجي الجامعة العبرية، في تل أبيب، 3 نيسان 1933". في: **حاييم وايزمان حول الجامعة العبرية، اللجنة القطرية لرابطة خريجي الجامعة العبرية في أرض إسرائيل**، ص 33–35. دون اسم دار النشر، ولا تاريخ النشر.

---. "معبد مجد روح إسرائيل: من خطاب في جلسة اللجنة الصهيونية، 8 شباط 1920". في: **حاييم وايزمان حول الجامعة العبرية، اللجنة القطرية لرابطة خريجي الجامعة العبرية في أرض إسرائيل**، ص 30–32. دون اسم دار النشر، ولا تاريخ النشر.

---. "أثناء وضع حجر الأساس: خطاب على جبل الصوَّانة (هار هاتسوفيم)، 24 تموز 1918". في: **حاييم وايزمان حول الجامعة العبرية، اللجنة القطرية لرابطة خريجي الجامعة العبرية في أرض إسرائيل**، ص 25–30. دون اسم دار النشر، ولا تاريخ النشر.

---. "حول الجامعة العبرية، القدس (1918/1917)". في: **حاييم وايزمان حول الجامعة العبرية، اللجنة القطرية لرابطة خريجي الجامعة العبرية في أرض إسرائيل**، ص 21–24. دون اسم دار النشر، ولا تاريخ النشر.

---. "خطاب إلى الطلبة اليهود: من خطاب في الاجتماع الثالث للطلبة اليهود (هاحفير) في مدينة هايدلبرغ – ألمانيا، 6 حزيران 1914". في: **حاييم وايزمان حول الجامعة العبرية، اللجنة القطرية لرابطة خريجي الجامعة العبرية في أرض إسرائيل**، ص 19–20. دون اسم دار النشر، ولا تاريخ النشر.

---. "حول فكرة الجامعة العبرية وعلى سبل تحقيقها: من خطابه في المؤتمر الصهيوني الحادي عشر، فينا، 8 أيلول 1913". في: **حاييم وايزمان حول الجامعة العبرية، اللجنة القطرية لرابطة خريجي الجامعة العبرية في أرض إسرائيل**، ص 7–18. دون اسم دار النشر، ولا تاريخ النشر.

---. "الحاجة لبناء مدرسة تعليم يهودية عليا، من خطاب وايزمان في المؤتمر الصهيوني الخامس، في بازل، سويسرا، 1902". في: **حاييم وايزمان حول الجامعة العبرية، اللجنة القطرية لرابطة خريجي الجامعة العبرية في أرض إسرائيل**، ص 5–6. دون اسم دار النشر، ولا تاريخ النشر.

---. "خطاب في اللجنة التأسيسية، 14 شباط 1949". في: **حاييم وايزمان – الرئيس الأول – مختارات من خطابات، أرشيف الدولة، القدس**، ص 521. في: الصفحة الإلكترونية الخاصة لحاييم وايزمان التي تظهر في "ديوان رئيس الوزراء في إسرائيل"، يُنظر:
http://www.gdoley-hauma.org.il/Web/He/Presidents/WeizmannH/Default.aspx

---. "خطاب وضع حجر الأساس للجامعة العبرية، 24 تموز 1918". في: **حاييم وايزمن – الرئيس الأول – مختارات من خطابات، أرشيف الدولة، القدس**، ص 146–148. في: الصفحة الالكترونية الخاصة لحاييم وايزمن التي تظهر في "ديوان رئيس الوزراء في إسرائيل"، يُنظر:
http://www.gdoley-hauma.org.il/Web/He/Presidents/WeizmannH/Speeches/2839.aspx

صحافة

"أخبار اليوم: منشور جمعية يهود فلسطين". **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 765–8 (31 آذار 1925).

"أخبار صهيونية". **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 767–10 (7 نيسان 1925).

"أسلوب الدعوة". **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 765–8 (31 آذار 1925).

"افتتاح الجامعة اليهودية". **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 765–8 (31 آذار 1925).

"بلفور في فلسطين: يومًا فيومًا، بعد حفلة الجامعة". **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 767–10 (7 نيسان 1925).

"تصحيح خبر". **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 767–10 (7 نيسان 1925).

"الجامعة العبرية: كلمة خيالية". **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 765–8 (31 آذار 1925).

"الخطب التاريخية في افتتاح الجامعة العبرية: خطاب الدكتور وايزمان". **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 767–10 (7 نيسان 1925).

"الخطب التاريخية في افتتاح الجامعة العبرية: خطاب السر هربرت صموئيل". **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 767–10 (7 نيسان 1925).

"الخطب التاريخية في افتتاح الجامعة العبرية: خطاب اللورد بلفور". **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 767–10 (7 نيسان 1925).

"زكي باشا يرفض دعوة الجامعة العبرية". **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 765–8 (31 آذار 1925).

"العراقيون والجامعة". **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 765–8 (31 آذار 1925).

"كيف يكذبون". **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 765–8 (31 آذار 1925).

"مذكرات أسبوع: ومن الشر خير". **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 767–10 (7 نيسان 1925).

"اليهود الأرثوذكس والجامعة". **فلسطين** (صحيفة)، السنة التاسعة، عدد 767–10 (7 نيسان 1925).

المراجع البحثية

إتينغر، شموئيل. "الشعب اليهودي وأرض إسرائيل". في: **من الفكر الصهيوني المعاصر**، أنيس صايغ (إعداد)، ص 33–51. بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1968.

برو، أنجيلا. **تجاوز الفصل بين البحث والتعليم**. ترجمة رفيدا فوزي الخباز. الرياض: مكتبة العبيكان، 2009.

بريور، مايكل. "قراءة أخلاقية للكتاب المقدس". في: **القدس: أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ**، تحرير توماس تومبسون وسلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة فراس السواح، ص 43–76. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2003.

بشير، نبيه. **عودة إلى التاريخ المقدَّس: الحريدية والصهيونية**. دمشق: قدمس للنشر والتوزيع، 2005.

بيرك، جيمس. "عندما تغير العالم". في: **الحداثة، دفاتر فلسفية: نصوص مختارة – 6**، إعداد وترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، ص 7–10. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2004.

التير، مصطفى. "الخصائص العامة للشخصية الحديثة". في: **الحداثة، دفاتر فلسفية: نصوص مختارة – 6**، إعداد وترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، ص 14–15. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2004.

---. "المدلول الملموس للتحديث". في: **الحداثة، دفاتر فلسفية: نصوص مختارة – 6**، إعداد وترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، ص 13–14. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2004.

جريس، صبري. **تاريخ الصهيونية (1862–1948) – الجزء الأول**. ط2. رام الله: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 2015. (الطبعة الأولى، بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1977).

---. **تاريخ الصهيونية (1862–1948) – الجزء الثاني**. ط2. رام الله: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 2017. (الطبعة الأولى، نيقوسيا: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1986).

دوركهايم، إميل. "تقسيم العمل في المجتمع (1893)". في: **من الحداثة إلى العولمة: رؤى ووجهات نظر في قضية التطور والتغيير الاجتماعي – الجزء الأول**، تحرير ج. تيمونز روبيرتس وأيمي هايت، ترجمة سمر الشيشكلي، ص 61–104. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2004.

روبيرتس، ج. تيمونز، وأيمي هايت. "مقدمة المحررين". عند **من الحداثة إلى العولمة: رؤى ووجهات نظر في قضية التطور والتغيير الاجتماعي – الجزء الأول**، تحرير ج. تيمونز روبيرتس وأيمي هايت. ترجمة سمر الشيشكلي، ص 7–42. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2004.

ريكور، بول. "أيديولوجيا العصور الحديثة". في: **الحداثة، دفاتر فلسفية: نصوص مختارة – 6**، إعداد وترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، ص 24–25. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2004.

زريق، رائف. "إسرائيل: خلفية أيديولوجية وتاريخية". في: **دليل إسرائيل العام 2011**، تحرير كميل منصور، ص 3–58. بيروت: مؤسّسة الدراسات الفلسطينية، 2011.

زريق، قسطنطين. "خصائص الحداثة". في: **الحداثة، دفاتر فلسفية: نصوص مختارة – 6**، إعداد وترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، ص 10–12. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2004.

سبيلا، محمد، وعبد السلام بنعبد العالي. ""تقديم". عند **الحداثة، دفاتر فلسفية: نصوص مختارة – 6**، إعداد وترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، ص 5–6. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2004.

ستيرنهل، زئيف. **الأساطير المؤسّسة لإسرائيل: القومية، الاشتراكية، وقيام الدولة اليهودية**. ترجمة عزّت الغزاوي. رام الله: مدار، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2001.

سعيد، إدوارد. **الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء**. ترجمة كمال أبو ديب. بيروت: مؤسّسة الأبحاث العربية، 1995.

سلبرمن، نيل. **بحثًا عن إله ووطن: صراع الغرب على فلسطين وآثارها (1799–1917م)**. ترجمة فاضل جتكر. دمشق: قدمس للنشر والتوزيع، 2001.

شرابي، هشام. "معنى الحداثة". في **الحداثة، دفاتر فلسفية: نصوص مختارة – 6**، إعداد وترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، ص 20–22. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2004.

---. **النظام الأبوي وإشكالية تخلّف المجتمع العربي**. ترجمة محمود شريح. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1992.

عميت، غيش. **بطاقة ملكية: تاريخ من النهب والصون والاستيلاء في المكتبة الوطنية الإسرائيلية**. ترجمة علاء حليحل. رام الله: مدار، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2015.

غن، ديفيد. "العام القادم في أورشليم: التوراة، والهوية، والخرافة على الإنترنت". في: **القدس: أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ**، تحرير توماس تومبسون وسلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة فراس السواح، ص 331–350. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2003.

فانون، فرانز. **معذّبو الأرض**. ترجمة سامي الدروبي. بيروت: دار الطليعة، 1963.

فوكو، ميشال. "الحداثة والحاضر". في: **الحداثة، دفاتر فلسفية: نصوص مختارة – 6**، إعداد وترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، ص 48–49. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2004.

فيبر، ماكس. "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية (1905)، سمات البيروقراطية (1920)، رسالة العلم (1919)". في: **من الحداثة إلى العولمة: رؤى ووجهات نظر في قضية التطور والتغيير الاجتماعي – الجزء الأول**، تحرير ج. تيمونز روبيرتس وأيمي هايت، ترجمة سمر الشيشكلي، ص 105–124. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2004.

محمود، يوسف سيد. **أزمة الجامعات العربية**. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2008.

مراد، علي عباس، وعامر حسن فياض. **القومية والأمة: مدخل إلى الفكر السياسي القومي**. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2017.

مسعد، جوزيف. **ديمومة المسألة الفلسطينية: حول الصهيونية والحركة الوطنية الفلسطينية**. بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، 2009.

مصطفى، مهند. **المؤسّسة الأكاديمية الإسرائيلية: المعرفة، السياسة والاقتصاد**. رام الله: مدار، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2014.

مقدسي، جورج. **نشأة الكليات: معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب**. ترجمة محمود سيد محمد. القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، 2015.

ميتشل، تيموثي. **استعمار مصر**. ترجمة بشير السباعي وأحمد حسان. القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، 2013.

نافع، بشير موسى. "مقدمة الطبعة العربية". عند **نشأة الكليات: معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب**، تأليف جورج مقدسي. ترجمة محمود سيد محمد، ص 21–26. القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، 2015.

هابرماس، يورغن. "مفهوم الحداثة عند هيغل". في: **الحداثة، دفاتر فلسفية: نصوص مختارة – 6**، إعداد وترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، ص 49–51. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2004.

المقالات والدوريات والنشرات

بالنتاين، توني. "المعرفة الاستعمارية (ترجمة ثائر ديب)". **عُمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية** 5، عدد 17 (صيف 2016): ص 13–46.

حباس، وليد. "مفهوم الاستعمار الاستيطاني: نحو إطار نظري جديد". **قضايا إسرائيلية**، عدد 66 (صيف 2017): ص 114–127.

خوبرز، إيال. "الجامعة العبرية: اللغة والعنف في الصهيونية المبكرة". **قضايا إسرائيلية**، عدد 53 (أبريل 2014): ص 32–38.

زريق، رائف. "كلمة المحرر". **قضايا إسرائيلية** 13، عدد 50 (أغسطس 2013): ص 4–5.

زريق، قسطنطين. "الجامعات أمام مسؤولياتها". **الأبحاث** 18، عدد 1 (آذار 1965): ص 3–20.

سعدي، يارا. "الجامعة العبرية وتقاطع الاستعمار الاستيطاني والجندر". **جدل**، العدد 24 (أكتوبر 2015)، يُنظر:
http://mada-research.org/wp-content/uploads/2015/11/JDL24-5-Yara.pdf

مصطفى، مهند. "مقالة زئيف جابوتنسكي "رأي خاص" التي يعارض فيها فكرة إقامة الجامعة العبرية". **قضايا إسرائيلية** 13، عدد 51 (نوفمبر 2013): ص 121–124.

ناصر، رندة. "العلوم الاجتماعية والموضوعية: من عقدة "المعطف الأبيض" إلى "الرغبة في أن تضمنا خيمة العلم"". **إضافات**، عدد 33–34 (شتاء / ربيع 2016): ص 232–252.

وولف، باتريك. "الكولونيالية الاستيطانية واستئصال/محو السكان الأصليّين" (ترجمة داليا طه)، في: *Settler Colonial Studies*، السنة 2، العدد 1 (2012): ص 226–256.

المراجع باللغة العبرية

إلبويم–درور، راحيل. **غد أمس، المجلد الأول: الطوباوية الصهيونية – جزآن**. القدس: معهد إسحاق بن تسفي، 1993.

برشاي، بتصلال. "الجامعة العبرية في القدس، 1925–1935". **مجلة كتدرا**، عدد 53 (1990): ص 107–122.

راينهرتس، يهودا. "وضع أساسات الجامعة العبرية في القدس – دور حاييم وايزمان (1913–1914)". **مجلة كتدرا**، عدد 46 (1988): ص 123–146.

سميلانسكي، موشي. **فصول في تاريخ الاستيطان – الجزء الخامس**. تل أبيب: دفير، 1959.

كلاوزنر، يوسف. **بماذا نبدأ؟: حول مسألة إنشاء جامعة عبرية في القدس**. أوديسا: مطبعة موريا، 1913.

كيرش، نوريت، وشاؤول كاتس. "ما بين الكيمياء والسياسة: النشاط العلمي لوايزمان في الثلاثينيات والأربعينيات". في: **وايزمان قائد الصهيونية**، تحرير أوري كوهن ومئير حازن، ص 413–439. القدس: مركز زلمان شزار لدراسة تاريخ الشعب اليهودي، 2016.

المراجع باللغة الإنجليزية

Abu El-Haj, Nadia. *Facts on the Ground: Archaeological Practice and Territorial Self-Fashioning in Israeli Society.* Chicago: The University of Chicago Press, 2001.

Almog, Oz. *The Creation of the New Jew: The Sabra*. trans. by Haim Watzman. Berkeley, CA: The University of California Press, 2000.

Asad, Talal. *Anthropology and the Colonial Encounter.* London: Ithaca Press, 1973.

Bloom, Etan. *Arthur Ruppin and the Production of Pre-Israeli Culture*. edited by Giuseppe Veltri. Studies in Jewish History and Culture, vol. 31. Boston: Brill, 2011.

---. "Arthur Ruppin and the Production of the Modern Hebrew Culture." PhD. Dissertation, Tel Aviv University, 2008.

---. "What 'The Father' had in Mind? Arthur Ruppin (1876–1943), Cultural Identity, Weltanschauung and Action." *History of European Ideas*, vol. 33 (2007): pp. 330–349.

Brubaker, Roger. *Citizenship and Nationhood in France and Germany.* Cambridge, MA: Harvard University Press, 1992.

Cohen, Bernard S. *Colonialism and Its Forms of Knowledge: The British in India.* Princeton, NJ: Princeton University Press, 1996.

Corry, Leo, and Tal Golan. "Introduction." *Science in Context*, vol. 23, no. 4 (2010): pp. 393-399.

Coughlan, Michael R., and Donald R. Nelson. "Influences of Native American Land Use on the Colonial Euro-American Settlement of the South Carolina Piedmont." *PLOS ONE*, vol. 13, no. 3 (March 2018): pp. 1-23.

Dolev, Diana, and Haim Gordon. "Architectural Orientalism in Early Zionist Buildings: The Case of the Hebrew University." *The Centennial Review*, vol. 36, no. 2 (Spring 1992): pp. 361-372.

Efron, John. *Defenders of the Race: Jewish Doctors and Race Science in Fin-de-Siècle Europe.* New Haven, CT: Yale University Press, 1993.

El Shakry, Omnia. *The Great Social Laboratory: Subjects of Knowledge in Colonial Postcolonial Egypt.* Stanford, California: Stanford University Press, 2007.

Evri, Yuval. *Translating the Arab-Jewish Tradition: From* al-*Andalus to Palestine/Land of Israel*. Essays of the Forum Transregionale Studien no. 1. Berlin: Forum Transregionale Studien, 2016.

Falk, Raphael. *Zionism and the Biology of Jews*. Cham: Springer International Publishing AG, 2017.

Funkenstein, Amos. "Zionism, Science, and History," in his: *Perceptions of Jewish History,* pp. 338-350. Berkeley, CA: University of California Press, 1993.

Hirsch, Dafna. "Hygiene, Dirt and the Shaping of a New Man among the Early Zionist Halutzim." *European Journal of Cultural Studies*, vol. 18 (2015): pp. 300-318.

---. "'We Are Here to Bring the West, Not Only to Ourselves': Zionist Occidentalism and the Discourse of Hygiene in Mandate Palestine." *International Journal of Middle East Studies*, vol. 41 (2009): pp. 577-594.

---. "Zionist Eugenics, Mixed Marriage, and the Creation of a 'New Jewish Type'." *Journal of the Royal Anthropological Institute (N.S.)*, vol. 15 (2009): pp. 592-609.

Kincaid, Harold, John Dupré, and Alison Wylie (eds.). *Value-Free Science: Ideals and Illusion*. New York: Oxford University Press, 2007.

Kirsh, Nurit. "Population Genetics in Israel in the 1950s: The Unconscious of Ideology." *Isis*, vol. 94, no. 4 (December 2003): pp. 631-655.

Longino, Helen E. *Science as Social Knowledge: Values and Objectivity in Scientific Inquiry*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1999.

Malott, Curry Stephenson. "Chapter 4: Critical Pedagogy in Native North America: Western and Indigenous Philosophy in the Schooling Context." *Counterpoints*, vol. 324, (A Call to Action: An Introduction to Education, Philosophy, and Native North America) (2008): pp. 117-151.

Ofer, Pinhas. "A Scheme for the Establishment of a British University in Jerusalem in the Late 1920s." *Middle Eastern Studies*, vol. 22, no. 2 (Apr. 1986): pp. 274-285.

Proctor, Robert N. *Value-Free Science?: Purity and Power in Modern Knowledge*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1991.

Renton, James. "Yad Chaim Weizmann and the Westernness of Israel." *Jewish Historical Studies*, vol. 44 (2012): pp. 27-50.

Shapira, Anita. "The Zionist Labor Movement and the Hebrew University." *Judaism*, vol. 45, no. 2 (Spring 1996): pp. 183-202.

Shohat, Ella. “The Invention of Judeo-Arabic: Nation, Partition and the Linguistic Imaginary.” *Interventions: International Journal of Postcolonial Studies*, vol. 19, no. 2 (2017): pp. 153-200.

---. “The Question of Judeo-Arabic.” *Arab Studies Journal*, vol. xxiii, no. 1 (2015): pp. 14-76.

Stocking Jr., George. W. “Colonial Situations.” in: *Colonial Situations: Essays on the Contextualization of Ethnographic Knowledge* (History of Anthropology, vol. 7), ed. by George W. Stocking, Jr., pp. 3-8. Madison, Wisconsin: The University of Wisconsin press, 1991.

Viswanathan, Gauri. *Masks of Conquest: Literary Study & British Rule in India.* Oxford: Oxford University Press, 1998.

Wilder, Craig Steven. *Ebony and Ivy: Race, Slavery, and the Troubled History of America’s Universities*. New York: Bloomsbury Press, 2013.

Wolfe, Patrick. *Settler Colonialism and the Transformation of Anthropology: The Politics and Poetics of an Ethnographic Event.* London: Cassell, 1999.